كتابي

روش

حلمي مراد

من معروضات الفنان "ارمان"
حرم الدكتور ناجي يسّي

٤

كتابي

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمي مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الإغريق

الكتاب السادس والسبعون (السنة السابعة) : يونيو ١٩٥٨

الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الإدارة : عمارة الجندول – ١٤ شارع ٢٦ يوليو – بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

نسخ انيقة ((مقصـــــوصة الاطراف))

تعد خصيصا للمشتركين فى ((كتابى)) و ((المطبوعات))

• اذا اردت الحصول على نسختك من « كتابى » او « مطبوعات كتـــابى » انيقة نظيفة « مقصوصة » من جميع اطرافها ، فاشترك فى السلسلتين ، او احداهما ، تضمن وصول الاعداد المذكورة اليك فى عقر دارك ، اينما كنت ، بالبريد « المسجل » وفى مظروف مغلق .

ارسل فورا الى الادارة (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) اذن بريد بقيمة الاشتراك الموضحة ادناه ، لاية مدة ترغب فيها ١:٠ واذا كنت بعيدا عن مكتب البريد فى هذه الساعة او كان المكتب مغلقا ، وخشيت ان تنسى الموضوع او تهمله لو ارجاته ، فتناول قلما من حورك واكتب الينا « برغبتك » فقط فى الاشتراك ، وسوف نتولى نحن تذكيرك بالامر بخطاب خاص فى فترات متفاوتة ، لنساعدك على تنفيذ رغبتك ، حتى تحققها .. فلا ترجىء الكتابة الآن ، واذكر ان الارجاء والتسويف هما الد اعداء الانسان ، فهما يحرمانه من كل فرص السعادة او النجاح .

اسعار الاشتراك ، بما فى ذلك نفقات البريد المسجل

فى القطر المصرى والسودان : ١٠ قروش عن كل عدد
او حضوريا بالادارة) . فى سوريا ولبنان والعراق والارد
شيك او تحويل على احد بنوك القاهرة بما يوازى ١٢ قر
كل عدد ، او كوبونات دولية بـ ١٣٠ مليما مصريا عن
بقية بلاد العـالم : شيك او تحويل على احد بنوك القاهرة
١٣ قرشا مصريا عن كل عدد . والرجا عدم ارسال نقود داخل
سواء العادية او المسجلة .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
كلمة المحـرر	٦
دريم الخديوى ! .. نمـاذج لسخرية المسرح الشعبى من الطغاة .. حـوار ورسوم : يعقوب صنوع	٩
امرة فى فينيسيا ... للمؤرخ الفنان العالمى : ((ف . ماتانيا))	٥٣
ادوين درود . . . (القصة الغامضة التى لم يمهل الموت كاتبهـا حتى يتمها) . . . للقصصى الانجليـزى : تشارلس ديكنز	٦٧
ـالم والقنبلة الهيدروجينية ! . . . هل يسير العلم نحو أوج الحضارة ، أو ينحـدر الى حضيض الدمـار ؟	١٠٩
ـخ !... مسرحية للكاتب الايطالى : لويجى بيراندللو	١٣١
ذ[illegible]ريات عربية فى ((الحريم)) . . بقلم الاميرة العربية : الشريفة مصباح حيدر	١٤٩
ـث عن الفشل ! . . . (من خفـايا النفوس) : تجربة من صميم الواقع ، نقلها الكاتب الامريكى ((جوزيف أنتونى)) عن سـجلات الاخصـائى النفسانى : ((الدكتور اويس مونجمرى)) . .	١٦٧
تحصل على الثروة فى أقصر وقت !! . . . نماذج من قصص نجاح العصاميين	١٨٩

لكى لا ننسى !

كيف كنا .. وكيف أصبحنا !

عزيزى القارىء ..

◆ فى مثل هذا الشهر منذ ستة أعوام ـ وكان كتابى فى شهره الخامس ـ خرجت مصر من السجن الكبير الذى كانت تعيش بين جدرانه قبل ان يحررها بطلنا « جمال » من الثالوث البغيض الذى كان يجثم على صدرنا : ثالوث الحكم الفاسد ، والطغيان الاسود ، والاستعمار الغاشم !

وستة أعوام قد تكون فترة طويلة فى عمر الافراد ، لكنها فى عمر الشعوب جد قصيرة .. وهى فى تطور بلدنا تبدو أقصر بكثير من مدلولها الزمنى ، بالقياس الى التطور البطىء ـ ان لم أقل « التأخر المضطرد » ـ الذى عانينا منه فى الماضى التعس الطويل ..

واذا أردت أن تلمس الطفرة الضخمة التى طفرتها بلادنا فى الاعوام الستة الاخيرة ، فحسبك زيارة واحدة لدار الكتب تقلب خلالها مجموعات الصحف المصرية الصادرة فى أى يوم من أى شهر ، من أى عام ، قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لتخرج منها بصورة مضحكة ، مبكية ، لما كانت عليه مصر ذاك العهد البائد :

الاخبار الخارجية كانت ـ فيما عدا أيام الحروب ـ منزوية فى ركن داخلى مهمل ، فقد كانت مصر حتى ذلك العهد بلدا صغيرا ضئيل الاعتبار ، يعيش بمعزل عن العالم الخارجى ، لاتشعربه او تأبه له الدول الكبرى ، ولا حتى الصغرى

فانظر كيف أصبحنا اليوم ، محط أنظار العالم وموضع اهتمامه الدائم ، تحتل اخبارنا الصفحات الاولى من كبرى الصحف ، وتشغل حيزا ضخما من احاديث الناس ؛ و

برامج الاذاعة والتلفزيون ، بل ومن الافلام الاخبارية ، فى جميع عواصم القارات الخمس ! .. ولا يمر شهر الا ويهتز العالم لتصريح أطلقه رئيسنا ، أو مقابلة خطيرة تمت بينه وبين أقطاب السياسة فى شتى أقطار الارض : خروشوف ، تيتو ، نهرو ، نكروما ، مكاريوس ، سوكارنو .. الخ .. الخ

.. بعد أن كان أقصى مايطمع فيه زعيم مصرى – قبل الثورة – ان يتعطف عليه بالمقابلة سفير بريطانيا ((العظمى)) أو الولايات المتحدة .. أو المندوب السامى المهيب العتيد : ((سير مايلز لامبسون)) – أستغفر الله ، أقصد الحسيب النسيب ((لورد كيلرن)) !

وكان رصف حارة صغيرة يستغرق أعواما من النقاش والجدل العقيم بين اللجان ، واجراءات الروتين الحكومى البغيض ، فصرنا اليوم نتغيب عن القاهرة أسابيع محدودة ، ثم نعود فنجد الكورنيش «العالمى» الرائع يرصع نيلنا الخالد ، من القناطر الخيرية الى حلوان !

وكان لنا جيش ((صورى)) مغلوب على أمره ، لا يملك غير الاسلحة الفاسدة و ((مخلفات)) البنادق الهزيلة العتيقة التى يستغنى عنها جيش ((الحليفة)) ! .. فأصبح لنا اليوم جيش تحسب له الدول الكبرى كل حساب . جيش عصرى جرار ، مزود بأحدث وأقوى الاسلحة الحديثة ، وطائرات «الميج ١٧» ، واسطول بحرى عامر بالمدمرات .. والغواصات !

.. ولم تكن لنا صناعة محلية سوى ((القلل القناوى)) .. فأصبحنا نتيه اليوم فخرا بأضخم مصانع الشرق الاوسط للحديد والصلب ! .. ولن يمضى عام حتى تصبح لنا نحو مائة صناعة كبرى ، من كل نوع !

هذا الى عشرات من أمثلة « كنا » و « أصبحنا » ، التى يضيق عنها نطاق هذه الكلمة بطبيعة الحال ..

بل .. اذا اردت ان تشمخ بأنفك فخورا بما بلغته جمهوريتنا

العربية المتحدة من مكانة دولية ، **فحسبك أن تطالع العدد الاخير من مجلة ((تايم)) الامريكية - التى توزع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة ، وتعتبر من أوسع المجلات الاسبوعية انتشارا فى العالم - لترى غلافها وقد احتلته صورة كبرى لرئيسنا ((ناصر)) .. كما احتلت صور أخرى له ، وقصة حياته وأنباء وطننا العربى بالتفصيل ، أكثر من عشر صفحات كاملة من المجلة العالمية !**

فهنيئا لجمهوريتنا الناهضة ما بلغته من مكانة عالمية ، وما ينتظرها من مستقبل مجيد بعون الله .. وتحية خالصة من الاعماق لرئيسنا البطل «جمال عبد الناصر» وصحبه الابرار..

صورة من كفاح شعبنا ضد الطغيان ((الخديوى)) !

• ولمناسبة العيد السادس للثورة المصرية ، التى نقلت مصر من حال الى حال .. لم أتردد فى ارجاء حلقة هذا الشهر من سلسلة « رأيت وسمعت لك فى آسيا » ، حين تلقيت - والعدد ماثل للطبع - البحث القيم الذى تطالعه فى الصفحات الاربعين التالية ، **والذى يزيح الستار - لاول مرة - عن نصوص كانت مجهولة لتمثيليات الصحفى القديم ((يعقوب صنوع)) التى كان يتخذها ستارا لمناوأة ((خديو)) مصر وفضح مباذله وفساد حكمه .. وهى صورة حية لما استطاع المسرح الشعبى أن يفعله للسخرية من حكامه الطغاة، حين لم يكن يملك أكثر من السخرية ! ..** وقد أعد هذا البحث القيم الزميل الدكتور « أنور لوقا » - المدرس بكلية آداب جامعة عين شمس - والذى قضى مبعوثا فى باريس سبعة أعوام كان خلالها يوافى (كتابى) بين الحين والآخر بتلخيصاته للكثير من الكتب والمسرحيات الفرنسية الشائقة..

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

نصوص مفقودة جمعها ويقدمها :

الدكتور أنور لوقا : المدرس بكلية الآداب بجامعة عين شمس

مسرحنا الشعبى مجحود !

• ما أكثر الأغلاط المقصودة التى تملأ تاريخ مصر فى القرن الماضى ! انها أغلاط تعمدها المؤرخون الرسميون للملكية البائدة، فقد اغفلوا من الوقائع الهامة ماينبغى اليوم أن نزيح عنه الستار ونجلوه للبصائر والابصار :

ففقد كان الرأى السائد الى عهد قريب ان مصر ظلت تجهل فن التمثيل حتى جاء ((شوقى)) فأسس فى القرن العشرين مسرحنا العربى ، متأثرا بالادب الفرنسى ، ولا أدل على ذلك من أنه نظم أولى رواياته المسرحية ((على بك الكبير)) أثناء دراسته فى فرنسا .

ونقب بعض الباحثين من ناحية أخرى عن مصادر المسرح المصرى الحديث ، فبدا لهم ان فرقة «سليم النقاش» اللبنانية هى اول فرقة مثلت الروايات باللغة العربية على أرض مصر : أجل ، لقد حضرت هذه الفرقة من بيروت الى الاسكندرية عام ١٨٧٦ ، ومثلت على مسرح « زيزنيا » بضع روايات مترجمة كلها عن الفرنسية فى أسلوب غربى ركيك : واذ لم تصادف ما توقعت من نجاح ، هجر أصحابها منصة التمثيل ونزلوا الى ميدان الصحافة . وفى الصحافة فاقت شهرة الممثل السابق « أديب اسحق » شهرة مدير الفرقة السابق «سليم النقاش » . وآلت ادارة الفرقة فى الاسكندرية الى ممثل ثالث يدعى « يوسف خياط » ، فنزح بها الى القاهرة سنة ١٨٧٨ ، على مسرح «الاوبرا» ، واتصل بالخديوى اسماعيل .فشجعه ، وصرح له بالتمثيل بل ووعد بأن يشرف الفرقة بحضوره . وها هو ذا يشهد التمثيل فعلا ، ولكنه لايلبث حتى يخرج عابسا ساخطا متجهما ، ويأمر بطرد الفرقة من أرض مصر .

ذلك انها قدمت ــ على محضرمنه ــ رواية عنوانها «الظلوم».
وكان الخديوى يعرف نفسه ، ويحس تذمر مصر من قسوته واستهتاره وتبذيره ، فظن انه المعنى بمغزى الرواية . . وهكذا قدر لمصر ان تحرم من فن التمثيل .

على أن هذين الرأيين يغفلان ذكر مسرحنا المصرى الاول فى العصر الحديث . **ان مسرحنا الشعبى أقدم من أدب «شوقى» وأقدم من فرقة « سليم النقاش » . ولكن المؤرخين الرسميين للعهد البائد قد أهملوه تجنبا فى أكبر الظن لما احتواه من نقد اجتماعى وخلقى وسياسى يصيب أسماعيل ، ويمزق هالة الاجلال والتمجيد التى حرصت على نسجها حول شخصيته الافلام المرتزقة** . . لاسيما وقد أصبح مؤسس هذا المسرح ، بعد نفيه من البلاد ، عدو اسماعيل اللدود وخصمه العنيد ، فلقد وقف له فى فرنسا بالمرصاد ، ومضى يشهر بفساده ، ويخاطب الفلاحين بلغتهم العامية على صفحات مجلته الفكاهية الساخرة ليثيرهم على ظلم «شيخ الحارة» وجشعه وحماقته .

الشيخ أبو نضارة ... « موليير » مصر !

• **لا ينبغى** أن نجهل اليوم أن مسرحنا الحديث قد نشأ نشأة وطنية خالصة . فقد أسسه فى عام ١٨٧٠ رجل من أبناء البلد ، ذكى ، فطن ، صائب الرأى ، حاضر النكتة ، اشتهر باسم « أبو نضارة » ، كما اشتهر نجيب الريحانى بعده بنصف قرن باسم « كشكش بك » . وقد اتخذ هذا الاسم لانه كان من ناحية ضعيف البصر يحمل عوينات زرقاء ، وكان من ناحية أخرى يريد أن يبرز وظيفة الناقد التى نهض بها ، فهو صاحب المنظار الذى يرى الخافى والبعيد والسر المحجوب عن العين المجردة . أما اسمه الحقيقى فهو « يعقوب صنوع » . وقد ولد عام ١٨٣٩ ، وتثقف فى مصر وايطاليا وفرنسا ، فأضحى يجيد العربية والايطالية والفرنسية ، وراح يشتغل بتدريس

هذه اللغات أو تدريس الفنون الجميلة للامراء وعائلات رجال القصر فى ذلك العهد . غير أنه كان يجد لذته فى معاشرة رفاقه من عامة الشعب فى مقاهيهم البلدية ومنتدياتهم وأسمارهم .

مسرحنا وليد الوطنية

• **وما كان** أكثر تلك المقاهى والمنتديات والاسمار ! فقد أخذت مصر اذ ذاك تستيقظ من سباتها . وكانت تصرفات الوالى وحدها ــ وهى حافلة بالظلم الصارخ ــ خليقة بتأليب الشعب عليه . فى هذا الجو ظهر الرأى الوطنى ، وظهر مجلس النواب ، وظهرت الصحافة الشعبية ، وظهر التمثيل . كانت الصدور تضطرب بالسخط والنقمة ، وكانت الضمائر تنشد الانصاف والعدالة ، وكانت النفوس تصبو الى الحرية والخلاص من الاستبداد ، فلم يكن بد من متنفس ، ولم يكن مناص عن التعبير ، فتحركت الالسنة وتحركت الاقلام قبل أن تتحرك صفوف الجيش ويعلن عرابى الثورة على الخديوى . هكذا كانت نشأة التمثيل فى مصر الحديثة ، تلبية طبيعية لحاجة وطنية ملحة ، ولشعور شعبى مكبوت يريد أن ينفجر وينطلق من عقاله . وفى ذلك مايشرح النجاح الهائل الذى حظى به مسرح « أبى نضاره » فى مدة وجيزة .

ولندع الكلام لمؤسس هذا المسرح ليحدثنا عن خطواته الاولى ، فهو أدرى الناس بتاريخه :

كيف تألفت الفرقة الاولى

• **قال** « أبو نضاره » فى محاضرة ألقاها بباريس سنة ١٩٠٢ :

« ليس من اليسير سرد تاريخ مسرحى . لقد استدر هذا المسرح منى دموع الفرح . ولكنه استدر منى أيضا دموع الالم فى كثير من الاحيان . ولد على منصة مقهى موسيقى كبير

يعقوب صنوع « ابو نظارة » كما ظهرت صورته على غلاف مجلته الفرنسية التى كان يصدرها فى باريس

فى الهواء الطلق قائم فى وسط حديقتنا الجميلة ، حديقة الازبكية . وفى تلك الحقبة ، أى فى سنة ١٨٧٠ ، كانت فرقتان — فرقة فرنسية من الموسيقيين والممثلين المجيدين ، وفرقة تمثيلية ايطالية ممتازة — تقدمان للأوروبيين من أهل القاهرة أطيب متعة . وشهدت جميع ماقدمه هذا المقهى الموسيقى ، فان الفرنسية والايطالية لغتان أحبهما أشد الحب وقد درست كبار كتابهما المسرحيين . وينبغى أن أعترف بأن الفصول الهزلية القصيرة ، والمسرحيات الضاحكة ، والتمثيليات

الغنائية والمآسى التى أداها الممثلون على هذا المسرح هى التى أوحت لى بفكرة تأسيس مسرح عربى ، وأعاننى الله على انشائه .

ولكنى قبل أن أشرع فى خلق مسرحى المتواضع ، درست دراسة جدية أدباء المسرحية الاوروبيين ، لا سيما جولدونى وموليير وشريدان فى لغاتهم الاصيلة . وحين أحسست أنى اجيد بعض الاجادة فن المسرح ، كتبت تمثيليات غنائية خفيفة من فصل واحد ، باللغة الدارجة . واقتبست للمقطوعات الغنائية ألحانا شعبية مشهورة ، ولقنت الرواية لنحو من عشرة فتيان أذكياء انتخبتهم من بين تلاميذى . وارتدى أحدهم ملابس النساء ليقوم بدور العاشقة . فلما تم ذلك ، قصدت قصر عابدين وسلمت مخطوط الرواية لخيرى باشا رئيس تشريفات الخديوى اسماعيل ، راجيا سعادته أن يقدم هذا المخطوط ، مع احترامى وتحيتى ، لجنابه العالى ، وأن يذكره بأنه كان قد تفضل فوعدنى ، قبل جلوسه على عرش مصر ، بأن يعضدنى فى قيادة أبناء وطنى فى طريق التقدم والحضارة الشاق . فليتكرم جنابه العالى اذن بتشريف روايتى الصغيرة المتواضعة بنظراته الراعية ، وليتكرم بتشجيعى على تأسيس مسرح لابناء البلد الذين ما كانوا يفهمون بعد شيئا فى الفن المسرحى رغم وجود فرقة «الاوبرا» الايطالية وفرقة «الكوميدى فرانسيز» اللتين أنشأ الخديوى من أجلهما مسرحين فاخرين .

ويبدو أن خيرى باشا — الذى كان يودنى ودا كبيرا — قد استخدم بلاغته كلها للقيام بالمهمة ونجح فى قراءة روايتى لسيده الجليل، فأعجبته وأصدر التصريح بتمثيلها على مسرح حديقة الازبكية .

وأطربت هذه البشرى الممثلين كما أطربتنى ، فدفعتهم الى حفظ أدوارهم عن ظهر قلب ، كما دفعتنى الى استظهار

خطابى الذى أعددته عن فوائد المسرح .

وكان افتتاح مسرحى العربى حدثا مشهودا فى القاهرة . فما أنسى ذلك المساء ، وان أبعدته عنى اثنتان وثلاثون سنة. منذ الساعة الثامنة غصت القاعة بالجمهور ، وفاق عدد الواقفين عدد الجالسين . كان هناك جميع رجال القصر ، وجميع الوزراء ، وجميع رجال السلك السياسى الاوربيين . وتعزف جوقة الموسيقى المؤلفة من مصريين السلام الخديوى وتنشده ، ثم ترتفع الستارة ، فأقدم نفسى للجمهور وأنا وسط أفراد فرقتى . وكان المشهد أمام عينى مهيبا. ولست أبالغ اذا قلت ان نيفا وثلاثة آلاف شخص ، رجالا ونساء ، من جميع الالوان والبلاد وفى جميع الازياء ، كانوا ينظرون الينا . واستقبلنا تصفيق كالرعد وصيحات الثناء بلغات برج بابل كلها . وخفق قلبى بشدة ، ولو لم يسندنى الممثلون من حولى لكنت ترنحت . ويطلب الجمهور أن ألقى الخطاب المعلن عنه فى البرنامج ، فأجمع شجاعتى ، وأغمض عينى لكيلا أتهيب الجمهور الضخم ، وأبدأ القاء خطبتى فى صوت جلى قوى .

وختمت خطابى شارحا لجمهورى المصرى ماهية القطعة المسرحية ، وأوجزت لهم تقريبا موضوع روايتى الغنائية الخفيفة . وصفق الجميع للخطاب ، لا لجدارته ، بل لجدة ماعرضه عليهم . وأسدلت الستارة ، ثم ارتفعت بعد عزف لحن من الموسيقى التركية .

لقد حفزنى نجاح روايتى الاولى على مواصلة السير فى نفس الطريق . ولم يكن بد من تأليف فرقة للتمثيل بمعنى الكلمة تشمل الى جانب عنصر الرجال ممثلات يقمن بادوار النساء التى كان يؤديها فى أول الامر ذكور متنكرون. وأتيح لى العثور على فتاتين فقيرتين جميلتى الخلقة والخلق ، تعلمتا القراءة فى أقل من شهر ، ولم تجدا صعوبة فى حفظ الادوار الصغيرة

التى كنت أتعمد انشاءها لهما فى رواياتى . وكان لظهورهما على المسرح رنة عظيمة ، فقد استقبلهما الجمهور بتصفيق شديد وحياهما تحية حارة ، مما دعاهما الى مواصلة التمثيل وحفظ أدوار أطول وأهم . وما كادت تنقضى بضعة أشهر حتى أصبحتا كوكبى المسرح الناشىء ، الذى قدمت عليه أثناء سنتين ، اثنتين وثلاثين رواية من تأليفى المتواضع يقتصر بعضها على الفصل الواحد ، ويعرض بعضها مأساة كاملة ، هذا الى جانب ما كان يمدنى به الزملاء من المقطوعات المترجمة عن الفرنسية » .

أين تلك الروايات ؟

• وقد لايخلو حديث « أبى نضارة » عن نفسه من المبالغة ولا سيما فى التقدير بالارقام ، من عدد جمهور حفلته الاولى الى عدد الروايات التى ألفها ومثلها . فقد بحثت عن هذه الروايات الاثنتين والثلاثين — وهى نصوص مجهولة فى مصر ماعدا بعض العناوين — فلم أجد فى أوراق يعقوب صنوع بباريس الا مخطوطا يضم ست روايات باللغة العامية هى « الضرتين » ، « الصداقة » ، « العليل وحلوان » ، « الاميرة الاسكندرانية » ، « أبو ريده البربرى » ، « بورصة مصر » . على أنى وجدت فى مخطوطين آخرين الترجمة الايطالية والترجمة الفرنسية (وهى ناقصة) لرواية عنوانها « فاطمة » ، اختفى مع الايام نصها العربى . وقد كتب أبو نضارة فى باريس رواية باللغة الفرنسية رأسا عنوانها « بو لعلع » ، ولكنى لا أظن انها أخرجت على خشبة المسرح .

طلبة الازهر يمثلون !

• ومهما يكن من أمر روايات يعقوب صنوع وعددها الصحيح ، فقد خلق هذا الرجل فى مصر الحديثة شيئا

جديدا . ونجح فنه وانتشرت بدعته . وما كان أحوج الجمهور الامى ـ الذى لايقرأ الصحف مباشرة ـ الى هذا التمثيل الشعبى الذى يعبر عن مشاعره وهمومه ، ويعالج مشاكله ، ويفتح عيونه ! واذا صدقنا مقالا نشرته جريدة « الازبكية » عام ١٨٧٣ ، بقلم «جول بارييه» ، محرر صحيفة «لاريفورم» فيما بعد ، لاستطعنا ان نلمس مدى شغف الجمهور المصرى بالمسرح فى تلك الايام. فقد ورد فى هذا المقال أن أحد شيوخ الازهر اقتفى أثر أبى نضارة ، وألف رواية شعرية قدمها اليه، فوجدها الفنان صالحة للتمثيل وأخرجها، ولقن أدوارها لبعض طلبة الازهر ، ولقى تمثيلها نجاحا شعبيا كبيرا . **وما زلنا نجهل شخصية ذلك الاستاذ الازهرى وشخصيات تلاميذه ، وما زلنا نجهل موضوع تلك المسرحية المنظومة وغرضها وتأثيرها ، وان كنا نعتقد أنها كانت بلا شك مستمدة من الروح المصرية ، معبرة عنها .**

على أن هذا النبأ القصير المطوى المنسى لخليق بأن يغير الخطوط المرسومة فى تاريخ المسرحية المصرية الحديثة ، ويبدل الآراء التى تجعل من « شوقى » صاحب أول رواية تمثيلية شعرية .

الفكاهة سلاح الشعب

• **ومن** أوضح صفات الشعب المصرى ميله الى المرح والسخرية . فما من شك فى أن الفكاهة كانت مهربه من عناء الحياة ، وملاذه من ضغط الباشا ورجاله ، وتفريجه الطبيعى عن نفسه ، وتلهيته الوحيدة فى أيام العسر ، كما كان التهكم سلاحه ضد قسوة الوالى وعجرفة عماله وفساد الامور من كل جانب . فهكذا كان يتلهى ويتسلى ، وهكذا كان ينتقم لحريته وحقه المهضوم ، حين لم يكن له من سبيل آخر الى الانتقام ...

وبالفكاهة والضحك يتميز مسرح يعقوب صنوع . وفيـ
يلى أربع من رواياته القصيرة : « ملعوب الحدق » ، « عشـ
جمال هانم » ، « شيخ الحارة » ، « جرسة اسماعيـل »
جمعناها من أعداد مجلته النادرة « أبو نضارة » ، التى واصـ
اصدارها فى باريس ، ولم تكن تدخل مصر الا سرا ، فى غفلة
رقابة الحكومة . وهى سلسلة تصور لنا آخر أيام الخديو
اسماعيل . لقد كان «أبو نضارة» يتردد على قصوراسماعيل
ويعرف الكثير من خفاياها ، ويتسمع اصداء ما يضطرب
« الحريم » من حياة مستترة . ولم يمسك عن نقد هـ
الوالى والتشهير بفساده ، حتى بعد عزله وتشريده ، فالروا
الاخيرة تتعقب اسماعيل فى باريس . لهذه الصفحات الـ
قيمة الوثيقة التاريخية، اذ أنها تذكر من تفاصيل العصر ما
يرد فى الكتب المتداولة ، وما ينبغى أن يستعين به المؤرخو
اليوم لتصحيح تاريخنا فى القرن الماضى . ولا ادل على احساس
يعقوب صنوع بتطور الوعى الوطنى من روايته «شيخ الحارة
— وهو يعنى بالحارة « مصر » وبشيخها « الخديوى » —

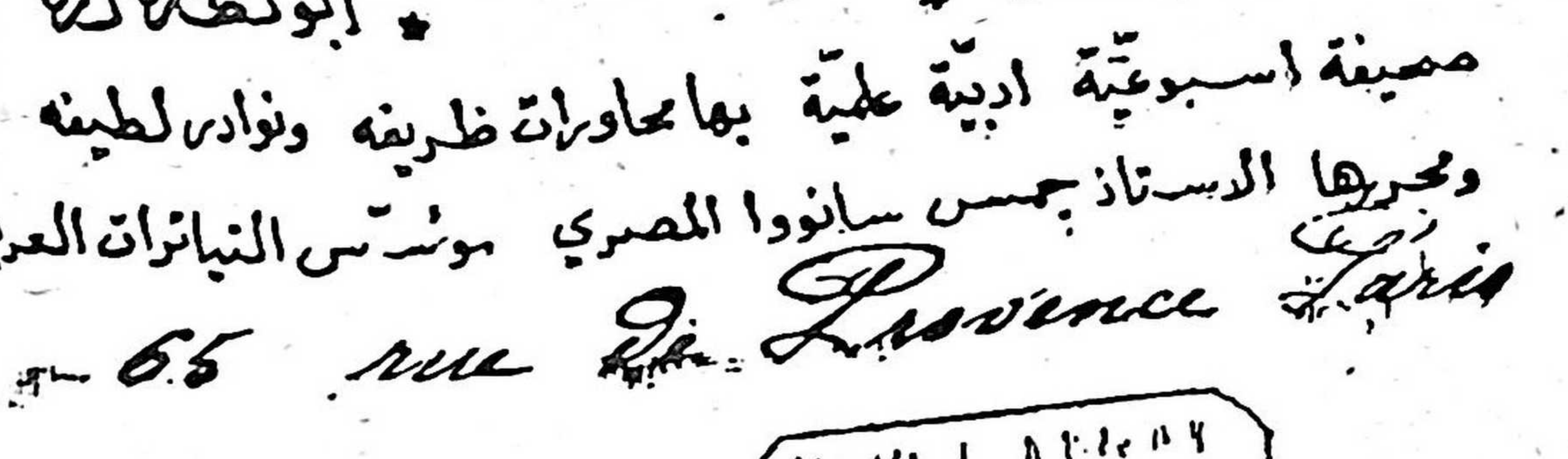

ترى على هذه الصفحة والصفحة المقابلة صورة زنكوغرافية
لرأس غلاف مجلة « أبو نظارة » التي كان يصدرها « يعقوب صنوع »

ففيها يتنبأ بخاتمة اسماعيل وبالثورة العرابية .

ويرمز يعقوب فى الرواية الاولى الى الخديوى « عزيز مصر » باسم « عزيز أوغلو السنجق » . ولا يتسع المقام هنا لتحليل فن أبى نضارة تحليلا وافيا . انه يسمى شخصياته ويلقبهم بالالفاظ المعبرة عن دخيلة كل منهم والقادرة على تعريف دوره للقارىء . فما « توقيف » الا « توفيق » ، وما « غبار » الا « نوبار » ، وأما حسن وحسين ، ابنا اسماعيل ، فقد أصبحا « نحس » و « نحسين » .. الخ . وقد يوحى أبو نضارة الى قارئه بانه لا يكتب عن عصره ، بل يروى حوادث وقعت « فى أيام الغز » مثلا ، ولكن القارىء لا يخطىء الفهم قط . هكذا كان « لابروير » ينقد المجتمع الفرنسى فى اواخر عهد لويس الرابع عشر ، متفننا فى اختيار الاسماء المستعارة ، وكان الجمهور هو الذى يتولى التأويل . على أن ادب يعقوب صنوع لا يخشى الصراحه ، ولا يتهيب التعبير المباشر ، فاذا تنكر وراء شخصيات خيالية، فانها شخصيات ذات سند مزعوم من التاريخ أى أنها تنتمى الى الواقع الذى

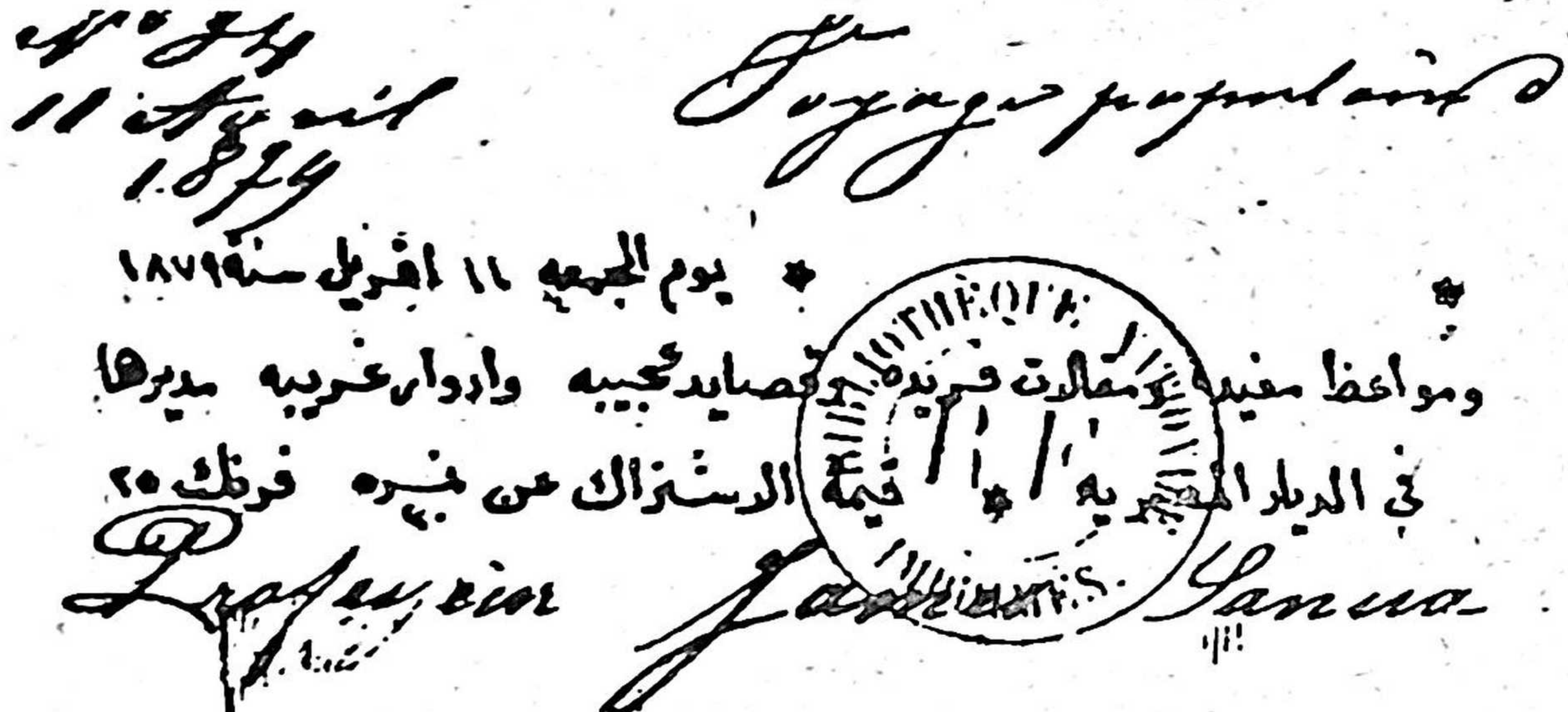

من منفاه فى باريس ، وكان من بين المشتركين فيها فى مصر الزعيم « أحمد عرابى » والشاعر الوطنى « محمود سامى البارودى » .. الخ

جرى فى مصر ذات يوم .

وليس الضحك الذى تقدمه هذه الصفحات من قبيل الهزل المطلق الذى لا يهدف الى أبعد من التلهية الجوفاء ، وانما هو ضحك السخرية الفطنة التى ترمى وتصيب وتصرع .
أمامنا الضابط المصرى الباسل الذى يتعقب جرائم الاسرة الخديوية ويأبى أن يتورط فى أوزارها ، والشيخ المنافق الذى يعبث – فى مرونة العالم – بالقيم والمعانى والالفاظ ، واسماعيل الذى طغى وبغى واستنفد ثروة مصر فى مجونه واستذل الشعب الكريم ، وهذا الشعب الذى تكاتف أفراده من الطلبة وأولاد البلد الممتازين بالاقدام والذكاء ، كما ترمز الى ذلك تسمية أحدهم « مجدع » والآخر « الحدق » ، وغليان تلك الثورة المكبوتة التى لم تلبث حتى انفجرت وأودت بسلطان الخديوى لولا تدخل الانجليز ... انها صورة حية نابضة ناطقة .

لم يفقد هذا الحوار المفقود طلاوته ولذعه . ذلك أنه ينبع من صميم واقعنا . كل شخص يتكلم لغته الخاصة ، « فالشيخ ياسين » يمزج بالعامية ألفاظا فصيحة ، و « سعد خوش » تتحدث بلهجتها التركية ، والجوارى بلهجتهن السودانية . ويضيف أبو نضاره الى هذه الالوان الطبيعية ، لونا من الفن المبتدع على نمط النثر العربى المسجوع ، يصطنعه فى بلاغة شعبية بارعة ، تجلوها لنا روايته الاخيرة « جرسة اسماعيل » ولعل فى جمال اسلوب هذه القطعة ما يشفع لانحراف بعض ألفاظ الحوار واقترابها من الاسفـاف أحيانا ، فان واقعية الادب الشعبى لا تتكلف النظافة دائمـا . **لقد كان يعقوب صنوع ، الصحفى والممثل ، فنانا فى نضاله . وينبغى اليوم أن نفسح له مكانا ، لا فى تاريخنا السياسى فحسب ، بل فى تاريخنا الادبى أيضا ، وان يكون ذلك الا بالوقوف على نصوصه الضائعة ، ونشرها بين أبناء هذا الجيل المتحرر .**

رسم بريشة ((أبو نظارة)) نشره على غلاف مجلته ، وقد كتب تحته ((ديوان خلخال اغا ، ناظر حريم آم عزيز أوغلو السنجق))

ملعوب الحدق

(لعبة تياترية حصلت فى أيام « الغز » . وأشخاص اللعب هم : « خلخال أغا » ناظر حريم أم عزيز أوغلو السنجق ، و « الشيخ ياسين » صديقه ، و « حافظ أفندى » مملوكه ، و « على أفندى الحدق » جهادى من أركان حرب ، و «سعد خوش» جارية بيضاء ،وجاريتان سود ، ومرجان أغا طواشى « سعد خوش » هانم) .

المنظر الاول

(خلخال أغا ، والشيخ ياسين)

خلخال أغا (يتمطع ويتفصع ثم يتثاوب ويقول) : يارسول الله

الشيخ ياسين : يارب البيت !

خلخال أغا : آه ياشيخى ، والله ما فى الارض أشقى من الاغاوات ولو أطعموهم اللوز والسكر زى ما يقولوا

الشيخ ياسين : من يقول الكلام ده ؟ والله مايوجد أسعد منهم فى الدنيا ، لانه قيل عنهم انهم ملايكة بنى آدم . وفى الآخرة ربنا سبحانه وتعالى مخصص لهم أعظم وأفخر محل فى جنة عدن ، وأجمل الولدان والحور مستعدين لخدمتهم .

خلخال أغا : أى نعم ، انت مسلينى على همى . والله انك شيخ مدردح وابن فن ، انما أبو خليل ماهوش جاى ؟ طمطميس مايعرفش الجمعة من الخميس !

الشيخ ياسين : استغفر الله ! سعادتك سيد العارفين . دانت لله الحمد حفظت القرآن الشريف وحضرت على أعظم وأفقه المشايخ ، ما خليت شاعر من شعراء العرب الا وقرأته بإسم الله ماشاء الله ،

خلخال أغا : ياريتنى لا قرات ولا حفظت ولا تعلمت ولا عاشرت، لانى اذا كنت فضلت فى جهلى كان أحسن لى ، كنت تور الله فى برسيمه لا أعرف الطيب من الردى ، انما دلوقت اللى باقرا الجرانيل العربى والتركى ، وحبيبى اسكندر أفندى بيترجم الفازيطات الافرنجيـة ، فقت من غفلتى وتأملت فى مصيبتى فرأيت نفسى أشقى مخلوقات الله ، لان ليلا ونهارا عينى تشاهد الجنة وقلبى مشتعل بنار جهنم .

الشيخ ياسين : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

خلخال أغا : امال ايه لما أشاهد الجمال واللطافة والظرافة والعيون السود اللى قال فيهم الشاعر :

ان ابصرت قلبا خليا من الهوى قالت له كن مغرما فيكون

الشيخ ياسين : الله الله يا سيدى ...

خلخال أغا : دول عيون الجوارى البيض اللى باشاهدهم كل يوم وباتحسر وباسخط على الذوات اللى هم سبب سوء حالى . والله لو كان الحكم فى يدى لكنت أطوش كل السناجق وأولهم غزيز أوغلو الملعون اللى والدته الكركوبه بتسقينى المر من كيعانى . !

الشيخ ياسين : الصبر جميل يا ابنى لان النبى صلى الله عليه وسلم قال السلام عليكم بالصبر ، فان لا ايمان لمن لا صبر له . وقال الشاعر :

انى وجدت وخير القول أصدقه للصبر عاقبة محمودة الاثر

خلخال أغا : انت يا شيخى بتقول كدا لانك ما جربتش . انت تزوجت يجى عشر نسوان وانبسطت ولك أولاد ، انما أنا المسكين لما اطلع الحريم وأشوف السرارى اللى كل واحدة منهم تقول للبدر غيب وانا أحضر بذالك ، تغور بى الدنيا وأبقى أقول فى نفسى يعنى ذنبك ايه يا خلخال عملت ايه حتى ربنا يحرمك من لذات الدنيا ؟

الشيخ ياسين : ده ربنا ريحك منهم يا سعادة الاغا .

يا بختك ! ده قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم انهن ناقصات العقل ، وقال أيضا شاوروهن وخالفوهن لان البركة فى خلافهن .

خلخال أغا : انما قال فى محل آخر حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة .

الشيخ ياسين : ده أنا ما بقيتش أخاف عليك يا ابنى بسم الله ما شاء الله صبحت لبيب وفصيح ،

خلخال أغا : احنا يرجع مرجوعنا للوالدة . دى يا افندى وحياة النبى زينب اياها اللى عملت التسعة ودمتها ما تجيش نقطة فى بحرها . اسكت يا شيخ ياسين دى عاطية للفساد استحقاقه . ياخى يا ريت تاخد غيتها من الجدع الحلو من دول وبس ، لا يا سيدى دى لما تزعل منه تأمر بموته ، يا خسارة الجدعان اللطاف يا ناس ! وانا ياما بأقول لها ياستى الكبيرة ارحمى ده ما يحلش من الله ، طيب الشبان دول ذنبهم ايه ؟ اما هنا من يقرأ ومن يسمع ؟ ده احنا لما كنا فى الخلا كانت بسلامتها حطت عينها على أولاد الجهاديه ، وبعدماتدورهم على الساقية وماتخليش فيهم حيل تجيب خبرهم . فلحظ ناظر الجهادية ودوس دغرى راح للجندى وحكى له العبارة من طقطق لسلام عليكم ، فانحمق عزيز أوغلو على الوالدة ، فبكت بنت . . . ، فحن قلب السنجق ولو أنه من الغز ، وعلى شأن خاطرها امر برفت ناظر الجهادية .

الشيخ ياسين : أعوذ بالله !

جلخال أغا : والعالم بتظن انى مبسوط . والحال انى سىء البخت . والكم قرش اللى كنت حوشتهم ، السنجق حط عينه عليهم فالتزمت أعطيهم له والا كان يرمينى فى داهية من دول . أعمل ايه ؟ انما الموت مع الناس رحمة لان السنجق ما خلاش حد الا ونهب جميع ما عنده . ابتدا بعمه وما خلى لا وراه ولا قدامه ، فالتزم ينفد بروحه المسكين وبعدين اندار على

الذوات ورمى البحر وسم وغدر ونهب وما أشبه . ودلوقت لما زنقوه الافرنج احتال على امه ولحس منها اطيان عظيمة ، ومن اولاده كمان . والآن اللى ربنا سعفه بالسلفة من سلطان الكنوز قال رايح يزوج باقى اولاده على شان مايقول انه صرف السلفة فى الفرح وانه لا يمكنه دفع ديونه .

الشيخ ياسين : دى فشرت ملاعيبه . وبشرط ان كل اللى بيحصل ده كان تنبأ به ابو نضاره . وكيف أن الجندى بيسمع الكلام ده ويسكت ؟

خلخال أغا : ده رفع عن وجهه برقع الحيا . ياخى دعنا من سيرته (يطرق كف على كف ويصيح قايلا) جال يا ظاهرجال .

المنظر الثـــانى

(حافظ افندى المملوك وبيده شبق يقـدمه لخلخال اغا ومصطفى الفراش بعدة القهوة والمذكورين)

حافظ : افندم تفضل الشبق والقهوة

خلخال أغا (يشد نفس مكن ويشفط له شفطة قهوة صنعة ويقول لحافظ) : الدربكة ايه دى اللى برا ؟ الصورة ايه ؟

حافظ : خير يا سعادة الباشا .

مصطفى : خير ايه وعز الدين ايه ؟ ما تحكى له يا شيخ

حافظ (الى مصطفى) : والله برضك حشاش ! لما سعادته يشرب القهوة نبقى نقول له .

الشيخ ياسين : حافظ افندى صاحب ذوق .

مصطفى : أدحنا سكتنا يا عم . **(الى حافظ)** اهو شرب الفنجال ، أحكى له بقى يا ملك .

خلخال أغا : هات يابو حافظ من تحايفك

حافظ : مافيش حاجة يا سيدى .

مصطفى : مافيش حاجة ازاى ؟

الشيخ ياسين : طيب أحكى انت انما اتكلم زى الناس لان

غالبا حديثك حشاشى .

مصطفى : ده لما أشد انما احنا لسه مااصطبحناش،يافتاح يا عليم ! (الى خلخال) بقى شوف يا سى الاغا ، الظاهر ان على افندى الحدق الجدع العسكرى الواد اللمع ده اللى جالك من كام يوم وتدهلز عليك وجوزته الجارية البيضا ماحط ، ولما مرجان أغا اللى سعادتك أعطيته له على البيعة طلب منه النهارده مصروف البيت قال انه مفلس .

الشيخ ياسين : قليل الحياة مذبلح !

مصطفى : قول فيه اللى يعجبك أهو انبسط بالبنت الحلوة تلات اربع ايام ويمكن عشرها وداوقت مراده يفك منها بصنعة لطـافة .

حافظ (ينظر من جهة باب القصر) : ده على افندى كمان جاء وسعد خوش هانم والجاريتين السود ومرجان أغا

خلخال : طيب اطلعوا أنتم وخلوهم يدخلوا جميعا .

حافظ : حاضر (يخرج مع مصطفى) .

المنظر الثـــالث

(على افندى الحدق وسعد خوش ومرجان أغا والجاريتين السود والمذكورين)

على افندى : السلام عليكم

خلخال : (يقول بأمارة) بلاسلام بلا كلام . الخبر ايه ؟هى الهوانم تخرج من بيوتها كدا ؟

مرجان : انا قلت له ما يصحش يا حضرة لافندى ده خلخال اغا يزعل ، فقال لى يزعل على نفسه انا مالى .

الجاريتين : دى كانت ياسيدى عاوزه تبيعنا فى السـوق وتاكلى حجنا

سعد خوش : أمان يالالا افنـدى هظرتلرى جـوق جوزل وهمتلو ومرؤتلو زيادة لكن امان فنطزية جوق باره يوق

مرجان : هو لحق يعمل فنطزية ؟ ده بقى له أربعة أيام متزوج ماصرفش فيهم اتنين جنيه .

الجاريتين : والله ياسيدى افندى وكلتينا بصارة

الشيخ ياسين : أعوذ بالله !

على افندى : اسكت انت يا شيخ والا روح صلى فى الجامع واطلب من ربنا يغفر ذنوب سيدك

خلخال : والله ماحد مذلب وخاطى غيرك يا خرسيس .

على افندى : ماتطولش لسانك لان أولاد الجهادية ماينستحملوش . احنا أصحاب شرف ولا نخاف من الموت قط فاذن الويل لمن يهيننا بكلمة !

خلخال : انت جيت هنا عندى وقلت لى ان عندك مناية وخمسون فدان طين .

على افندى : الجهادى عمره ما يكذب . المايه وخمسون فدان طين خلفهم لى المرحوم والدى ، انما التزمت النشةذى أتنازل عنهم واتركهم للميرى لان سيدك عزيز أوغلو السنجق كان يخطلنى تمتهم الطاق اتنين كل سنة فى الفوايد والرى والمقابلة : فأنا فى مقابلة ظلمه قلت له خذ الطين اتشبع به : فكدا ماكذبتش عليك يا اغا : ومن خصوص الماهية ماهيش عشرة جنيه بل خمستاشر ، وحيث ان صار لى سنة ماأخذتش ولا بارة فالمايتين جنيه هم استحقاقى . بقى الخرسيس يعنى الحرامى بلساننا ماهوش انا . لا ، الخرسيس هو اللى نهب البر وحرق وشنق وسم وغرق العالم . هو الخرسيس ، مش احنا يا عسكر اللى حطينا أرواحنا وشرفنا فى يده وصبحنا عار بين جنود الدنيا . أولابعتنا جهة بلاد أبوك نحارب ناس اللى عمرهم ماعملوا لنا اذية والقصد أن نحرمهم من حريتهم فرحنا فى أرض لا نخبرها وجعل لنا ضباط لا نفهم كلامهم وعدد قليل من العسكر بالنسبة لهم فغلبونا ونعلوا خاشنا واخذوا منا أفخر شبان الجهادية وأرسلوا الى

سيدك صندوق كبير وفيه من الاعضاء التى أنت مخروم منها ثم انه ارسلنا بلاد الترك تحت رياسة نحس افندى ابنه فهتكنا وجعلنا مسخرة لان فى وقعة مهولة بين الترك والروس بسلامته مارضيش يطيع أمر رئيس جنود الترك ووقف يتفرج زى العريس واحنا صرنا نبكى متخزيين والترك يصيحوا قايلين امان ساعدونا يامسلمين ونحس افندى يقول نونو بقى انت يا أغا افتح عينيك تمنتاشر لانى أنا مقايس على الموت أنا وجميع اخوانى فحيث ان الشيخ هنا فيكون شاهد (يقول لسعد خوش) ووجى ظالفة بالتلاتة :

سعد خوش : امان امان ! وانا عملتى ايه يا افندى ؟

خلخال : بقى ده اسمه ملعوب ؟

على افندى : ده ملعوب الحدق ، إما ملعوب المجدع ده لسنه علية غلوه :

خلخال : طيب انا ارسلك الطبطية تدفع هناك المتأخر

على افندى : فى الكم يوم دول مترجان اغا حكى لى كل ماحصل فى حريم الوالدة ورنسيت على اسرار عظيمة اذا عرفتها للناس الجندى يلتزم يشنقك . فهمت جنابك ؟

الشيخ ياسين : يا حفيظ ده ماهوش بنى آدم ده شيطان ! أنت علشان خاطرى اعفى عنه والمعوض كريم . سعد خوش بمنا طريقة تلاقى أحسن منه .

خلخال أغا : روح ياحدق لحال سبيلك .

- ٢ -

((عشق جمال)) هانم

(محاورة بين سى مرجان اغا والشيخ منصور وجعفر أغا وعلى افندى وعشق جمال هانم فى سلاملك من سلاملكات فرعون .)

المنظر الاول

الشيخ منصور : دستور !
مرجان : تفضل ياسيدنا .
الشيخ : السلام عليكم .
مرجان : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ايش حالك ياسيدنا ؟
الشيخ : طيبين بحسك يا ابنى . ربنا مايحرمنا منك .
مرجان : الله يحفظك ياسى الشيخ .
الشيخ : أما اليوم برد موت يا ابنى وانا وحياتك بارتعش وبانتفض من شدة السقعة .
مرجان : لما اقوم اجيب لك يا سيدناصمور تلبسه يدفيك .
الشيخ : بلا تعب دلوقت يا ابنى تبقى تأمر لى بالفروة قبل مانطلق للدار آخدها معى ، أما الآن جسدى حران من الخارج وبردان من الداخل .
مرجان : ماتقول كدا من الاول كنت أفهم .
الشيخ : اختشيت ياابنى .
مرجان : ومرادك تشرب ايه ياشيخى : كنياك أو نبيذ ؟
الشيخ : الكنياك يحرق فى الزور وتطلع ريحته من الحنك أما نبيذك البوردو العال باسم الله ماشاء الله يصخن البدن وينكتم فى المعدة .
مرجان : انما ده حرام فى الديانة وانت كنت قلت لى حديث فى حق الخمر وهو جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وقال أبو الفضل عبد الله بن احمد :

تركت النبيذ وشرابه وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل طريق الهدى ويفتح للشر أبوابه

الشيخ : فى أيامها ياابنى ماكانش فيه لا كنياك ولا بوردو ولا شمبانية .

مرجان : انما جميع مشايخ الازهر ماتشربش نبيذ أبدا ،

الشيخ : دول فقراء الحال ، والشيخ المهدى كبيرهم مابيطولهمش خمسة فضة وحتى الجراية اللى بيعطيها لهم معفنة . أما احنا يامشايخ الاغوات كلنا صبحنا الافرنكه زى أسيادنا وغير ذلك . أعلم ان الخمر ممدوح وقال فيه كسرى « النبيذ صابون الهم » ومن هنا أخذ الشيخ السبكى وقال :

وكنت اذا الحوادث دنستنى فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤوس الهم عنى لان الراح صابون الهموم

مرجان (يقوم بجيب زجاجة نبيذ وكاس ويناولهم للشيخ): كمان بيتين زى دول أنا فى عرضك ياسى الشيخ !

الشيخ (يملأ ويشرب) : محبتك ياسى الاغا !

مرجان (باللغة التركية) : شفالر السن افندم .

الشيخ : قال ابن الوكيل رضى الله عنه فى النبيذ :

وليست الكيميا فى غيرها وجدت
وكل ما قيل فى أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن
يعود فى الحال أفراحا وينقلب

وقال المأمون رحمه الله :

أما ترى الدهر لا تفنى عجائبه
والدهر يخلط ميسورا بمعسور
وليس للهم الا شرب صافية
كأنها دمعة من عين مهجور

مرجان : الله عليك يا زينة المشايخ ! اشرب وانبسط !

المنظر الثانى

(جعفر أغا والمذكورين)

جعفر : أهو لافندى جارنا اللى بعتنى أناديه جبناه

مرجان : طيب قول له يتفضل . وانت اطلع الحريم قبل ايادى الست وقل لها اننا وجدنا عريس لعشق جمال ، تأمرها تاخد بقجة حوايجها وتنزل والشيخ هنا يجرى اللازم .

جعفر : حاضر (يخرج)

الشيخ : ده احنا كل يوم بنزوج جارية ففى أقرب وقت الحريمات تصغر.

مرجان : ده من باب التوفير . أهو كدا أمر الجندى .

المنظر الثالث

(على افندى والمذكورين)

على افندى : خيرا يا سعادة الاغا .

مرجان : هانم افندى.أمرت لك بيضا والشيخ هنا يكتب الكتاب

الشيخ (يندار ورا مرجان ويشرب وهو يقول) : مبروك يا ابنى .

على افندى : أما أنا لى ثلاث نسوان وزعلان منهم والله

الشيخ : يا ابنى زيادة الخير خير

مرجان : أهى عشق جمال هانم اسم على مسمى

المنظر الرابع

(عشق جمال وجعفر والمذكورين)

عشق جمال : صباح شريفكر خير أولسن افندم .

على افندى : انا ما اعرفشى تركى .

الشيخ : البنت تعلمك .

جعفر : عشق جمال عزيزة عند افندينا .

على افندى : ربنا يهنى سعيد بسعيدة، اما أنا مااتجوزش. الجواز بالنبوت ؟

مرجان : شوف يا افندى كل زملاتك امتثلوا لامر الجندى.

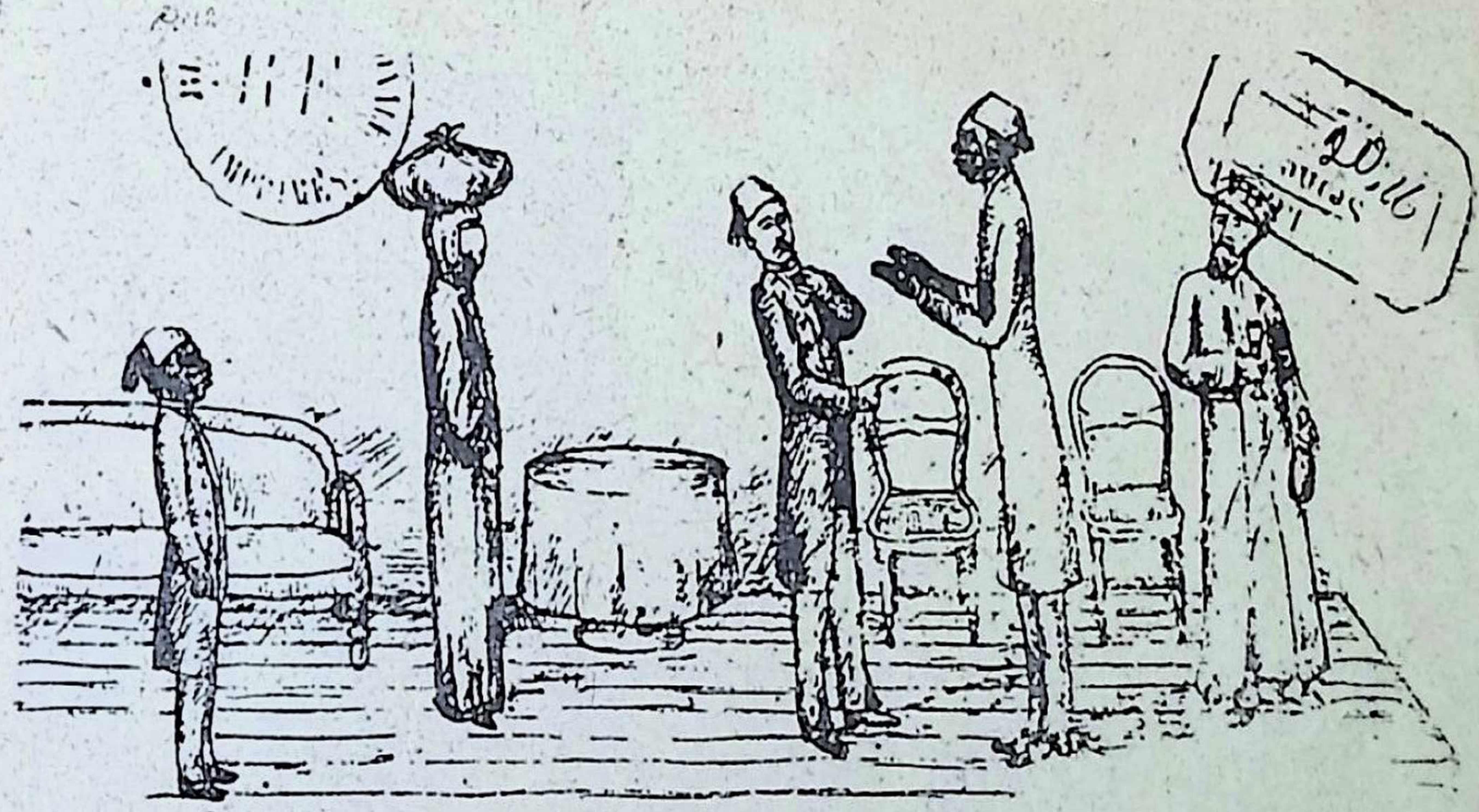

خذ البنت بالتي احسن وانجز والا الجندي يزعل

رسم بريشة «يعقوب صنوع» نشره على غلاف مجلته، وقد كتب تحته عبارة من حوار المسرحية المنشور مع هذا الكلام ، ونصها : « خذ البنت باللتى أحسن وانجر والا الجندى يزعل »

خد البنت بالتى احسن وانجر والا العزيز يزعل واحنا هنا فى قصر النيل وانا اخاف عليك من الماء البارد فى الشتا

على افندى : قابل يا سيدى بس لكونى ماحط أرجوك تدفع لها الطلمبة وورقة الشخصية والعوايد والدواهى الحارة كلها .

الشيخ : أنا ادفع لها يا ابنى علشان خاطرك . مع السلامة

على افندى (وهو خارج يقول) : لك فى دى حكم يارب :

عشق جمال (تبوس يد الشيخ ويد مرجان وتخرج وهى تقول سرا لعلى افندى) : ماتخافش ياعينى مانيش جايه معك : انا لى حبيب أفرنجي رايحه عنده !

على افندى (يقول فى نفسه) : ياما فرج ربنا قريب (يخرج)

-٣-

شيخ الحارة

(لعبة تياترية حصلت فى أيام الفراعنة . واشخاص اللعب هم : شيخ الحارة وشخلعتو هانم وشمعدان أغا حريم وتوقيف افندى ونحس ونحسين ورياض وابو الحلم ومجدع الجهادى وحدق ابن البلد وعمر شهامه فلاح)

المنظر الاول

(فى أودة نوم شيخ الحارة فى طلوع الفجر شيخ الحارة وشخلعتو هانم)

شيخ الحارة : اه واواه ! فين ايام الهنا والسرور ؟

شخلعتو هانم : مالك يا افندميز ؟ انتى زعلانه لايه ؟ انتى عين بتاعك مش اقفلتو طول الليل . . . آه ياسيدى انتى زمان

حبيتو كتير شخلعتو هانم ، وبوستو هى فوق خدك بتاع هى الاحمر ، ودلوقت ياسيدى مش عاوزه تشوفى الجارية بتاعتك بعينك الحلوة . أنا لسه جوزيك والنبى بضى ياعينى !

شيخ الحارة : انتى فى الواقع بديعة الجمال يا شخلعتو انما أنا بالى ماهوش رايق . اسكتى ياهانم لو علمتى بحالى كنتى تعيطى والله .

شخلعتو : مالك ايه يا سيدى ؟ ماعندكيش باراسى ؟

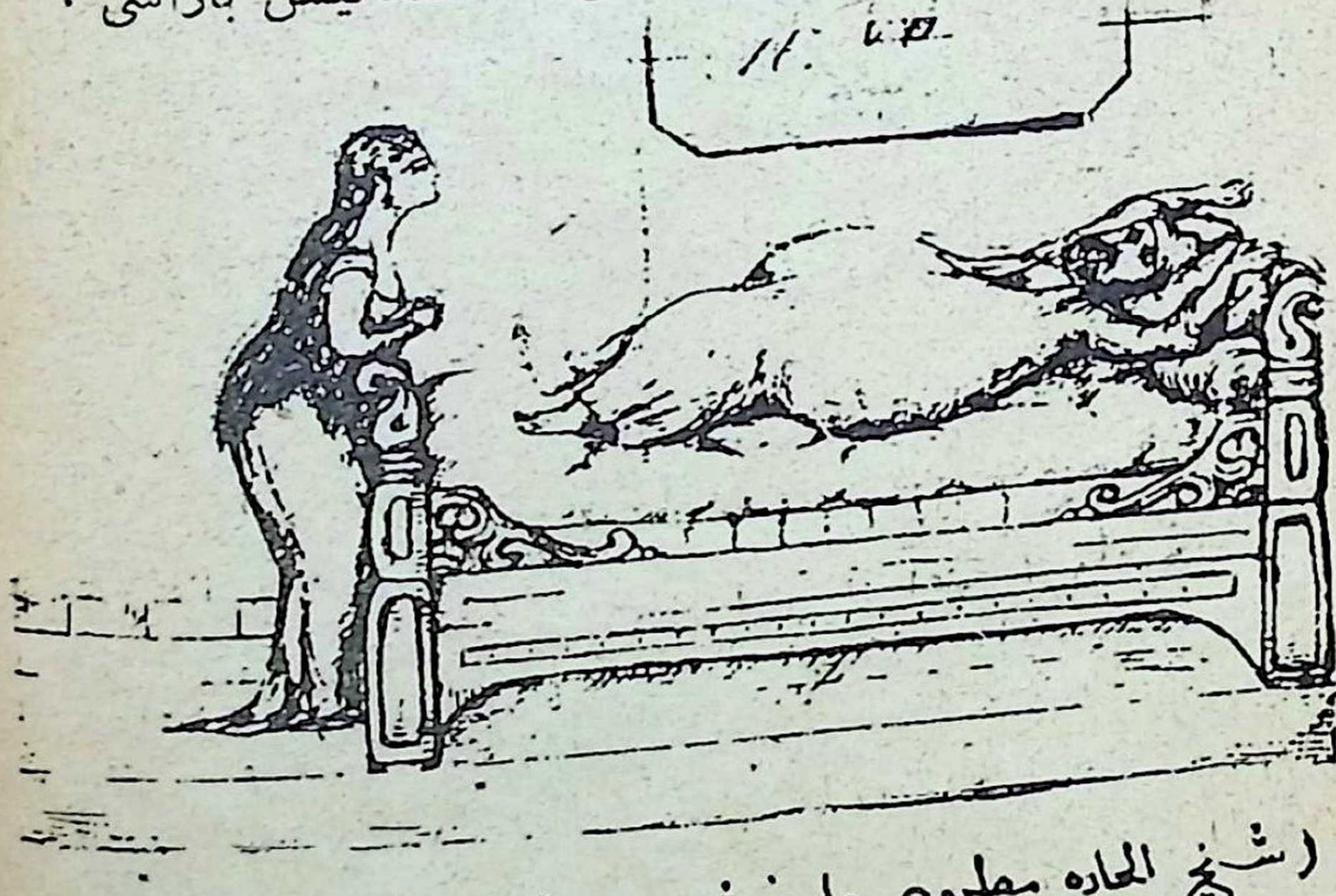

رسم آخر نشره « أبو نظارة » فى مجلته ، يرى فيه « شيخ الحارة مطروح على فرشه يقول لمشخلعتلو هانم : افرقينى . ما بقاش فى حيل . صبحت قطيع »

شيخ الحارة : الباراسى كتير فى السهاريج . وهم الباراسى دول اللى جايبين لى وجع الدماغ لان العـدوين حطوا عينهم عليهم . انمـا وحياة راسى ماهماش طايلين منهم ولا بارة . أنا برضى ابو السباع وباذن الشيطان اللى انا متخاوى معـه اغلبهم .

شخلعنو : اضربيهم ياسيدى . (تتاوب) أنا ماغمضتوش عينك بتاع أنا يا افندميز .

شيخ الحارة : ادخلى قصرك ونامى .

شخلعنو (تبتسم) : انتى مش عاوزه من جاريتـك حاجة ؟ انتى تعبانة ياسيدى ؟

شيخ الحارة : والله يا بنتى مابقاليش حيـل ، وصبحت قطيع ، الله يقطع اللى جابوا خبرى . روحى ياحبيبتى نامى (يبوسها) .

شخلعنو : خلتيكى بعافية يا افندميز (تخرج)

المنظر الثانى

(شيخ الحارة لوحده)

شيخ الحارة : راحت عليك يا ابو السباع ! آه . . . الله يلعن اليوم اللى فيه توليت شيخ حارة . ده كان يوم نحس . وأنا كان مالى ومـال الشبـكة دى اللى زى الطين ؟ المكتوب على الجبين تراه العيون . نعمل ايه فى طمع الدنيا ؟ أدينى صبحت أشقى مخلوقات الله والخـوف قاتلنى . مـايتين عسـكرى ومدفعين حول سرايتى وبرضى مرعوب . وكل ما اسمع حد قابل على اتفزع ، وقلبى يطب ، واقول فى نفسى أهم ضبـاط الجهادية وتلامذة المدارس وأولاد البلد والفـلاحين جايين ينتقموا منى ويقبضوا روحى وياخـدوا مفاتيح السـهاريج وينهبوا الاموال اللى لميتهم بغاية التعب والمشقة . . بلا هلس ! ده انا سيدهم فى المكر ولا أخاف من ملك الشـياطين . امـا

الجماعة مستحلفين لى بقطعة علقة صنعة . ما يطلعش من يدهم حاجة . البصاصين كتير ومأمور الضبطية جدع ولى حبايب أصدقاء بين الضباط والتلامذه وبيعرفونى بكل اللى بيحصل يومى . أما أبو نضاره اللعين راح جدد له جرنال تانى وقال فى حب الوطن . أهو زى الكلب اللى بينبح خليه يعوى .. آه يا اسماعيل !.. انت بتسلى غلبك وهمك بالكلام ده انما قلبك بيرجف وضميرك فى قلق . أهو الليل بيفوت بطوله وعينك ما بتدوق النوم . آدينى سامع تشخير الاغاوات يابختهم ! دول مبسوطين ولا هم عارفين الدنيا بتعمل ايه والناس اللى ماتفهمش الصورة ايه تقول عليهم دول مساكين لكونهم محرومين من لذات الدنيا ، آه يا مغفلين..! والله ما احد محروم غيرى أنا لكونى ما باستلذ لا بأكل ولا بشرب من خوفى ان خدامينى يسمونى . ولما اخرج من البيت كلما أعدى على شارع واجد فيه زحمة يبان لى ان يوم القيامة جاء ، وانظر يمين وشمال ، ومن لحظة للحظة يتراءى لى ان العالم رايحه تهجم على عربيتى وتهلكنى . يا أخى لا ! والله انى مجنون ! هو أنا فى أوربا ؟ احنا فى مصر وأولادمصر يخافوا من خيالهم . دول ناس ذرطه من غير مؤاخذة تطيرهم والا ماكنتش خلصت من ايايديهم يوم قيامة الضباط . ادينى باعمل كيفى ولا حد قادر على . « غبار » طلعت عليه ضامه وشقلبته رغما عن انف مشايخ حوارى الافرنج و « فلسن » و « بلانود » دسيتهم فى جيوبى وباذن الله انتصر على شيخ التمن وأحطه هو ووزيره فى الجراب ... الله ينعلكم يا أهل مصر يعنى أنا عملت لكم ايه ؟ أنا شاريكم من عبد العزيز ودايما السيد يفعل فى عبده كما يشا . فلوسكم دى فلوسى وانتم ملزومين تخدمونى بالسخرة والا الفرق بينى وبينكم ايه ؟ أما الفلاحين يموتوا من الجوع . ان شاالله مافضلوا . الفلاح ماهوش بنى آدم ، الفلاح بهيم ، وربنا خلقه للتعب زى التور ، والتور انفع منه

لانه بيعطينى لحمه آكله أما الفلاح نتن وهو حى وبعد موته القبر فيه خسارة . لو كان هنا الخنزير أبو نضارة كان يقول لى القبر خسارة فيك لكونك بتظلم خلق الله . انما أبونضاره نفيناه من حارتنا واهو قاعد بيشحت فى بلاد فرنسا . أهى الشمس طالعة وانا لسه ما نمتش. آه من عيشتى ! ما أمرها ! والعمل ايه ؟ الشيطان يدبرنى (يطرق كف على كف وينادى) يا شمعدان أغا جال

شمعدان أغا (يدخل) : أفندميز

رسم آخر يبين ((شيخ الحارة)) ياخذ كيس الجواهر وملف ((البونات)) ويقول لشمعدان اغا . ((روح قول لهم ادينى نازل .))

شيخ الحارة : انت كنت فين ؟

شمعدان : باش شاويش بعت ندهنى مع مرجان وقال أخبر سيادتك بأن أبو رياض والانجال ورياض منتظرينك فى السلاملك . ربنا يلطف ياسيدى .

شيخ الحارة : السيرة ايه ؟ احكى ياولد .

شمعدان : اهل الحارة قايمة على رجل ودايره تزعق ربنا كريم حليم ياابو نضارة ياالله انصرنا على شيخ الحارة . ولما باش شاويش أمر العسكر تضرب نار عليهم مارضيوش وقالوا له مانقتلش اخواننا علشان خاطر ظالم ..

شيخ الحارة : ادنت يابو السباع (يفتح خزانة حديد ويأخد منها كيس كبير مملوء من الجواهر الثمينة ويوضعه على كتفه . ثم يأخذ ملف جسيم من أوراق ويحطه تحت باطه ويخرج بسرعة وهو يرتعش)

المنظر الثالث

(فى السلاملك : شيخ الحارة، ورياض، وتوقيف ،ونحس، ونحسين)

شيخ الحارة (يدخل الديوان ويقول لرياض) : الدنيا جرى فيها ايه ؟

رياض : كل خدامينك خاينين وأندال واتفقوا مع عدوك الاكبر . وهو جاء ليلة امبارح مع باش معاون شيخ التمن فى اسكندرية الساعة ستة من الليل وبصحبته مجدع وحدق وعمر شهامه رؤساء العصب وفى أقل من ساعة زمن يدخلوا القاهرة وفرقة عديدة من الضباط راحت تستقبلهم فى المحطة وفرقة أخرى راحت على الجيزة ظنها انك هناك .

شيخ الحارة : وانتم ياكلاب نايمين وهم بيعملوا شغلهم ؟

توقيف : لا ياببابا اهو صديقك أبو الرياض جاله الخبر .

نحس : بعد خراب البصره .

نحسين : آهو أحسن من غيره ، ونحن متشكرين أفضاله. ده مسكين جالنا قبل الفجر وأخبرنا بالحاصل واهو كل واحد منا يا بابا اخد معه من خفيف الحمل وتقيل التمن .

نحس : يالله بنا على قصر النيل ، هناك الوابور حاضر .

توقيف : واذا قابلونا فى الطريق حقا يهلكونا

نحس : يهلكوا الندل اللى زيك ، احنا مسلحين ومعنا عشرين قواص ترك ، والقواصة دول ماهمش زى الجهادية اللى حلفوا ان يخلعونا ، لا القواصة يحطوا روحهم وينجونامن الاخطار .

رياض : هايده شابوك يا أولادى لان الدقايق ثمينة اليوم والوقت غالى .

شيخ الحارة : (يدبدب على الارض ويصيح وهو خارج) انا أستاهل اكتر من كدا . انما برضى انتصر عليهم .

توقيف (وهو خارج يقول) : يا خسارة سراية القبة وحبيبى فريدريك .

نحس (يقول ويخرج) : آه ياريتنى ماتكبرتش على ضباط الجهادية وعاملتهم بقساوة وذليتهم كانوا نفعونى .

نحسين (يقول وهو مبرطع) : سبب آخرتنا دى الزفت هو فلسن . لو كنت فضلت أنا فى المالية ماكانش يجرى كدا.

.....

المنظر الرابع

(فى شارع عابدين : شيخ الحارة ، وتوقيف ، ونحس ، ونحسين ، ورياض ، حاملين اكياس على اكتافهم وأوراق تحت باطهم ووراهم دستة قواصة ثم مشايخ الازهر .)

رياض : اتلحلحوا ياجماعة ماانتوش سامعين الزعيق من بعيد (الجميع يرمحوا)

مشايخ الازهر (على بعد) : ربنا كريم حليم يابو نضاره الله ينصرنا على شيخ الحارة .

توقيف : حتى المشايخ ضدنا ؟ وانا يوم الدوسة عملتلهم مقام .

شيخ الحارة : جيعانين ! نعطى لهم لقمة جراية يسكتوا .

المنظر الخامس

(مشايخ الازهر والظباط والتلامذة والورشجية المرفوتين ومجدع وحدق وعمر شهامه وأبو الحلم وابو الخير .)

مجدع (يسلت سيفه ويقول لشيخ الحارة) : طالع ترمح على فين يا فرعون ؟

حدق : الاكياس دى والاوراق تقيلة عليكم (ياخذها منهم ويعطيها للتلامذة والضباط) .

عمر شهامة : آه يا غاير ياما عملت فينا !

ابو الخير : (يقول لشيخ الحارة)اقرأ هــذا الفرمان من مولانا السلطان .

ابو الحلم : انا نصحتك يا ابن الاخ من مدة سنة بجوابى فلو كنت سمعت كلامى كان البر انصلح وانت فضلت عليه شيخ حارة ، انما انت خزيته ، وهتكت اسم مصر واهلها .

حدق : لما اتوليت يا فرعون البر ما كانش مديون واليوم عليهماية مليون جنيه . المبالغ دى راحت فين ؟

مشايخ الازهر : بنى بها سرايات وصرفها فى الفسق والفساد.

عمر شهامة : وعوض ما يساعد الفلاح ويصلح احوال الزراعة اللى هى سعادة اهالى القطر ، فرعون بسلامته نهبنا وباع اطيانا ومواشينا وموتنا من الجوع .

مشايخ الازهر : فرعون كافر وآخرته الجحيم وربنا كريم حليم .

ابو الخير (الى الظباط) : تسليمكم شيخ الحارة واولاده ووزيره اذهبوا بهم الى الاسكندرية . وانت يا مجدع باشا

شيخ الحارة والخلاه ورباعته مشمعين الفتله وهاربين من مصر بجوشوهم بجرع والجدة ومحرسهامه وابو الحلم وابو النجو الله يقصرهم :

رسم آخر بريشة « يعقوب صنوع » يوضح مناظر المسرحية ، وقدكتب تحته بخط يده عبارة من حوارها

سلمهم الى قبطان مركبنا العثمانية وهو يجرى اللازم (الضباط وحدق يفعلوا ذلك ويضربوا القواصة اللى يتجاسروا يعارضوهم).

شيخ الحارة (يزعق ويقول) : الحارة حارتى وانا شيخها وانتم مالكم ومالى ؟

مشايخ الازهر : جرجروه ما تسمعوش كلامه :

(الجميع يغنوا) :

انت فين يا ابو نضـــارة تيجى تشوفنا منصورين
على عمـك شيـخ الحارة وعلى أولاده المنحـوسين
النهـارده يـوم عظيـم افرحـوا يا أهـل النيل
الله ينـصر سى حليـم ويعـاقب اسماعيـل

- ٤ -

جرسة اسماعيل

(قطعة تياترية مركبة من فصلين)

أسماء اللاعبين : شخلعان ودردحان ومرجحان وزعفران جميعهن سرارى

اسماعيل : اسماعيل ظالم مصر السابق وسبب مصايبها وخرابها .

راتب : أمير أمراء العساكر المصرية السابق وسبب فضح الجهادية وهتك عرضها .

أبو العافية : كاتب طلبات يد اسماعيل وأمين صندوقه .

جيلاه : رسول محكمة باريس ومعه كاتب وترجمان

خيال أبو نظارة

(اللعب فى مسكن اسماعيل بالجراند أوتيل بباريس)

الفصل الاول

(فى أوض اسماعيل)

المنظر الاول : اسماعيل وراتب

اسماعيل : يا راتب يا أعز اخوانى . ادينى كأس كونياك تانى . لان اليوم اخبارنا عال . وان ما صدقتنى خد اقرا الجورنال .

راتب : آدى الكونياك اشرب وانجلى يا عزيز . وفرحنى بأخبارك ان شاء الله قبلوا طلبك الانكليز . ووعدوا بخلع توفيق الخسيس . حقا يومها كنا نعمل فنطزية بباريس . ونعزم اجمل البنات عند صاحبنا الخمرجى بتاع الباله رويال . ونسكر ونبوس ونعض ونكيد الاندال .

اسماعيل : ما تذكرليش اسم الباله رويال الملعون . اللى ضربنى فيه كف الكاتب الطليانى ابن الزربون .

راتب : باردون يا أفندينا باردون يا مولانا . الله يلعنه ويلعن يوم ما جانا . دى كانت ساعة زى الزفت والقطران . هتكنا الخنزير وضحك علينا الجيران .

اسماعيل : والله فكرتنى يا راتب بسيرة الكلب ده العفريت الثانى نقولا رعد الكاتب السريانى . أنا فى عرضك خلصنى من شبكته واعطيه كم قرش واقطع جرته . خده بلطف مش بمتلوف . لان خدودى ما بقتش تستحمل كفوف .

راتب : ده جانى يوم السبت وتشكى لى من سوء الحال . وقال لى من جملة ما قال . ان أفندينا هو اللى خرب دار أبوه وداره . وان اذا ما راضيناه هو يعرف كيف يخلص تاره . فقلت له ان كنت عاوز فلوس يا مسكين . خد آدى الالف فرنك اللى عندنا فاضلين . فخرج وهو يقول يوم الاتنين تشوفوا حالكم انتم الاتنين . يعنى النهارده يا ترى راح يعمل

ايه ابن الكافر ؟ احنا اليوم ما نخرجش من الاوتيـل وبكره نسافر .

اسماعيل : بلا جنـان يا خمـران . حقا اذا بسافرنا كان حالا يقول ابو نظاره . ما أجبن وما أندل شيخ الحارة . اول ما حمر عينه فيه نقولا رعد . قام سافر وفى باريس ما قعد. أمان والله رايح تسبب لنا فى قلم أو بونيـة ياراتب . هايده قوم دور عليه وراضيه والا يضربنى زى أول كاتب . الجذع الحق بيده نحن خليناه يترك أشغاله . وكتبناه جرانيل عربى وتركى ضد السلطان وتوفيق غصبا عنه وبعدها رفتناه وتلفنا أحواله. خد دا العشرة آلاف يا جندبى. رح اعطيهم لى انعام من عندى .

راتب : وراس أفندينا دى فيه خسارة . الله يلعنه ويلعن اللى سلطه علينا وهو ابو نظاره (يخرج) .

المنظر الثانى

(اسماعيل وحده)

اسماعيل : ماكانش ناقصنا الا دا الواد الشـامى . ياربى يا ربى يا ما قلوا أحبابى وزادوا أخصامى . ظلام مثلى فى الدنيا كثير . ما حد منهم قاسى واتهان قدى لا ملك ولا والى ولا وزير . مثلا اسكندر ملك الروس .. اكتر منى بزمان سم وشنق وخوزق وقطع روس . اهو قاعد على كرسى الملك متهنى مبسوط . مش زى حالى أنا اللى فى دست الهمـوم محطوط . نجمى سقط وصبحت منحوس . ما نيش بفلح لا بالمكر ولا بالفلوس . من يوم خروجى من مصر لليـوم . بعزقت دهب بالكوم . من الجنيهات الانـكليزى الحلوين . صرفت بالقليل عشر ملايين . اغتنوا من قفاى انكليز وطليان. رجال ونساء وبنات وصبيان. كلهم ضحكوا على دقنى مانلت منهم المرام . الحق على أنا اللي ما سمعت الكلام . والمبالغ

دى الجسيمة ما صرفتهاش كلها فى البحبحة والفساد. صرفت أغلبها فى الدسايس والتحالف ضد حليم والواد . لان غاية قصدى ارجع مصر واغيظ العدوين . وأنتقم من الذوات والاهالى والفلاحين . اللى فرحوا فى طردتى ولليوم بيلعنونى. ويشوفوا العمى ولا يشوفونى . يا وعدى يا غلبى النحس ده امتى يفوت ؟ اذا ما انعدلش بختى من هنا لسنة والله أموت. كلما أحط يدى فى أمر ينعكس. والطاهر اذا لمسته يصبح نجس. ادينى مثلا جيت باريس . اعمل لى أصحاب واطعن فى ابنى الخسيس . وفى يومين صرفت الفين جنيه فى الجرانيل . خليتهم يقولوا ان دواء مصر خلع توفيق وتولية اسماعيل . فعشمى فى دولة فرنسا كبير. لان قول الجرايد هنا له تأثير. ولو ان وزراء الجمهورية ، مايعتبروش العايلة الاسماعيلية . أهو طلع لى من تحت رجلين الفراخ نقولا رعد. حمر لى عينه خلى قلبى ارتعد . لا شك ان الامر ده بلغ الملعون أبو نظاره. وهو أخبر أصحابه جورنالية باريس بالعبارة . بكره يكبروها ويجسموها فى الجرانيل . ويحتمل انهم يقولوا رقعنى علقه رعد الرزيل . فكدا أسقط من عين الوزارة الفرنساوية. واذا نقلوا الخبر ده جرايد لوندره مانيش فالح مع الوزارة الانكليزية. يا ربى زيح النحس عن عبدك اسماعيل . والا انا فى عرضك تبعت لى عزرائيل . يقبض روحى . ينتهى بكائى ونوحى .

المنظر الثالث

(أبو العافية واسماعيل وخيال أبو نظاره)

أبو العافية : بونجورنو مونسنيور كديف ديابلو ديابلو خبر بتاعك أنا على شان انت النهارده موش لطيف .

اسماعيل : وشك يقطع الرزق يابو العافية . ربنا يعدمك العافية. عمرك ما دخلت لى بخبر مليح فى زمانك. الله يبلبل

كمان وكمان ويعوج لى فى لسانك .

خيال أبى نظارة : حرام عليك يا اسماعيل تكسف دا الجدع ده أصدق خدامينك عمره لا سرق ولا غش ولا خدع . اما انت ما يسلكش معك الا ابو يدطويلة . وابو العافية ما يضربشى اقلام ودى بالنسبة لك أعظم فضيلة . أما من خصوص نقولا رعد المظلوم . ربنا ينصره عليك يا مشوم .

اسماعيل (يقول فى نفسه) : اللى بيقول الكلام ده مين ؟ اسمع من غير ما بشوف ده شغل شياطين . (يقول لابو العافية) وخبرك اللى ماهوش لطيف هو ايه يا سنيور ؟ هات لنا من كلامك اللى زى الزفت هات يا مطيور .

أبو العافية : ويسياه تريبونال دخل ديوان حريم يحط ختم بتاعه فى بتاع هوانم عفش والله العظيم .

اسماعيل (بغضب) : فسر كلامك يا خرسيس . والا أرفتك وأجيب واحد غيرك المستخدمين كتير فى باريس . بتاعه فى بتاع هوانم عفش يعنى ايه ؟ وويسياه تريبونال دخل الحريم لايه ؟

أبو العافية : افندينا موش يسمع حريم يزعق أمان مستكينات هانمات شخلعان ودردحان ومرجحان وزعفران .

اسماعيل (يصغى الى الصوت الصادر من أوض الحريم ثم يقوم ويخرج وهو يقول) : صدقت يابو العافية سامع دربكة عند الحريم وزعيق وصياح . يالله بنا يا رجلينا يا ملاح .

أبو العافية (يخرج وراء اسماعيل وهو يقول فى نفسه) : اليوم ويسياه بتاع تريبونال . وبكره دى شمطه كله فى الجورنال .

خيال أبى نظارة (يتبع الاثنين وهو يقول) : لما نتفرج على دالقضية واذا وجدتها مهمة أعمل عليها لعبة تياترية .

الفصل الثانى

(فى أوض الحريم)

المنظر الاول : شخلعان ودردحان ومرجحان وزعفران

شخلعان : ياما أحلى باريس يا اخواتى . الحظ داير فيها ليلاتى .

دردحان : يابخت السنيورات . ولو انهم ماهمش جمالات . آدحنا شايفينهم بالنهار وبالليل . طالعين داخلين الكراند أوتيل

مرجحان : ويضحكوا ويهزروا ويلعبوا مع السناير . مش زينا احنا اسراء وفى رقبتنا جنزير .

زعفران : والمسخم على عينه هو وراتب كل ليلة فى حظ وانبساط . واحنا يا غلابة ايدنا والبلاط .

شخلعان : بالله عليكم جابنا ليه هنا . كان يخلينا فى نابولى بلاد العز والهنا ...

دردحان : خاف لنهرب مع الجدعان . زى بلبل وعايده وخيزران .

مرجحان : والنبى الجندى بتاعنا الفلاتى ، يستاهل اننا نهرب ونفوته يا اخواتى .

زعفران : فى باريس سهل قوى أمر الهروب . أما من غير لسان صعب وجود المحبوب . لو كنا نعرف بالفرنسيس الكام كلمة اللى نعرفها بالطليان . كنا نتبسط بالهرب مع الجدعان

شخلعان : او لو كانت جات معنا المدموازيل . كنا نبلغ المراد واحنا فى الاوتيل .

مرجحان : هس يا بنات . جايين يعملوا ايه هنا دا الخواجات ؟

زعفران : دول ثلاثة ، واحد اختيار واتنين جدعان . دخلوا يا اخواتى يقلبوا فى الديوان . وشمع احمر وكبريت وختم فى يدهم . أما أبو العافية متعرض لهم . أهو فاتهم

وطلع يجرى يخبر أفندينا. يادهوتى دول داخلين هنا ياترى
نفسهم يعملوا ايه فينا ؟

دردحان : والنبى الجدعين عدلين . ياريتـــه ما جاء معهم
د الاختيار اللعين .

المنظر الثانى

(جيلان رسول المحـكمة ، وكاتب ، وترجمـان ، وأربع
سرارى اسماعيل)

الاربع سرارى (عند دخول جيلان ورفقاه يصيحـوا) :
أمان أمان الحقونا يا جيران !

جيلان (ينحنى للسرارى ويقول) : بونجور ميدام .

دردحان (تقول فى نفسها) : ده باين عليه ابن حرام .

الترجمان : اعلموا يا ستات اننا من طرف المحكمة المدنية
وسبب حضورنا هو ان المسيو نقولا رعد قايم على المسيو
اسماعيل قضية .

شخلعان : يو يا عينى ما تقولشى المسيو اسماعيل . قل
سعادة خديوى مصر الجليل .

الترجمان : كان خديوى مصر سابقا يا مدام . أما اليوم
صار مثلنا رجل عام . بقى حضرة رسول المحكمة جاء وبيده
امر يختم على جميع الموجود هنا .

مرجحان : قطع يده ان مدها الاختيار على أنا ...

زعفران : يا دهوتى احنا كنا فين . والدواهى الحرة دى
جاتنا من اين ؟ والنبى اللى يتجاسر ويختمنا بالكف نرقعه .
وندق بالصوت يجى صاحب الاوتيل يطلعه .

الترجمان : ما تخافوش يا ستات . نحن نحترم المدامات.

المنظر الثالث

(اسماعيل ، وأبو العافية ، وخيال أبو نظارة ، والمذكورين)
الاربع سرارى (يقولوا لاسماعيل) : الحقنـــا يا افندينـــا الملاعين دول بهدلونا . وقال بدهم بالشمع الاحمر يختمونا .
الترجمان : لا نحن عندنا أمر نختم عفش اسماعيل وعفش الحريمات. صيانة لحفظ حقوق رعد والا نأخذ كضمان عشرة آلاف من الفرنكات .

المنظر الرابع

(راتب والمذكورين)
راتب : شفت يا ولى النعم عمايل نقولا رعد ابن الحرام ؟
اسماعيل : والله ما حد غيرك عليه الحق والملام .
راتب : الحق والملام على انا ليه ؟ انا وحياة راسك درت الدنيا عليه وما عثرت فيه الا دلوقت على باب الاوتيل . ربنا يعدمه العافية والحيل . ووجدته بيحكى النادرة تفصيـــلا والعالم قدامه صفوف صفوف . فأخذته على جنب وقلت له خلينا ننهى العبارة بالمعروف . خد دالعشرة آلاف فرنك. وحياتك يا نقولا افندى ما عندنا غيرهم فى البنك . فقال لى رح كل بهم فول بخشيش من عندى . واطلع اتفرج رسول المحكمة بيحط الختم على عفش حريمات الجندى. يا خسارة انهم غلطوا فى التريبونال . وحطوا عشرة آلاف فرنك عوضا عن عشرة آلاف ريال .
اسماعيل : نرجع بعدين لدالسيرة . اللى جابت لنا الداهية الكبيرة . آه المنحوس طول عمره منحوس . طيب يا راتب هات لى الفلوس .
راتب : تفضل يا افندينا . حقا الهتكة دى رايحه تعمينا
اسماعيل (يعطى الفلوس الى المسيو جيلاه ويقول له) :

خد آدى العشرة آلاف فرنك اللى طالبها يا حضرة الرسول ، الابوكاتى بتاعنا بكره يروح التريبونال وتشوف ايه يقول .

جيلان (ياخد الدراهم ويقول لاسماعيل وهو خارج مع الكاتب والترجمان) : مرسى بوكو مسيو اسماعيل مرسى .

اسماعيل (يقول لراتب) : الملعون بعد مالحس المبلغ وكوى فلسى . بيكتر خيرى وبيقول لى مرسى .

أبو العافية : فى نيكولا رهاذ ده فلوس كساره (يخرج)

خيال أبى نظارة : حقا اذا كسب دعوته رعد تبقى شطاره

المنظر الخامس

(اسماعيل ، وراتب ، والاربع سرارى ، وخيال ابى نظاره)

اسماعيل : ادحنا بقينا وحدنا يا راتب فدلوقت اقدر أقول لك ان كل اللى حصل لنا من الكاتب . يكون من تحت راسك يا رزيل .

خيال أبى نظاره : والله ما حد سبب ده كله غيرك انت يا اسماعيل .

اسماعيل (ينف فى صدره ويقول) : هنـــاك وهنا باسمع كلام بدون ما أرى انسان . أعوذ بالله من الشيطان .

دردحان : والحسنين وراس الحضرة الخديوية ، ان راتب باشا هو سبب كل أذية .

شخلعان : جاى يا مسلمين من راتب باشـــا جاى ، بس بكره افندينا يقابل أمراء باريس ازاى ؟

مرجحان : دى الليلة كافة الجرانيل ، تقول ان النهارده قبضوا على أموال الخديوى اسماعيل .

زعفران : وكدا يزول عشم سـيدنا من الرجوع للاوطان ، وسبب الخيبة يكون راتب الشيطان .

دردحان : الحقونى يا هوانم الحقونى . وفى عقاب راتب وتعذيبه ساعدونى .

راتب (يقـول وهو مطـروح والاربع سرارى نازلين فيه ضرب) : أمان يا هوانم أمان . اشفقى يا دردحان ارحمـى يا شخلعان !

اسماعيل : يكفيه يكفيه تخربيش وعض يا مرجان . انتى رايحه تفرقعى بطنه برجليكى يا زعفران .

خيال ابى نظاره : راتب برى يا هوانم والله برى. واسماعيل بتاعكم هو المفترى . ده مكتوب على جبين اسماعيل ، يموت فى الغربة ولا يشوف بعينه وادى النيل .

اسماعيل (مرعوب من سمعه صوت بدون ما يرى انسان ، يجرى كالمجنون فى الاوضه ، ويطرق رأسه على الحايط ، فيقـع وهو يصـيح) : جاى يا مسلمين جاى يا مسلمين ! الجراند اوتيل اليوم مليان شياطين !

الاربع سرارى (يرموا نفسهم عليه بحجة انهم يرفعوه من على الارض ويقولوا له) : بعيد عنك الشياطين يا افندينا . ربنا ينصرنا ونرجع لوادينا .

اسماعيـل (يزعق ويقـول للسرارى) : آه يا بطنى آه يا كرشى ! أمان يا راتب أمان ياجانم ! رايح افطس ارفع من على الهوانم .

راتب (يقول فى نفسه) : خليهم يفطسوه تطلع روحه من صرمه ونخلص من شبكته ونرتاح من ظلمه !

خيال ابى نظاره (يصيح بصوت بشـع ويقول) : اذا ما قمتوش من على اسماعيل يا بنات ، أسخطكم قرود تفضلوا مسخوطين للممات . اسماعيل لسه قدامه فى الدنيادى عذاب أليم ، لازم يذوقه قبلما يروح للجحيم .

(تمت القطعة النياترية)

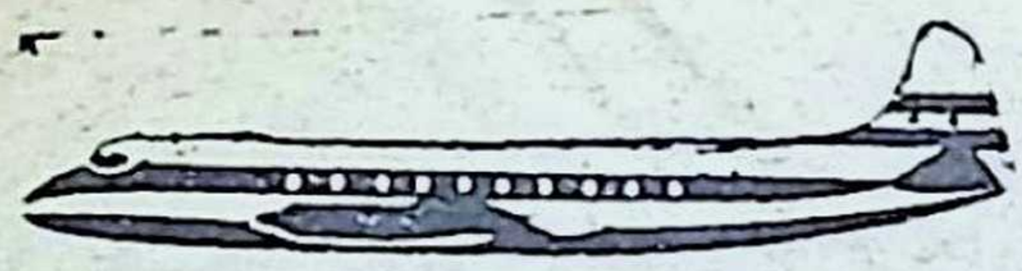

إلى

زيورخ

عن طريق

أثينا . روما

بطائرات

الڤايكونت الفاخرة المجهزة بالرادار

شركة مصر للطيران

القاهرة ـ ميدان الاوبرا ت ٤٧٢٥٦ ـ ٤٧٧٣٥ ـ ٥٦٩٢٩
الاسكندرية ـ ميدان محطة الرمل ت ٣٣٣٥٧ ـ ٢٤٢٠٣ ـ ٢٠٧٧٨
بورسعيد ـ ٣٩ شارع الجمهورية ت ٢٨٧٠

مؤامرة فى ڤينيسيا

للمؤرخ الفنان العالمى الصيت: "فورتوناتو ماتانيا"

ففقد الخلود لانه انساق للغضب !

◆ من أهم المعالم التى يزورها السياح فى (فينيسيا) ، قصر « الدوج » ، الذى كان مقرا لرئيس الجمهورية ، عندما كانت البندقية دولة قائمة بذاتها . وقد زينت جدران أبهاء هذا القصر الاثرى ، بصور تمثل جميع « الدوجات » الذين تولوا رئاسة هذه الدولة ابان قيامها ، عدا واحدا وضعت فى مكان صورته صفحة سوداء ..

فما سر هذا الحاكم ؟.. لقد كان أحب الحكام لدى الشعب ، واكثرهم حظوة باحترام الرعية ، واشدهم حربا على الفساد .. ومن ثم فانه كان أجدرهم بالخلود ، ولكنه انساق وراء غضبه ، اثر اهانة رأى أن القضاء لم ينتصف له فيها كما ينبغى .. وهذه هى المأساة التى يرويها لنا ـ بقلمه وريشته ـ الفنان المؤرخ العالمى « فورتوناتو ماتانيا »

بداية سعيدة

◆ بلغ النظام الجمهورى أوج ازدهاره فى (فينيسيا) ـ البندقية ـ فى القرن الرابع عشر ، ولكن المستوى الاخلاقى العام كان قد بلغ أقصى انحداره ، فلم يعد للقيم ، ولا للنظم العامة ، ولا للروابط الانسانية والاجتماعية اى احترام هناك !

وفى حوالى سنة ١٣٣٤ ، أنتخب « مارينو فاليرو » ليتبوأ منصب « الدوج » ، أى رئيس الدولة . فكان من أول ما اهتم به ، أن راح يحارب الانحلال الخلقى ، ويحاول أن يجعل الشعب كفوًا للدولة المزدهرة .. فلم يقدر لعاهل أن يلقى من البنادقة احتراما كذلك الذى حظى به « فاليرو » ، الذى كان بدوره ينعم بوفاء زوجة لم يقدر لحاكم آخر أن يظفر بأجمل ولا أكمل منها . فقد كانت باهرة الحسن ، آثرتها الطبيعة بمواهب فذة . وكانت اذا تجلت على الشعب ـ فى شرفة قصر « الدوج » ـ تحف بها وصيفاتها ، أمسك القوم أنفاسهم مبهورين ، الى أن يصيح واحد منهم ، لفرط نشوته : « ما هذه بشر ، وانما هى ربة تحف بها ملائكة

حسان ! .. ربة تستخفى فى الثياب الحريرية المرصعة بالاحجار الكريمة ، لتبدو كملكة من البشر ! »

أول مأدبة رسمية كبرى

• **وكان** من أهم الاحتفالات الشعبية فى (فينيسيا) — فى ذلك الحين — مصارعة للثيران ، تقام فى شهر فبراير من كل عام ، فى ساحة تتوسط المسافة بين ميدان القديس ماركو وضفة نهر (شيافونى) .. وهى بقعة لا تزال الى اليوم معروفة ، اذ تمتد على مقربة من العمودين الضخمين ، اللذين يعلو أحدهما تمثال أسد القديس مرقس — (سان ماركو) — ويعلو الآخر تمثال للقديسة ثيودورا ، وهى تطأ باحدى قدميها تمساحا .. وفيها يقف زائرو البندقية اليوم ، ليملوا الانظار بواجهة قصر « الدوج » الرائعة ، ذات اللون الوردى الزاهى ، التى تعتبر من بتحف فن المعمار الى عصرنا الراهن

وكان للاحتفال بهذه المناسبة — فى فبراير سنة ١٣٣٥ — معنى أعظم من معناه فى أى عام آخر ، اذ اختار « فاليبرو » يوم الاحتفال ، ليقيم أول مأدبة رسمية كبرى ، منذ تولى الحكم . ومن ثم فان البنادقة كانوا — فى ذلك اليوم — أكثر ازدحاما حول قصر « الدوج » مما اعتادوا من قبل ، فقد تجمعوا ليشاهدوا وصول الضيوف الذين دعوا الى المأدبة

ويا له من منظر ذلك الذى ودعته الشمس وهى تنحدر نحو المغيب ، فى ذلك اليوم ! .. كان القوم — رجالا ونساء — فى أبهى ثيابهم وازهاها ، وقد تهللت وجوههم حبورا ، وهم يتأملون الشخصيات العظيمة ، فى ثيابها الفخمة الثمينة ، وهى تتقدم فى المسالك التى أفسحت لها بين الحشد ، بخطوات جليلة مهيبة .. كانت هذه الشخصيات تمثل زهرة بنات وأبناء (فينيسيا) ، ممن أوتوا أعرق النسب ، وأنبل الحسب ، وأعظم الثروات .. وكانوا يتألقون فى الحرير والدمقس ،

والجواهر واللآلىء تومض فتشع حولهم وميضا أخاذا ، وقد انعكست عليها أشعة شمس الغروب .. وكانت شهقات الاعجاب تصدر عن القوم ـ وكأنها خرير أمواج بحر ـ كلما أقبل « جندول » وأفرغ حمولته من الرجال والحسان !

٤٠ سنة بين الزوج والزوجة

• على أن القوم جميعا كانوا يدركون أن أنبل الرجال طرا، وأجمل الحسان ، هما سيدا قصر : ((**الدوج**)) **مارينوفالييرو** ، و ((**الدوجاريسا**)) **أنجولينا** .. زوجته التى انحدرت من أسرة « لوردانو » ـ العريقة فى مراتب الشرف والامارة ـ والتى انصاعت لرغبة أبيها ، وهو على فراش الموت، فتزوجت مارينو، ولم تكن قد تجاوزت العشرين من عمرها ، فى حين انه كان قد تجاوز الستين !

ومع هذا الفارق الشاسع فى السن ، فقد نمت بين الزوجين رابطة عاطفية عجيبة .. ومع أن (فينيسيا) كانت ـ فى تلك الفترة ـ مغرقة فى الخطيئة والمجون والانحلال الخلقى ، الا أن أحدا لم يجسر على أن ينبس بكلمة واحدة تشين ((الدوجاريسا)) الحسناء ، أو تشيع أدنى شبهة حول وفائها لزوجها الكهل !

وغصت قاعة القصر بالضيوف فى ذلك اليوم ، وما لبثت الابواق أن دوت معلنة مقدم « الدوج » و « الدوجاريسا » ، فاذا الجميع يستوون وقوفا ، ويستقبلونهما فى احترام وتوقير .. وبدا الزوجان صورة رائعة للجلال .. كان « فالييرو » لا يزال ـ رغم كبر سنه ـ مستوى العود ، عريض المنكبين ، رافع الراس ، تلوح على أساريره كل سمات الامارة والزعامة، وقد جمع بين البهاء والقوة والشمم والنظرة الثاقبة .. أما « انجولينا » فكانت كالزهرة الفضة ، وقد استوت على عود رشيق مياس !

وتتابع برنامج الاحتفال ، وقد تجرد من كل مظاهر الانحلال والفساد والخلاعة ، التى أعلن عليها « فاليرو » حملة شعواء ، منذ توليه الحكم .. وفيما كان المضيفان يجوسان خلال ضيوفهما ، لمح « فاليرو » شابا رقيعا يضايق احدى وصيفات « أنجولينا » بغزل وقح ، فتجهم وجهه ، **حتى اذا تبين ان الشاب لم يكن من المدعوين، ولا كان من ذوى الحسب أو المكانة ، اشتد حنقه، وأمر بطرده من القصر** .. وعز على الشاب أن يهان على مرأى من الحسناء التى كان يغازلها ، فحاول أن يقاوم، ولكن الحراس الاشداء دفعوه الى الخارج .. وسرعان ما تناسى الحضور الحادث ، واستأنفوا مرحهم

اهانة . . على كرسى الرئيس

• أنجولينا .. الحسناء الوفية
(بريشة ماتانيا)

ولكن الشاب — وكان يدعى « ميشيل ستينو » — لم ينس .. بل راح يحرق الارم، وهو يستوحى غيظه أسباب الانتقام . وما لبث أن تسلل الى قاعة مجلس الدولة — فى جنح الظلام وغفلة القوم — وسعى الى مقعد الرئيس ، فنقش عليه

بيد كانت لا تزال ترتجف انفعالا : **((حظ مارينو فاليرو من زوجته الحسناء ، أنه يقتنيها بينما يستمتع غيره بها)) !**

وكانت اهانة كاذبة جاحدة ، وسبة لا مثيل لها .. وكما هى عادة القدر ـ اذا دبر أمرا ـ قدر لفاليرو أن يكون هو أول من رأى الكلمات ، حين تقدم ليتبوأ مقعده ، فى اليوم التالى .. وتلقى هذا التعريض بشرفه بغضب متأجج ، لاسيما وأنه كان يحب زوجته ويعتز بها ، فأمر باجراء بحث دقيق للوصول الى الجانى وتقديمه الى القضاء كى يلقى جزاءه . وأعرب أعضاء مجلس الشيوخ عن تقديرهم لغضبة رئيس الجمهورية ، بأن أعلنوا عن مكافأة سخية لكل من يدلى بمعلومات تساعد على كشف المذنب

ولم يطل الوقت حتى كانت الشبهات قد اكتنفت((ستينو)) من كل جانب ، فألقى القبض عليه .. وانتشرت الفضيحة على كل لسان ، وأصبحت حديث القوم فى كل مكان ، ولم يرتب أحد فى أن الماجن الوقح سيلقى جزاء قاسيا . ومن ثم ازدحمت الساحة المجاورة للقصر بالناس ـ فى يوم محاكمته ـ كما اخذوا يدبرون لانفسهم مقدما ، أماكن تمكنهم من مشاهدة المنظر ، يوم ينفذ فى الجانى حكم الاعدام .. فما داخل احد شك فى أن المجلس سيقضى بالموت على ((ستينو)) !

ثمن بخس .. لقاء اهانة الرئيس !

• **لذلك** كان عجب القوم بالغا ، حين أصدر المجلس حكمه بسجن ((ستينو)) شهرا واحدا ، واقصائه عن (فينيسيا) عاما واحدا ، رغم انه اعترف بذنبه ! .. وزاد من عجبهم ان المجلس لم يصدر قط حكما تجلى فيه ما تجلى فى هذا الحكم من ليونة وتهاون غير عاديين .. **وكانت النتيجة المحتومة ، أن استنتج القوم أن فى وسع أى مبغض أو حانق على ((الدوج)) أن يشبع غيظه وسخيمته باهانته ، ما دام العقاب هينا كهذا !**

على أن عجب مارينو فاليرو كان أشد وأعتى .. بل أنه كان ذهولا ، لم يلبث أن أفاق منه ليجد سعير الغضب يتأجج فى صدره وعقله .. شعر كأن الحكم كان خنجر جحود دسه المجلس فى فؤاده .. وأن هذه الاستهانة بالثأر لكرامته وشرفه كانت عقوقا من (فينيسيا) ، بعد كل الذى فعله أجداده وهو من أجلها !

ولم تفلح مواساة أنجولينا الحبيبة فى التسرية عنه ، فراح يقول مهتاجا : « ألم يكن من آل فاليرو ذلك البطل الذى سحق مارك منذ قرنين ونصف القرن ؟ .. ومن الذى كسب لفينيسيا أمجادا وامتيازات فى كل مكان ، حتى فى الاراضى المقدسة ؟ .. ومن الذى أنشأ فينيسيا الجديدة على هشيم فينيسيا القديمة ؟ .. من الذين بذلوا دماءهم وسكبوا عرقهم فى كل معركة من اجل هذا الوطن ؟ .. ومن الذى حظى من البابا على الغفران لشعب كان يتقلب فى حمأة الرذيلة ؟ .. **انه دائما واحد من أبناء فاليرو !** » .. وحاولت « انجولينا » ان تسكب من رقتها ووفائها بلسما على نفسه المهتاجة . ولكنه هتف بها :

ــ اننى لم اتح لك الهوى الذى تحلم به كل شابة ، ولم أدعك تستمتعين بزهرة شبابك فى نزق ونزوات لذاتك .. ولقد طمعت فى أن اعوضك عن هذا كله باسم عريق ، ومكانة رفيعة ، ومجد متألق .. ولكن ما قيمة كل هذا اليوم ؟ .. ما قيمة الاسم والعمر اللذين كرستهما لخدمة فينيسيا فى وقت كان كل فرد يأبى أن يفيق من لهوه وملذاته ؟ .. بل ما قيمة اسمى ونبلى اذا انا لم اصن شرفى وشرفك من أن يداسا تحت الاقدام ؟ !

حلقة ثانية فى سلسلة القدر

• **وظل** « فاليرو » اربعا وعشرين ساعة وهو مهتاج كأسد

جريح . ولم يكن غضبه منصبا على « ستينو » بقدر ما كان منصبا على مجلس الشيوخ ـ الذى كان يشارك « الدوج » سلطاته ـ ومجلس العشرة ، الذى كان يؤلف السلطة القضائية العليا فى الجمهورية

وفى تلك الساعات الاربع والعشرين ، كان القدر يعد الحلقة الثانية ـ فى السلسلة الرهيبة التى كان يصوغها للدوج ـ فى جزء آخر من فينيسيا .. فى المرفأ الذى كانت ترسو فيه السفن التى كانت تمخر عباب البحر الابيض المتوسط . ولعل خير وصف لما حدث ، هو ذلك الذى أورده مؤرخ عاصره ، اذ قال :

« حدث فى ذات اليوم الذى صدر فيه الحكم على ميشيل ستينو ـ وكان أول أيام الصوم الكبير ـ أن قصد الى (ترسانة البحرية سيد من أسرة « باربارو » كان متهورا ، سريع الغضب .. فطلب من رئيس الترسانة أشياء معينة . وتصادف أن كان « الاميرال » هناك ، فقال أن لا سبيل الى اجابة هذا الطلب . **واحتد النقاش بين السيد والاميرال ، فما كان من الاول الا أن وجه الى الثانى لكمة قوية فوق حاجبه مباشرة ، مما أسال الدم غزيرا ..** وهرع الاميرال ـ ودمه يجرى على وجهه ـ ليشكو الى « الدوج » ما حدث . فأجابه هذا : **« وما الذى تنتظره منى .. ألا تذكر السبة التى وجهت الى والعقاب الذى أنزل بالوقح ميشيل ستينو من أجلها ؟ »** .. واذ ذاك قال الاميرال : « اذا شئت أن تجعل نفسك يا سيدى أميرا حاكما ـ لا رئيس جمهورية منتخبا ـ حتى تمزق أعضاء المجلس الاربعين أربا ، فثق اننى فى خدمتك ! » ..

مؤامرة دقيقة تدبر فى السر

◆ **وكانت** هذه الكلمات كافية ـ على قلتها ـ لان توحى الى « فاليرو » بخطوط خطة لتمزيق ذلك الاتحاد الذى كان يجمع

الارستقراطيين على فساد عفن ، ويمكن لمخالبهم من أن تغوص في جسد الجمهورية !

واستعرض « الدوج » مع «الاميرال» قائمة بأسماء الاوفياء الذين يمكن أن يطمئننا اليهم .. وكانوا جميعا من النبلاء والمحاربين ذوى الشجاعة والطموح — ورسمت الخطة بدقة وحذق وتكتم ، **بحيث يتربص ١٧ قائدا ، فى مواقع ستراتيجية من المدينة ، ومع كل منهم ٤٠ رجلا لا يعرفون شيئا من المهمة الموكولة اليهم** . ورؤى أن يعهد الى جماعات معينة بأن تثير شغبا يبيح للدوج أن يأمر بدق الجرس الاكبر فى كاتدرائية القديس ماركو ، والذى لم يكن يدق الا ايذانا بخطر عظيم يتهدد المدينة والشعب . على أن دقاته أريد بها — فى هذه المرة — غرض آخر . ذلك هو استدراج النبلاء وزعماء (فينيسيا) الى ساحة (سان ماركو) ، ليستطلعوا سر دقات الجرس . **واذ ذاك ينقض القادة السبعة عشر ورجالهم على الساحة ، فى وقت واحد ، ومن كل جانب ، ويعملون الذبح والتقتيل فى كل من يجدونهم فى الساحة** .. ثم ينادى بماريو فاليرو حاكما واميرا على فينيسيا !

وحدد يوم ١٥ ابريل لتنفيذ هذه الخطة ..

افتضاح السر يحفز الاعداء ..

• **وكاد** كل شىء يتم كما رسم ، لولا أن شخصا يدعى « بيلترامو بيرجاماسكو » علم بالامر ، وكان فى خدمة نبيل يدعى « نيكولو ليونى » ، من أعضاء مجلس الاربعين . فدفعه الوفاء لمخدومه الى أن يحذره من الخروج من داره فى اليوم المحدد . ولكنه لم يدل اليه بشىء عما كان مدبرا ، خشية أن ينتقم منه المتآمرون !

غير أن السيد لم يشأ أن يترك الامر على هوى خادمه ، بل أصر على أن يدلى اليه بالسر . وبدلا من أن يشكر لبيلترامو

نصيحته ، أمر خدمه باعتقاله فى البيت الى أن يفضى بجلية الامر، ثم أسرع يحذر كل من كان يحرص على حياته من أصدقائه. فما لبث هؤلاء أن اجمعوا على وجوب معرفة الحقيقة ، واجتمعوا في دار « ليونى » ، وراحوا يحققون مع الخادم ، ويعذبونه حتى انتزعوا منه أقصى ما مكنتهم وسائلهم من انتزاعه .

ولم يكن ثمة وقت يضيعونه ، فأسرعوا خفية الى كنيسة (سان سالفاتورى) ، فاتخذوا من احدى قاعاتها مكانا أعدوه لاجتماع سرى ، ثم أوفدوا رسلا — فى الخفاء — الى أعضاء مجلس العشرة ، والي كثير من أعضاء مجلس الشيوخ، فسرعان ما خفوا الى الكنيسة . واغلقت الابواب ، وشرح « نيكولو ليونى » الامر ، موضحا العواقب الخطيرة التى كان نجاح المؤامرة خليقا بأن يفضى اليها

وأجمع الكل على دعوة بيرجامسكو لسؤاله .. فانطلقت ثلة من الرجال الى دار « ليونى » وأحضروه ، وقد أحاطوا به ، متكأكئين حوله — بحيث لا يراه أحد من خارج دائرتهم — وهم يتظاهرون بأنهم ثلة من السكارى الماجنين

اعتقال زعماء المؤامرة

• **ولم** تكن قد تبقت لديه قوة تمكنه من الاجابة .. وزاده عيا ذلك الجو الرهيب الذى اجتمع فيه علية نبلاء فينيسيا وزعماؤها .. على أنهم ما لبثوا أن اقسموا له بأن يصونوا حياته ، وأن يحموه من كل انتقام .. واذ ذاك أدلى بالمعلومات التى عـززت ما رواه « نيكولو ليونى » ، حتى اذا فرغ من روايته ، ردوه الى سجنه بعين الطريقة التى أحضروه بها .

وكانت الاجراءات والتدابير التى اتخذت بعد ذلك ، تتسم بطابع السرعة والسرية التامة . **فصدرت الاوامر الى كافة فروع الشرطة بحشد رجالها والاغارة على دور جميع زعماء المؤامرة فى آن واحد** . وكان جهاز الشرطة منظما أدق نظام ، فسرعان

ما اعتقل جميع الزعماء فجأة ، وفى تكتم .. وكانت هـذه الخطوة بعيدة عن كل بال ، فلم تصدر اية مقاومة من الفرائس ، كما أن أحدا من هؤلاء لم يجد فرصة للفرار ، لان كل الاعتقالات تمت فى وقت واحد

ونقل المعتقلون ـ فى سرية تامة ـ الى السجن الملحق بقصر « الدوج » . وكان أول من وصل منهم اليه هو « الاميرال » ، وقد غلت يداه بالاغلال ..

كل ذلك و «فاليرو» فى غفلة لايدرى بشىء ! .. ثم اجتمع المجلس للنظر فى القضية ، فانتهوا الى الاجماع على ادانة كل من اشتركوا فى المؤامرة . وكان « فاليرو » ـ فى تلك الاثناء ـ يتدارس شؤون الدولة مع عدد من المستشارين ، واذ بفريق من الضباط يفدون فيقدمون اليه رسالة من المجلس ، تضمنت امرا بالقاء القبض عليه !

جثة بلا رأس .. ولوحة سوداء

• **وتمالك** أعصابه بارادة من حديد ، فلم تش اساريره بشىء ، ورد الورقة قائلا ـ ببساطة ـ انها عديمة القيمة ، طالما انها لم تكن تحمل توقيعه . ثم سأل عن أسماء المجتمعين ، فلما تبين أن احدا من انصاره ومعارفه لم يكن بينهم ، أدرك خطورة موقفه

ولم يأت صباح يوم ١٧ ابريل ، حتى كان معظم المتآمرين قد شنقوا ، وتدلت جثثهم بين أعمدة الشرفة الكبرى بقصر « الدوج » . كما صدر الحكم باعدام « مارينو فاليرو » .

ولم تفارقه زوجته لحظة واحدة ، فى تلك الاثناء ، وقد تبينت ـ لاول مرة ـ مدى حبها اياه ، لا سيما وأنه كان مسوقا الى حتفه من جراء غيرته على شرفه وشرفها ، كما أن الاحداث الاخيرة ، خلعت عليه هالة من البطولة فى عينيها .. وعبثا حاولت أن تدفع عنه المصير التعس ، فى حين أن كبرياءه حالت

.. واقتيد فاليرو الى سلم الشرفة الكبرى ، حيث أمر بخلع قلنسوة الرئاسة ، قبل أن يقطع رأسه ..
(بريشة ماتانيا)

ببنه وبين أن يلتمس الرأفة !

وفى ظهر اليوم ذاته ، اقتيد الى منتصف سـلم الشرفة الكبرى ، حيث كان قد تسلم - قبل ذلك بأشـهر قلائل - قلنسوة رئاسة الجمهورية .. القلنسوة التى أمر - فى هذه المناسبة - بأن يخلعها ، قبل أن يسلم عنقه للنطع ، ويستبسلم للجلاد ، الذى رفع بلطته .. وبضربة واحدة ، فصل الراس عن الجسد ، وسط السكون الرهيب ، الذى ساد على ساحة القصر .. واذ ذاك ، شعرت زوجته ، التى كانت ترقب المنظر خلسة ، وقد أحاطت بها وصيفاتها مشفقات ، بينما منعها الحراس من الاقتراب .. اذ ذاك شـعرت « أنجولينا » بأن الارض مادت تحت قدميها .. ثم هوت بين اذرع وصيفاتها !

وفتحت أبواب القصر على سعتها ، ودعى أهل فينيسـيا جميعا ، ليشاهدوا الجثة التى فقدت رأسها .. جثة الرجـل الذى لم يحظ رئيس بما حظى به من احترام ، ثم قدر له أن يموت مدموغا بوصمة العار !

والى اليوم ، لا يزال السياح الذين يزورون قصر « الدوج » يشاهدون صور « دوجات » البندقية فيما عدا واحـد ، وضعت فى مكان صورته لوحة سوداء كتب عليها : « هـذا مكان مارينو فاليرو ، الذى أعدم لاجرامه » !

الهواية المثالية لابنتك .. أو ابنك

هل تريدين أن تصبح ابنتك مرموقة في المجتمع؟ .. وتمارس
هواية رفيعة تشغل بها أوقات فراغها، وتتسامى بأفكارها؟

إذن شجعي المواهب الموسيقية في ابنتك
أو ابنك، بتعليمها العزف على البيانو .. في

معهد البيانو والباليه
والرقص الإيقاعي، والغناء الكلاسيكي

المركز الرئيسي بالزمالك: ٢٣ شارع حسن صبري، شقة ٢٧

تديره نخبة من خريجات كلية لندن الملكية
للموسيقى، وكلية "ترينيتي" بلندن.

للاستعلامات: خابروا تليفون ٦١٦٤٤

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

اللغز الذى ساهم فيه القدر .. هل تحله أنت ؟

◆ عندما شرع ((تشارلس ديكنز)) فى كتابة قصة ((أدوين درود))، كان قد عقد عزمه على أن يجعل منها أقوى قصة غامضة فى الادب الانجليزى ، فجعل ينسج خيوطها فى دقة وأناة ، حتى دبر للبطل أن يختفى فجأة !..

ولكن القدر كان يعمل – من ناحيته – على أن يخلد القصة فى الأدب العالمى .. فما ان اختفى ((ادوين درود)) ، حتى مات((ديكنز)) ، دون أن يتم القصة .. وترك اختفاء البطل ، وحقيقة ظروفه ، ونهاية القصة .. ترك كل هذه ألغازا غامضة ، مستعصية ، لاتزال تنشد حاولا ، رغم كل ماوضع عنها من كتب وبحوث .. فهل تستطيع ان تصل الى هذه الحلول ، وتسير بالقصة الى خاتمتها ؟

أن ((كتابى)) يدعوك الى أن تحاول ، فاقرأ القصة بامعان ، ثم اقرأ شروط المسابقة وجوائزها ، فى نهاية التلخيص .. وامسك القلم وابدأ !

فى فجر ذات يوم ..

◆ كان أول ما تبينــه حين أفاق الى نفســه ، هو برج كاتدرائية انجليزية قديمة ، ثم سرير عتيق ذو أربع قوائم .. واعتمد الرجل – المشتت الوعى – على ذراعيه ، وتلفت حوله فاذا به فى أحقر وأضيق الغرف الصغيرة .. ومن ساحة زرية ، تسلل نور البكور خلال الستار المهلهلة المسدلة على النافذة . وكان الرجل راقدا بكامل ثيابه فى سرير كبير ، يكاد يتداعى لثقل ما حمل ، فقد كان يرقد بعرضه رجل صينى وبحار هندى .. وكانت امرأة عجفاء مشعثة تنفخ نار غليون وهى تقول : ((أتدخن غليونا آخر ؟ .. لقد دخنت خمسة منذ أتيت ، فى منتصف الليل .. أواه ، يا لدماغى ! ان سوقى كاسدة ، فليس فى الميناء سوى نفر ضئيل من الصينيين

والهنود .. لعلك تذكر أن الاسعار ارتفعت يا عزيزى . آه ، يا لرئتى ! لقد أضعفهما الافيون ! .. لقد ظللت ادمن الخمر ست عشرة سنة قبل أن أدمن الافيون ! »

ونهض فأزاح الستار عن النافذة فاذا الفجر يزحف على الكون .. وتأمل الثلاثة الموجودين فى الحجرة باشمئزاز ، ثم وضع قطعة من النقود الفضية على منضدة ، وانصرف ..

وبعد ظهر اليوم ذاته ، دقت أجراس الكاتدرائية القديمة مؤذنة بصلاة المساء . وغادر الرواد الكنيسة والنهار يحتضر ، كما كان العام يحتضر ، وقد شاعت فى الجو رطوبة ، أثر مطر انهمر .. وكان آخر من غادر الكنيسة الاسقف ، مصطحبا قسا أصغر منه سنا ، ورجلا أغلق الباب بمفتاح كبير ، ورجلا آخر انفلت حاملا سجلا من سجلات الالحان الموسيقية ، فتساءل الاسقف : « أهذا جاسبر يا توب ؟ » . فأجابه كبير الشمامسة ، الذى كان يغلق الباب : « أجل .. لقد تأخرت من أجله ، لانه بدا معتل الصحة ، متهدج الانفاس ! » . ثم رمق القس الاصغر — وكان يدعى مستر كريسباركل — قائلا : « كانت تسعى للسيطرة عليه غيبوبة وخدر من أغرب ما رأيت ! »

واتجهت أنظار الثلاثة نحو بيت قديم من الطوب — على مقربة — ثم تساءل الاسقف : « وهل ابن أخته معه ؟ » . فأجاب الشماس : « لا يا سيدى ، ولكنه لن يلبث أن يصل » . فطلب الاسقف الى مستر كريسباركل أن يعود « جاسبر » قبل أن يأوى الى داره ، فصدع القس .. وفيما هو يغادر بيت رئيس مرنمى وعازفى الكنيسة ، رأى « أدوين درود » يصل اليه .

وما أن دخل الشاب على خاله ، حتى احتضنه هنا فى حب واعزاز ، ووقف يتأمل الشاب الانيق فى حنان وعطف . فقد كان ينزله من قلبه منزلة وصفتها مسز « توب » زوجة

الشماس ـ التى كانت تغنى بمنزل جاسبر ، والتى قدمت لهما العشاء ـ بقولها : « ان خالك يقيم لك وزنا عظيما يا فتى ! » . فالتفت الشاب الى جاسبر قائلا : « أتشعر يا جاك بأن ذكر قرابتنا يقيم حاجزا بيننا ؟ »

ـ ان الاخوال يكبرون ابناء اخواتهم عادة يا « نيد » ..

ـ وما قيمة ست سنوات تفصل بيننا ؟ .. ولكن ، لنتكلم عن « بوسى » ، فاليوم عيد ميلادها .. كيف حالها ؟

ـ فى الموسيقى ؟ .. لا بأس بها . ان بوسعها اتقان اى شىء .. اذا شاءت !

ـ اذا شاءت ! .. هذا حق . وكيف حالها من حيث الشكل ؟

فاتجهت عينا مستر جاسبر الى رسم على رف المدفاة ، وقال : « قريبة الشبه من رسم يدك ! »

ـ لقد رسمتها من الذاكرة ، وكان يجب أن أسجل ذلك التعبير الذى كثيرا ما رأيته على محياها .. أليس من المض حقا أن يفرض المرحوم أبى والمرحوم أبوها على كل منا أن يتزوج من الآخر . ومع ذلك ، فلو أننى كنت حر الاختيار ، لاخترت « بوسى » ، دون كل حسان الدنيا ! .. ولكن الذى يضايقنى هو انها فرضت على ، دون اختيار منى ! .. لكم تختلف حياتى عن حياتك يا جاك ، فليس يساورك ضيق من ان شيئا ما مفروضا عليك . ليس يمضك انها ـ هى بالذات ـ مفروضة عليك .. ولكن ، أترانى مسست شعورك ؟ .. كأن على عينيك غشاوة غريبة ، فهل انت مريض ؟

واصطنع جاسبر الابتسام ، ثم قال بصوت واهن : « اننى اتعاطى الافيون لاتغلب على ألم يعاودنى أحيانا .. وان تأثير العقار ليستولى على أحيانا ، وكأنه غشاوة ، ثم لا يلبث أن يتلاشى ! » .. وعندما استرد قواه عاد يقول : « لكل انسان هم يكربه يا عزيزى نيد ، ولكنك تخال اننى لم أوت هموما ! »

ثم انطلق جاسبر يعرب عن كراهيته لحياته ، برغم انه عازف الموسيقى فى الكنيسة ، وبرغم انه يحظى باحترام الجميع .. ثم ، برغم انه حظى بنعمة تدريس الموسيقى للجميلة « بوسى » .. على أن جاسبر لم يلبث أن غالب ضعفه ، وسأل « ادوين » أن يعاهده على أن ما دار بينهما سيظل سرا . فوعده الشاب ، ثم أردف : « اننى أدرك انك ما كشفت لي عن دخيلتك الا لانك تحبنى وتثق بى ، كما احبك واثق بك . ولكنى لم اتمالك أن لاحظت أن الافضاء كبدك عناء ، فلست اشك فى ان متاعبك الفكرية تقترن بألم حقيقى يصعب عليك احتماله . اما انا ، فما أرانى فى مثل موقفك ، اذ اننى لن البث ــ بعد بضعة اشهر ــ ان أحمل « بوسى » من مدرستها ، لتغدو « مسز ادوين درود » ، ثم ارحل لامارس الهندسة فى الشرق ، وهى معى .. ولا ارتاب فى اننا سنتغلب على المنغص الذى يشوب حبنا .. اعنى شعورنا بأن زواجنا كان مدبرا لنا من قبل ! »

وكان جاسبر يرقب كل اختلاجة على وجه «ادوين» وهو يتكلم عن « بوسى » ، وقد استغرق فى هذه المراقبة بكل حواسه !

مدرسة الراهبات

• **لاسباب** ستتكشف فيما بعد ، يحسن ان نطلق على هذه المدينة أسم (كلويسترهام) .. وكانت مدينة عتيقة . متدينة ، ينشأ صغارها متقلبين فى غبار الرهبان والراهبات . وكانت تقوم فى وسطها مدرسة الراهبات .. مبنى منيع ، ثبتت على بابه لوحة كتب عليها : « معهد للفتيات ــ الآنسة توينكلتن » . فقد كانت مديرة المعهد تحمل هذا الاسم .

وكما يحدث فى بعض حالات الافراط فى الخمر أو الميل الحيوانى ، نجد أن ثمة حالين من حالات الوعى ، لا تتصادمان

وانما تسير كل منهما فى طريق خاصة ، وكأنها مستمرة ، غير منقطعة .. فاذا أنا فقدت ساعتى مثلا — وأنا سكران — فلا بد لى من أن أثمل ثانية لاتذكر أين فقدتها ! .. وكذلك كان للانسة توينكلتن وجودان منفصلان . فما أن كانت الفتيات يأوين الى مخادعهن فى كل ليلة ، حتى كانت تسوى شعرها ، وتجمل عينيها ، وتتخذ مظهرا غير ذاك الذى ألفته الفتيات.. وفى كل ليلة ، كانت الآنسة توينكلتن تستأنف — فى تلك الساعة — ما كانت تفعله فى الليلة السابقة ، منغمسة فى أرق فضيحة جرت فى (كلويسترهام) ، وان لم تذكر — فى النهار — شيئا من ذلك ، اذا ما ارتدت الى كيانها المدرسى كمعلمة ! .. وكانت زميلتها فى الحالين والكيانين ، أرملة ذات صوت أجش ، وظهر ضعيف ، تسمى « مسز تيشر » ، وتتولى عادة العناية بخزانات ثياب الطالبات !

وكانت مدللة مدرسة الراهبات هى الآنسة « روزبد » .. فتاة جميلة ، مرحة ، ساذجة كالطفلة ، ذات أهواء عجيبة.. تلك هى خطيبة « ادوين درود ». وقد كانت الآنسة توينكلتن تسمح له بزيارتها واصطحابها الى الخارج ، اشفاقا منها أن تغادر الفتاة المدرسة ، اذا هى حالت دون زيارات خطيبها لها. وقد سمحت للفتاة باستقباله حين زارها فى اليوم التالى لعيد ميلادها .. ولكن « روزا » تلقته فى فتور ، قائلة : « من السخف المضحك أن أكون يتيمة مخطوبة ، ترمقنى الطالبات والخادمات كما لو اننى كنت فأرا فى مصيدة ! »

وتألم الشاب وخبا تألقه .. بينما انطلقت « روزا » تصف له الاحتفال الذى أقيم فى المدرسة بعيد ميلادها ، وكيف أن احدى الفتيات راحت تمثله ، وتقوم بدور الخطيب لها خلال الحفلة . ثم تنهدت قائلة : « لكم آسف على هذا المعهد ، اذ أشعر بأنه سيفتقدنى حين أغادره وأنا بعد صغيرة السن ! ».

واقترحت عليه بأن يتظاهر كل منهما بأنه خطيب لشخص غير

صاحبه ، لان شعورهما بأنهما خطيبان بتدبير من والديهما ، دون أن يكون لهما فى الامر خيار، يجعلهما ميالين الى الخصام !

ثم راحت تسأله عن خطيبته المزعومة : ماشكلها ؟ مالونها ؟ وهل ترضى بأن ترافقه الى مصر ، حيث كان يعتزم أن يعمل ؟ .. وأجابها الشاب: «انها تهتم بانتصارات البراعة الهندسية!» . فقاطعته متسائلة فى سخرية : « أو لا تكره الاعراب والاتراك والفلاحين ؟ » . ولكنه أجابها بحزم : « لا ! » .. وهكذا عادا الى التضارب فى الرأى و الخصام ! وانفجرت « روزا » باكية : « لكم أود أن نكون صديقين .. انما يضيق كل منا بالآخر ، لاننا نعجز عن أن نكون صديقين . انني اعانى أوجاعا فى قلبى، رغم صغر سنى .. وانت كذلك . وكان بوسعنا أن نكون أفضل من هذا ، لو اننا تحللنا مما فرض علينا حتما ! »

ــ دعينا نتفاهم يا عزيزتى بوسى .. اهناك شاب آخر ؟

ــ أوه ، لا .. لا .. لا !

وكانا قد اقتربا من نوافذ الكنيسة ، فتناهت الى آذانهما انغام الارغن والترانيم فى بهاء سماوى . وأصغيا اليها .. وفجأة ، قال ادوين : « انني لاميز صوت جاك واضحا ! » واذ ذاك هتفت خطيبته ملهوفة : « لنعد الى داخل المدرسة! »

جاسبر .. فى منتصف الليل !

• **كان** مستر « توماس سابسى » ــ الدلال ــ يبدو كالاسقف تماما ، حتى ان أهل (كلويسترهام) كثيرا ما كانوا ينادونه بيا « سيدى الاسقف » ، وحتى أنه كان يختتم صفقاته بالدعاء وطلب البركة !

وفى ذات مساء ، دعا مستر « سابسى » الى داره مستر جاسبر ، ليستشيره فى اقامة نصب تذكارى على قبر زوجته، التى ماتت حديثا. ولم يلبث ان انضم اليهما مستر «ديردلز» ، حفار القبور ، الذى كان يشكو من داء «القبور» الناشىء عن

رطوبة المقابر، والذى كان يأبى أن يعترف أنه «الروماتيزم»!.. على أن أشد شكواه كانت من صبية البلدة الذين كانوا لا ينفكون يعاكسونه .

وانصرف « ديردلز » أولا ، ولكن « جون جاسبر » ألفاه ـ عند انصرافه بدوره ، بعد قليل ـ مستندا الى سياج المقبرة ، وقد راح صبى صغير ، فى أسمال بالية ، يقذفه بالاحجار . وتقدم « جاسبر » يصرخ فى الصبى ساخطا ، وهو يسأله : « ما الذى فعله الرجل بك ؟ » .. وبهت اذ أجابه الصبى : **« انه يأبى العودة الى داره » .**

ـ وما شأنك أنت بهذا ؟

ـ انه يعطينى بنسا ، اذا فاجأته خارج داره فى ساعة متأخرة !

وكان الصبى عاملا فى مصانع « الغاز » بالمدينة ، وقد اعتاد أن يخرج ليجوس خلال البلدة بالليل ، ويروح عن رئتيه آثار « الغاز » . وكان ـ ككل واحد من الصبية العاملين ـ يسمى « دبيوتى » . وقد ظل « دبيوتى » هذا يقذف « ديردلز » بالاحجار، حتى ألقى اليه هذا بقطعة من النقود.. فانصرف بعد أن رافق جاسبر الرجل الى قرب داره . وسأله فى الطريق عما اذا كان قد وفق الى كشف جديد فى السراديب الاثرية التى كانت ممتدة تحت المدافن ، ثم راح يصغى فى انتباه الى حديث حفار القبور عن الدروب والمسالك الخفية التى كان يكتشفها هناك !

وقال جاسبر اخيرا : « يا لغرابة حياتك ! .. **الحق اننى بدأت أفكر فى أن أرجوك أن تقبلنى تلميذا لك بدون أجر ، لتسمح لى بأن أرافقك فى تلك الأقبية، فى بعض الاحيان ! »..**

واذ ذاك طفق « ديردلز » يشرح له الطريقة التى يمسك بها معوله ، والتى يعرف بها الحجر الاصم من الحجر الاجوف ، والتى يقيس بها الاغوار التى يريد ان يحفرها .

وعاد جاسبر الى داره ، ففتح الباب الخارجي برفق ، ودلف الى الداخل .. وكانت النار مستعرة فى المدفأة ، فأخرج من مكان امين غليونا غريب الشكل ، حشاه بمادة غير التبغ ، ثم تسلق سلما داخليا قصيرا الى غرفتين، كانت احداهما مخدعا له ، والاخرى لابن اخته .. وكان الشاب نائما فى دعة واستغراق ، فوقف جاسبر يتفرس فى وجهه بامعان ، وهو ممسك بالغليون الذى لم يشعله . ثم سار — بخطى حذرة — الى مخدعه ، وأشعل الغليون ، واستسلم للاحلام التى يصورها الافيون فى منتصف الليل !

اعترافات شاب غريب

◆ لم يكد القس « **سبتيمس كريسباركل** » يجلس الى مائدة الافطار ، فى « ركن القس الاصغر » — وهو المسكن المخصص له فى رحاب كاتدرائية (كلويسترهام) — حتى اطلعته أمه العجوز على خطاب تلقته من مستر « هونيثندر » ، رئيس احدى المبرات الخيرية الدينية فى لندن . وكان الرجل يعرض فى خطابه أن يرسل الى السيدة العجوز شقيقين كان أمرهما موكلا اليه ، ليتلقى أحدهما — وهو «نيفيل لاندليس» — قسطا من العلم على يدى القس ، بينما تلحق أخته — وكانت تدعى « هيلينا » — بمدرسة الراهبات !

واقترح القس على أمه أن يقيما مأدبة عشاء ، لاستقبال الشقيقين ، وأن يدعوا اليها ابن اخى جاسبر ، لانه شاب كالضيفين ، والشباب يهفو الى الشباب .. وهنا ينبغى أن يدعى جاسبر كذلك ، وان تدعى خطيبة « ادوين » .. وهذا يتطلب أن تدعى الآنسة « توينكلتن » هى الاخرى . فاذا أضيف القس وأمه الى هؤلاء ، كان مجموع من تضمهم المائدة ثمانية .. ولكن القدر كان يدخر تدبيرا آخر ، فان مستر «هونيثندر» شاء ان يرافق الشقيقين ليطمئن الى سلامتهما،

فكان لا بد من افساح مكان له حول المائدة ، مما ضايق الحضور ، وضاقت به غرفة المائدة فى « ركن القس الصغير » .. وزاد الامر ضيقا ، أن « هونيشندر » هذا كان ثقيل الجسم ثقيل الظل ، حتى ان الحضور خدعوه ، وحملوه على أن يغادر الدار قبل موعد الحافلة - التى تعود به الى لندن - بنصف ساعة ، كى يتخلصوا منه !

وودعه القس الاصغر ، و « نيفيل » .. وفيما هما عائدان شرع الشاب فى الافضاء الى القس بحديث لم يكن يتوقعه لقصر عهدهما بالتعارف .. اذ قال : « لعلك لا تعرف اننى وأختى قد جئنا من سيلان ؟ ! .. كنا نعيش هناك مع زوج امنا ، بعد أن مات أبونا فى طفولتنا ، وماتت أمنا فى يفاعنا .. وكانت حياتنا تعسة ، اذ أن أمنا أقامت زوجها وصيا علينا ، فقتر علينا فى الطعام والثياب .. وقد عين - قبل موته - مستر هونيشندر وصيا علينا ! »

وراح الشاب يروى للقس كيف كان زوج أمه قاسيا عليه وعلى أخته، حتى لقد كان نيفيل موشكا أن يقتله ، لو لم يواته الموت ! .. وأبدى القس جزعه واستنكاره لمثل هذه الروح من الشاب ، فقال هذا : « لقد شهدته يضرب أختى مرارا ، ولن انسى ذلك ! .. اننى آسف لما ابديت فى حديثى من عنف ، ولكنى أهيب بك أن تساعدنى على كبح جماح نفسى ! .. لعلك تدهش يا سيدى لاننى أعترف اليك بمثل هذه الامور ، ونحن حديثا عهد بالتعارف ، ولكنك لا تعرف كيف أحببتك انا واختى ، ووثقنا فيك مذ رأيناك ! .. اننا لم نحب مخلوقا آخر من قبل ، بل لقد جئنا الى هنا وفى عزمنا أن نبغضك وأن نضايقك ، وأن نهرب من دارك .. **لقد اضطررت - مذ تفتق وعيى - الى أن أكبت فى نفسى كراهية قاتلة ، مما جعلنى أنشأ كنوما ، محبا للانتقام .. لقد كنت دائما أعانى القسوة والعنف ، فدفعنى هذا الى أن أكون وغدا ، شريرا ، وضيعا**

.. ولقد حرمت من كل حرية ، ومن كل مسرات الطفولة ، فنشأت مجردا من كل العواطف الخيرة ، والغرائز الطيبة.. ولقد تربيت بين خدم وعبيد ، من عنصر متأخر،غير متمدين، ومن ثم فلعلى أصبت ببعض ما فيهم من شراسة وغدر ! »

وتمتم مستر كريسبار كل لنفسه :«هذا أمر غير مشجع !»

فقال نيفيل : « بقى أن أذكر لك يا سيدى أننى وشقيقتى توأمان ، وأن كل ما عانته أختى ـ بالذات ـ لم يحطم روحها أو يذل نفسها .. ولقد هربنا أربع مرات فى ست سنوات ، فكانت ترتدى ثياب الغلمان ، وكانت هى التى ترسم خطة الهرب ، وتتولى القيادة .. ورغم العقاب المبرح ، فانها لم تكن تثنى عن معاودة المحاولة ! »

ـ سأحاول أن أؤدى واجبى نحوك ، ولكنى أهيب بك أن تذكر دائما أننى لن أقوى على أى اصلاح ، ما لم تساعدنى أنت ! .. وبهذه المناسبة ، لقد لاحظت انك تتكلم باسمك واسم أختك ، مع انكما لم تنفردا ـ منذ قدمتما ـ لحظة لتتفقا على الاعتراف لى بكل هذا

ـ انك لا تعرف يا سيدى أى تفاهم تام بيننا ، رغم اننا لم نتبادل كلمة واحدة .. فان مجرد نظرة تجرى بيننا كافية ! .. بل ان أختى تعلم اننى أنتهز هذه الفرصة لاتحدث اليك فى أمرى وأمرها !

وسكت الشاب لحظة ، ثم قال : « **قد لا يكون لى أن أسأل هذا السؤال ، ولكن .. هذا المستر ادوين درود .. أهو يتتلمذ عليك يا سيدى ؟ »**

ـ لا .. انه هنا فى زيارة قريبه مستر جاسبر

ـ وهل الآنسة « روزبد » قريبته كذلك ؟

فلما ذكر له القس أنها خطيبته ، قال الشاب : « آه ! .. الآن فهمت سر روح التملك التى تتبدى عليه ! »

وكان مستر جاسبر يجلس الى المعزف ـ حين عادا الى

البيت ـ يصاحب بالانغام الآنسة «روزبد» وهى تغنى . وقد ثبت بصره على شفتيها، وكأنه يستلهمها ماكان يعزف. بينما أحاطت «هيلينا» خصر الفتاة بذراعها ، وهى تركز كل انتباهها على مستر جاسبر .. وكانت الاغنية حزينة، تصف فراقا بين حبيبين . وكان الصوت الشاب ، الرقيق ، يفيض بالاسى والشجن ، وقد تعمد جاسبر ـ وهو يرقب الشفتين ـ أن يخفض النغم تدريجاً ، فكأن الصوت ينخفض تبعاً لذلك ، حتى بات همساً باكياً .. وفجأة ، أجهشت « روزا » بالبكاء ، وهى تصيح : « لست أحتمل هذا ! .. اننى خائفة ! أبعدونى عن هنا ! »

وبحركة سريعة من جسمها اللدن ، طرحت « هيلينا » الفتاة على أريكة ، وجثت على ركبتيها ، وأمرت الجميع بالصمت .. وظلت أصابع جاسبر مرفوعة فى الهواء ، فوق مفاتيح المعزف ، وقد جلس هادئا .. وهتف أدوين درود : « ان بوسى لم تعتد الغناء أمام الناس ، فلم تحتمل أعصابها.. ثم ان جاسبر استاذ دقيق ، يتطلب من تلميذته جهدا جبارا، وأعتقد أنه أخافها ! »

فقالت هيلينا : «هذا صحيح !».. واذ ذاك هتف ادوين : « اسمعت يا جاك ؟ .. أحسبك تخافين منه أنت الاخرى فى مثل هذه الظروف يا مس لاندليس ؟ » . ولكن الفتاة قالت : « لست أخافه فى اية ظروف ! » . وكان جاك قد أنزل يديه

من الهواء ، وجلس جامدا . **فلما عادت تلميذته الى رشدها، التفت القوم فاذا مقعد « الوحش الذى أخافها » قد خلا منه !**

واذ ذاك ، استأذنت مس توينكلتن فى الانصراف مصطحبة تلميذتيها .. « روزا » و « هيلينا » . وكانت الطالبات قد اوين الى مضاجعهن، وظلت مسز تيشر ساهرة ، ولكن هيلينا اعفتها من عبء العناية بروزا. حتى اذا خلت الفتاتان فى مخدع الاخيرة ، بدا أن الود قد ربط بينهما برباط وثيق ، رغم حداثة تعارفهما .. وقالت هيلينا مجاملة : « ما كان بوسعى أن اقاوم سحرك يا جميلتى .. لا عجب اذن فى أن يكون خطيبك مشغوفا بك » . فعضت روزا شفتها قائلة : « ربما ! .. لست أملك أن أقول انه لا يحبنى، ولعل الذنب ذنبى ، فلست لطيفة معه كما ينبغى ! »

— ومن يكون مستر جاسبر ؟

فأشاحت روزا بوجهها ، وهى تقول : « انه خال ادوين ، واستاذى فى الموسيقى » . فعادت هيلينا تسألها : « أو لست تحبينه ؟ » . **واذ ذاك تجلى الخوف — بل الذعر — على محيا الفتاة ، وجثت على ركبتيها ، متشبثة بأهداب ثوب هيلينا ، وهى تقول : « أوه ! » . فقالت هيلينا : « أتعرفين أنه يحبك ؟ » . وهنا صرخت روزا : « لا تقولى هذا .. انه يرعبنى .. انه يطارد فكرى كشبح بغيض .. لكم أشعر معه بأننى فى غير مأمن . بل اننى لاشعر أن الجدار يوشك أن ينشق عنه ، اذا ما ذكر اسمه ! »**

— حاولى أن تفضى الى بكل شىء .. لكأنه هددك يوما بشر مستطير !

— أبدا .. ما تكلم الى عن هذا قط . ولكنه استعبدنى بنظراته .. قسرنى على أن أفهمه ، بدون أن ينبس بكلمة .. غصبنى على أن أصمت ، بدون أن يهددنى .. اذا عزفت ، لم تفارق عيناه أصابعى ، فاذا شاء أن يصحح لى نغما ، شعرت

بأن النغم الذى يعزفه يهمس بحبه لى ، ويأمرنى بأن أستبقى الامر سرا .. اننى أتحاشى عينيه ، ولكنه يقسرنى على ادراك نظراتهما ، دون ان أتطلع اليهما .. كأنه يهيم فى حلم مخيف، يضطرنى الى أن أعرفه، والىان اشعر بأنثمةنذيرا مفزعا !.. **وعندما راح يراقب شفتى الليلة ، شعرت ـ الىجوار الخوف ـ باستحياء وعار ، وكأنه كان يقبلنى ، فلم أحتمل ذلك !..** أرجو أن لا تبوحى بكلمة واحدة عن ذلك ، فان ادوين شديد الحب له .. وغاية الامر اننى اراك قوية ، وهذا ما شجعنى على أن افضفض لك بما يقض هنائى !

وكان وهج نار المدفأة يسقط على وجه هيلينا الاسمر ، وشعرها الفاحم الغزير ، فيبديها كبنات الفجر القويات !

مشاجرة فى جوف الليل

◆ **قال** نيفيل لادوين ، بعد أن انصرفا من زيارة الفتاتين فى مدرسة الراهبات ، وقد سارا على مهل فى شوارع المدينة ، تحت ضوء القمر : « أتعتزم أن تقيم هنا طويلا ؟ » . فأجاب ادوين : « بل سأرحل الى لندن غدا ، ولكننى سأعود بين آن وآخر ، الى أن ينتصف الصيف ، فأغادر انجلترا بأسرها .. فاننى ذاهب الى مصر لاساهم فىيقظتها !.. اننى مهندس ،وقد ورثت حصة فى راس مال الشركة التى أعمل بها ، وسأظل مستخدما بالشركة الى أن أبلغ سن الرشد ، ثم اغدو شريكا .. وخالى هو الوصى على حتى ذاك الحين »

وأبدى « نيفيل » اعجابه بخطيبة صاحبه ، وبالحظ الذى ساقها اليه ، ولكن ادوين لم يغتبط بهذا ، بل بدا محنقا .. «كأنى بكل بيت ، وبكل مقهى عام فى كلويسترهام ، وبكل شخص لا يجد حديثا سوى الخطبة ، وسوى « بوسى » .. لست أعرف يا مستر نيفيل ما اذا كان الناس يحبون أن يتحدث سواهم عن أعزما يعتزون هم به ! .. ولعل خير

ما يحسن بكل امرىء أن يفعله ، هو أن يهتم بشؤونه الخاصة. وأرجو أن تكون أنت مثالا لذلك ! »

وتطور النقاش ، حتى أوشك الشابان على أن يشتبكا فى عراك . لولا أن أجفل أدوين ، اذ شعر بيد تمس كتفه . **ورأى جاسبر يقف بينهما .. والظاهر أنه – هو الآخر – كان يحوم حول المدرسة ، تحت جنح الظلام ! ..** وهتف جاسبر بقريبه: « تذكر يا بنى العزيز أنك بمثابة مضيف لمسترنيفيل، فيجب أن ترعى واجبات الضيافة ! » .. ثم التفت الى نيفيل قائلا : « وأهيب بك أنت الآخر ان تسيطر على غضبك ! » . وأصلح ما بينهما ، ثم دعاهما الى الشراب فى بيته . وهناك وقعت عينا نيفيل على الصورة ، فأعجب بالرسم ، وما لبث أن انزلق الى الحديث عن « روزا » وعن الخطبة .. حتى اذا عرف الشاب كيف كانت مدبرة ، قال : « ربما كان من الافضل لمستر درود أن يعانى بعض الصعاب قبل أن يظفر بها » . فتساءل ادوين فى شىء من الجفاء : « ولماذا ؟ »

– لان هذا قد يزيده شعورا بالحظ الحسن ، الذى لم ينله لمجرد مواهبه

ومرة أخرى ، احتد النقاش بينهما ، وحاول جاسبر أن يدخل بينهما ، ولكن نيفيل أزاحه جانبا وهو يغلى حنقا .. وضرب الارض بكأسه فى عنف ، فتطايرت شظايا ، وتطايرت الكؤوس والمقاعد .. ثم أسرع نيفيل يغادر الدار ! .. **واستقبله هواء الليل وظلامه ، بيد أنه لم يفطن الى شىء ، اللهم الا الى أنه كان يقف عارى الرأس ، على شفا بركة من الدماء ، يتربص .. فاما أن لقى مصرعه ، وأما قهر الموت !**

ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. وخيل اليه ان مطارق تهوى على جنبات رأسه وقلبه .. ثم خيل اليه كأنه قدحبس وراء المزاليج ، كحيوان خطير .. وتتابعت على ذهنه الافكار :

النهر ، والكاتدرائية ، والقبور ، واخته ، والقس الذى عاهد على ان يصلح نفسه !

وكان القس الاصغر ساهرا ، عندما آب « نيفيل » الى داره ، فما أن رآه حتى هتف : « مستر نيفيل ! وبهذا الشكل المشعث ؟ ! .. أين كنت ؟ » .. وامسك بساعده ، وشد بيد قوية الى الداخل .. واذ ذاك قال الشاب : « كنت فى دار مستر جاسبر ، مع ابن أخته يا سيدى ! .. لقد بدأت أشعر بالشر يا سيدى ، رغم انني لم أفرط فى الشراب .. **ولقد استبدت بى النوبة فجأة ، وبأغرب شكل عهدته .. لقد تشاجرت مع ابن اخت مستر جاسبر ، فتركت ذلك الدم الوحشى يغلى فى عروقى ! .. كان الامر فوق طاقتى ، ولست أجزم بأننى كنت البادىء ، ولكن أغلب ظنى أنه هو البادىء .. وأنه كان يقصد الشجار ! »**

وبقبضة قوية ، قاد مستر كريسباركل تلميذه الى غرفته ، فتهالك الشاب على مقعد ، وألقى بيديه على منضدة أمامه ، ثم أسند رأسه اليهما ، وهو فى أقصى حالات الندم ! .. وما ان عاد القس الى غرفته ، حتى سمع طرقات خفيفة ، واذا جاسبر قد أقبل حاملا قبعة نيفيل . فسأله القس : « أكان عراكا شديدا ؟ »

ــ بل كان قاتلا .. لقد أوشك الشاب أن يصرع ولدى العزيز ، لولا أننى كنت سريعا ، خفيف الحركة ، قويا .. ابدا لن اعرف معنى للأمان وراحة البال ، اذا ما قدر لهذين الشابين ان يلتقيا يوما ، وليس معهما من يتدخل بينهما .. كأنى بنمر كاسر يجرى فى دماء هذا الشاب الاسمر !

سبيل الى التحلل من الزواج !

● **لم** تكن «روزا» تعرف لنفسها دارا ــ منذ مات والداها وهى بعد فى السابعة من عمرها ــ سوى مدرسة الراهبات ،

ولا اما سوى مس توينكلتن .. وقد ادت هـذه الظروف الى أن تجعل منها فتاة مدللة ، ضـعيفة ، تتطلع الى عطف من كانوا يحيطون بها .. فقد كان الجميع يرثون لها ، ويفتنـون بجمالها ، فيسرفون فى تدليلها

وقبل أن يعد الفطور فى مدرسة الراهبات ـ فى الصباح التالى للعراك الذى جرى بين ادوين ونيفيل ـ كانت الانبـاء قد تسربت الى المدرسة .. وقيل ان شقيق الآنسة لانديليس قد ضرب مستر ادوين درود بزجاجة .. وقيـل انه طعنـه بسكين ، وان السبب كان راجعا الى ان شقيق الآنسة لانديليس ابدى اعجابا بالآنسة « روزبد » ، فنهاه مستر «ادوين درود» عن ذلك . وحاولت « روزا » المسكينة أن تصم اذنيها عن الاقاويل ، ولكن الآنسة لانديليس الحفت فى رجاء الآنسـة توينكلتن بأن تسمح لها بالخروج لرؤية اخيها . فلما رجعت ، روت لروزا الحـادث .. ولكنهـا عنيت بان تؤكد لهـا أن أخاها قد استثير فوق ما كان يحتمل ، وانه يسألها أن تغفر له ما حدث . **على ان الشجار شغل بال « روزا » الى درجة بالغة ، لا سيما وقد احست بانها كانت السبب الذى حفز اليه .. وشعرت بأن الخطبة ـ التى لم يكن لها فيها أى خيار ـ كانت عبئا يثقلها ..**

وفى هذه الظروف بالذات ، زارها مستر « جروجيوس » ـ الذى كان وصيا عليها ـ ليطمئن الى انها سعيدة وبصحة طيبة ، والى أنها تنال كل ما تبغى من مال .. فلما طمأنتـه روزا الى ذلك ، قال : « والآن ، أتحول الى السبب المباشر لزيارتى .. الى الزواج ! .. لقد تردد مستر ادوين على هذا المكان مرارا ، كما كان مدبرا له . وقد فهمت من رسائلك أنك قد ملت اليه ، وانه مال اليك ، وانكما تتراسلان . وهـكذا يسير كل شىء وفق ما هو مرجو ، وعندما يحين عيد الميلاد ، سنخطر المدرسة بأنك سترحلين فى منتصف العام الجديد ».

وظلت روزا صـــامتة ، وقد شرد ذهنهـــا .. فلم يلبث ان استطرد قائلا :

ــ وعلى هذا ، فانى أعتقـــد أن الوقت قد حان لاسلمك نسخة معتمدة من وصية أبيك ، وأن أسلم مستر جاسبر ــ الوصى على مستر ادوين ــ نسخة أخرى !

وهنا قاطعته روزا لترجوه أن يسلم النســـخة الثانية الى « ادوين » نفسه ، لانها لم تكن تحب أن يتـــدخل مستر جاسبر بينهما . فهتف الرجل : « لابأس ، رغبتك محققة !.. اما عن ميراثك ، فأحسبك تعلمين أن لك معاشا سنويا قدره مائتان وخمسون جنيها ، أضيفت اليه المدخرات ، وخصمت منه المصروفات ــ بمستندات صحيحة ــ فأصبحت تمتلكين رصيدا يتجاوز ألفا وسبعمائة جنيه .. وقد خولت أن أنفق على زواجك من هذا المبلغ »

وسألته « روزا » إذ ذاك عما اذا كان النص الخاص بزواجها من « ادوين » ملزما ، فقال : « **اذا لم يتزوج كل منكما الآخر ، فستظلين تحت وصـــايتى حتى تبلغى سن الرشد . كما أنه ببلوغه سن الرشد سيظفر بكل ما تركه له أبوه . وقصارى القول أن زواجكما رغبـــة ، أو مشروع ودى عاطفى ، عبر عنه والداكما وكلهما آمال فى أن يكون موفقا . فهل هناك أية رغبات أستطيع أن أحققها لك ياعزيزتى ؟** »

ــ سأسوى الأمر أولا بينى وبين ادوين .. لقد رحل الى لندن اليوم ، وسيعود فى عيد الميلاد . فهل تزورنى اذ ذاك ؟

فوعدها مستر « جروجيوس » بذلك ، ثم غادر المدرسة . بيد أنه لم يشأ أن يبارح « كلويسترهام » دون أن يزور مستر جاسبر . وما أن علم هذا بأن مستر « جروجيـوس » أنبأ « روزا » بأن من حقها أن تتحلل من الزواج من « ادوين » ، وأنها سألته أن يدع لها تسوية الامر مع الشاب ، دون تدخل من خاله ، حتى دق صدره براحته ، وشحب لونه ..

نيفيل يعلن حبه !

• كانت مسز كريسباركل العجوز ناقمة على « نيفيل » تصرفه نحو « ادوين » ، بالرغم مما ساقه ابنها القس من أعذار دفاعا عن الشاب ، بزعم أنه استثير . واستطردت الام قائلة ، وهى تهدم هذه الاعذار : « ثم ، سل نفسك عما يكون من أمر هذا الشاب ، لولا وجود أخته ، فأنت تدرى مدى تأثيرها عليه ، ومدى سلطانها عليه ، ومدى ولائه لها ، حتى أنه ليقرأ عليها ما تلقنه أنت من دروس ! » .. والحق أن القس لم يكن يملك لشىء من هذا انكارا ، فراح يفكر فى مدى الرابطة القوية بين الشقيقين .

وكان لا يزال يفكر فيهما ، حين لمحهما بعد صلاة المساء ، فتعمد أن يلحق بهما فى نزهتهما اليومية المحببة اليهما . وما لبث أن قال للشاب : « أحسب أنك قد اخبرت شقيقتك بكل شىء ، وبما أهبت بك مرارا أن تفعله ، من اعتذار عن الحادث التعس الذى وقع ليلة وصولك الى هنا ؟ » .. ثم تحول يبين للفتاة كيف أن أخاها كان مخطئا ، لاسيما وأنه كان سريع التهور والانسياق للغضب المهتاج .. وحاولت الفتاة أن تبرر مسلك أخيها بأنه استثير ، بينما قال الشاب أنه لم يفعل ما يستحق الاعتذار . وهنا انقلب مستر كريسباركل يعنفه لانه أقحم نفسه بين خطيبين متحابين ، فقال نيفيل فى لهجة مؤكدة : « **اننى لم أوت الجرأة من قبل على أن أقول لك ما سوف أقوله الآن يا سيدى .. اننى أعجب بالآنسة « روزبد » الى درجة أننى لا أحتمل أن أراها تعامل بدون اكتراث ! .. ان ذلك الشاب يعجز عن أن يشعر نحوها بالاحاسيس التى توحيها الى هذه الحسناء التى يعاملها وكأنها دمية ! .. انه غير جدير بها وانى لاكرر اننى أحبها وازدريه وأكرهه !** »

وهنا أمسكت هيلينا بذراع أخيها تهزه بعنف وهى تلومه

على ما قال : بينما انصرف القس وهو يتمنى لو أن ادوين وروزا تزوجا ورحلا عن البلدة !

ولم يلبث ان سعى الى جاسبر ، وسأله أن يكتب الى ادوين كي يمد يده الى نيفيل فى وئام ، متناسيا ماجرى .. فسرعان ما رد « ادوين » شاكرا لمستر كريسباركل نصحه ، ومؤكدا انه لم يكن يحمل لنيفيل أية ضغينة . وذكر انه كان يعتزم أن يزور (كلويسترهام) عما قريب . ولكن جاسبر لم يكتم خوفه على ابن اخته من ذلك الشاب الاسمر « نيفيل » ، بعد أن رآه فى هياجه كالوحش ، فى ليلة الشجار !

فى سراديب كلويسترهام

• تناول «ادوين» العشاء على مائدة مستر «جروجيوس» وقد زاره قبل رحيله الى (كلويسترهام) . فلما فرغا من الطعام ، دار الحديث بينهما عن « روزبد » الحسناء ، وعن الزواج . فلم يلبث مستر جروجيوس أن أحضر علبة صغيرة بها خاتم ذهبى ذو ماسة ثمينة ، وقال : « هذا خاتم أم روزا جميلة سعيدة .. حتى اذا اقترب أجله ، أوصانى بأن أسلمك اياه كي تحيط به أصبع روزا ، اذا ما كبرتما وقدر لكما أن تتزوجا . فاذا لم يقدر ذلك ، فيجب أن ترد الى الخاتم ليبقى فى حوزتى ! .. فقط ، عدنى بأن لا تحيط به أصبع روزا ، ما لم تكن تحبها ! »

وقد خلعه زوجها عن أصبعها عندما ماتت ، بعد حياة زوجية

وأسلم الرجل الخاتم الى الشاب عندما وعده . ثم انصرف ادوين ، رغم أن الضباب كان يتكاثف فى الخارج

• • • • • • • • • • • • • •

فى تلك الامسية الرطبة ، خرج مستر سابسى يجوس خلال البلدة كعادته فى الفترة الاخيرة ، اذ أصبح عمدة لها .. وأمام

الكاتدرائية ، التقى بالاسقف ومستر « ديردلز » ـ حافر القبور ـ ومستر « جاسبر » ومستر « توب » . ووقفوا يتحدثون بعض الوقت ، عن (كلويسترهام) وعراقة تاريخها . .
فذكر جاسبر أن ديردلز اصطحبه فى جولات خلال المقابر ـ أثناء النهار ـ ولكنه كان يتأهب فى تلك الليلة لان يصحبه فى جولة تحت ضوء القمر ، يرتادان فيها الاقبية والسراديب القديمة !

وقضى جاسبر ـ بعد ذلك ـ ثلاث ساعات جالسا الى المعزف فى الكاتدرائية ، يوقع الالحان منشدا بعض الترانيم والاناشيد الدينية . حتى اذا اكتفى ، سار الى مسكن «ديردلز» وناداه، قائلا : « أمستعد أنت ؟ » . وأقبل حافر القبور ، وقد بدا عليه انه كان يعاقر الخمر !

وكانت جولة غريبة ، وسط القبور ، وقد أمسك «ديردلز» بمصباح « فانوس » متقدما صاحبه ، وهما يسيران كشبحين !.. ومرا بكوم من الجير الحى ، فقال ديردلز : « أرأيت هذا ؟ .. انه جير حى .. من الحيوية بحيث يفرى حذاءك ، أو يهرأ عظامنا ! »

ومرا فى طريقهما ببيت القس الاصغر .. وفجأة ، لمحا مستر كريسباركل ونيفيل ، يقفان بباب البيت ، فاستوقف جاسبر صاحبه ، وهمس اليه بأن يتوارى معه، قائلا : « لنتوار حتى لا يستوقفانا أو يرغبا فى مرافقتنا ! » .. وكان الحديث بين القس وتلميذه يتناهى اليهما فى غير وضوح ، فأرهف جاسبر أذنيه ، ولكنه لم يسمع سوى عبارات متباعدة . لقد قال كريسباركل : « هذا أول أيام الاسبوع .. وسيكون آخر أيام الاسبوع هو السابق لعيد الميلاد » .. واجاب نيفيل : « اطمئن يا سيدى » .. وفى مرة أخرى ، قال كريسباركل : « تذكر اننى تعهدت بأن أكون مسئولا عنك » .. **وما لبثا أن توارايا داخل الدار . فاستأنف جاسبر وديردلز سيرهما ، حتى اذا ابتعدا ، انفجر الاول ضاحكا ، بينما راح الثانى يحملق**

فيه وهو لا يدرى سر ضحكه !

وهبطا الى السراديب ، وكأنهما شبحان خرجا من قبريهما .. وكان نور القمر ينســاب الى الداخل خـلال طاقات بطول السراديب .. وانتقلا من سرداب الى سرداب ، حتى بلغا برجا .. وكان التعب قد برح بهما ، فجلسا على درجتين من السلم . واذ ذاك اخرج جاسبر من جيبه زجاجة خمــر ، قدمها الى ديردلز ، فتناول هذا منها جرعة ، ثم قال : « يا لها من خمر قوية ! » .. وعاد فتناول جرعة أخرى ، ثم قال : « اتعرف أن هنـــاك اشباحا لا تمثل أشخاصا ؟ .. أنها أصـوات ، وصرخات ! » .. وراح يروى له كيف ان النعاس غلبه ـ ذات ليلة ـ فى السراديب ، فاستيقظ على صرخة مروعة ، تبعها عواء كلب .. عواء طويل مخيف !

وأخرج ديردلز مفتاحا ضخما ، فتح به بوابة حـديدية ، أفضت بهما الى سلم آخر .. وراحا يصعدان السلم الكثير الالتواء ، وديردلز ممسك بزجاجة الخمر ، حتى اذا بلغا القمة ، وضعا المصباح على السلم ، وخرجا الى شرفة البرج ، وأخذا يطلان على (كلويسترهام) العتيقة ، التى كان البرج يصل الى مستوى كاتدرائيتها ! .. وكان جاسبر يتحرك فى خفة وحذر لا داعى لهما .. اما ديردلز ، فـكان النعـاس قـد بدأ يثقل أجفانه ، حتى أنه تعثر مرتين وهما يهبطان .. ولكنه لم يفلت الزجاجة قط من يده ! .. وبينما كانا ينطلقان راجعـين فى السراديب ، بدأ يفقد ثباته فى السير وفى الكلام معا ، ثم ألقى بنفسه أسفل احد الاعمدة الضخمة ، وتوسل الى صاحبه أن يدعه يغفو أربعين ثانية !

وسرعان ما نام ، ولكنه رأى حلمـا فى نومه .. بل أنه لم يكن حلما بالمعنى الصحيح ، فقد كان يسمع خـلاله خطوات جاسبر وهو يروح ويجىء الى جواره ، ثم تباعدت الخطوات وغابت فى طيات الزمان والمكان ..وأحس بشىء يمسه ، ووقع

من قبضته شىء كان ذا رنين ، فانحنى عليه شبح والتقطه .. ثم بقى وحيدا ـ فى المنام ـ زمنا ، تغير خلاله مسقط أشعة القمر المنسابة الى السراديب . وعندما استيقظ أخيرا ، تبين أن الاشعة كانت قد انحرفت فعلا ، فى عين المسقط الذى رآه فى المنام .. وسمع جاسبر يقول له : « هل استيقظت أخيرا ؟ .. ان الثوانى الاربعين امتدت الى آلاف .. لقد تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وقد حاولت ايقاظك مرارا ، فلم تستيقظ ! »

ـ وهل مسستنى ؟

ـ مسستك ؟! .. لقد هززتك !

وعندما نفذا أخيرا الى سطح الارض ، قوبلا بمطر من الاحجار .. كان الصبى « ديبوتى » فى انتظارهما .. وحاول جاسبر أن يمسك به وهو يقول : « لقد ظل يتبعنا مذ جئنا الى هنا ! »

فصاح الصبى : « أبدا .. انك تكذب ! »

ثم تحول يسوق ديردلز بالاحجار الى مسكنه .. وسار مستر جاسبر الى بيته ، وقد انتهت رحلته الليلية .. الى حين !

أخوة .. بدلا من غرام !

◆ **كان** اقتراب عيد الميلاد نذيرا بنشاط عجيب دب فى أرجاء مدرسة الراهبات.. وما لبثت الطالبات أن رحلن لقضاء العيد مع ذويهن ، ولكن « روزا » لم تكن تعرف لها بيتا سوى المدرسة ، فقنعت بالبقاء مع الآنسة توينكلتن .. وقد شغلت بظاهرة غريبة ، اذ أن هيلينا ـ منذ اعترف أخوها بحبه لروزا ـ عاهدت مستر كريسباركل على أن لا تذكر اسم «ادوين درود»، ولكن«روزا»لم تكن تدرى ماحدث،فأدهشها صمت هيلينا ، لا سيما وأنها كانت تعلم أن التفاهم قداستتب

ثانية بين الشابين ، مذ وصل « ادوين » الى المدينة .

وراحت تنتظر « ادوين » فى قلق لم يكن يزيد على قلق « ادوين » نفسه ، اذ أن كلمات مستر جروجيوس كانت قد أيقظت ضميره . **فما كان له أن يقدم الخاتم الى « روزا » ، ما لم يكن يحبها ، وما لم تكن تحبه .. وما كان من السهل عليه أن يجزم بالحالين ، فانتهى رأيه الى أن يهتدى بما تنم عنه كلمات الفتاة ، اذا ما زارها !**

وكان اليوم باردا ، زاهى الضياء ، عندما زارها .. وسرعان ما غادرا المدرسة ليتمشيا معا . وفيما هما فى طريقهما الى النهر ، قالت روزا : « **أريد أن أحدثك فى أمر جدى يا عزيزى ادى .. تعال نتحول الى أخ وأخت منذ اليوم !** » . فتساءل : « أولا نكون زوجا وزوجة أبدا ؟ » .. وكان جوابها : « أبدا ! » . وران عليهما صمت طويل ، ثم قالت روزا : « الحق انك لم تكن سعيدا بخطبتنا ، ولا انا كنت سعيدة بها ! » .. وغمر قلبهما شعور برىء ، طاهر .. شعور بالايثار ، والتجرد من الانانية . وطفق كل منهما يتحدث عما كان ينتظرهما من شقاء ، اذا هما تزوجا دون أن يكونا مطمئنين الى وجود حب متبادل وثيق بينهما .. ثم انقلب كل منهما يطلب الصفح من الآخر ، لما كبده من شقاء لعدم اهتدائه الى هذه الحقيقة قبل ذلك اليوم !

ولم ير « ادوين » داعيا لان ينبىء « روزا » بأمر الخاتم ، بل قرر أن يرده الى الوصى عليها .. ولكن الشىء الذى حيره فعلا ، هو : كيف يطلع خاله على ما اتفقا عليه ؟ .. كان يشفق على جاسبر أن يصاب بصدمة — كما خيل اليه — من جراء هذا النبأ . بيد أن « روزا » اقترحت عليه أن يدع هذه المهمة لمستر جروجيوس يؤديها عنه .

وعند باب المدرسة ، تبادلا قبلتين أخويتين بريئتين . وفى تلك اللحظة بالذات ، فطنا الى أن « جاسبر » كان يجثم بين

الاشجار يراقبهما . وتمتم ادوين : « يا لخالى المسكين ! .. سيتحطم قلبه للنبأ ! » .. وتساءلت روزا فى جزع : « اكان يتبعنا ؟ » .. ثم اسرعت تدق جرس البـاب ملهوفة ، حتى اذا فتح اخيرا ، اندفعت الى الداخل . بعد أن رمت «ادوين» بنظرة حافلة ، وكأنما ودت أن تقول له : « الا تفهم ؟ ! »

ثلاثة فى ليلة عاصفة

• **كانت** ليلة عيد الميلاد من الليالى الحافلة فى (كلويسترهام) .. وكان ثمة ثلاثة اشخاص قد اتفقوا على ان يلتقوا فى دار « جاسبر » ، فكيف تراهم قضوا نهارهم ؟

لقد ظل ((**نيفيل لانديس**)) منصرفا الى القراءة والكتـابة فى غرفته حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم نسـق كتبه ، واقبل يمزق ويحرق ما كان فى غنى عنـه من أوراق ، ونظف الغرفة بعناية ، ورتب كل ما فيها ، ولم يغفل ورقة لا تتعلق بدراسته الا أعدمها .. **ثم انتقى من صوانه بعض الثيـاب العادية ــ بينها زوج من الاحذية الضخمة والجوارب ، لرياضة المشى ــ فوضعها جميعا فى حقيبة من قماش ، جـديدة ، ابتاعها ــ فى اليوم السابق ــ من متجر فى الشارع الرئيسى ، وابتاع معها عصا ثقيلة ، ذات مقبض ضخم ، وطرف من حديد .**

وبعد أن ارتدى ثيابه ، سعى الى القس الاصغر ، فالتقى به على السلم .. ثم تذكر العصا ، فعـاد وأخـذها . وما أن رآها مستر كريسباركل ، حتى هتف : « انها اثقل مما ينبغى لحفظ التوازن أثناء المشى يا نيفيـل ! » . ثم ودعه ، فانطلق الشاب الى مدرسة الراهبات ، حيث انتظر أخته لدى الباب الخارجى ، اذ كان قد وعد بأن لا يعترض طريق « روزا » . حتى اذا وافته هيلينا ، انبأها بأنه راحل ليتيح للقس وامـه أن يقضيا عيد الميلاد فى جو لا يثقله وجوده ، ولانه كان يناضل نفسه ، وكان يحرص على ان لا يعترض طريق احد من الناس ..

فسألته عن رأى مستر كريسباركل ، وكان جوابه : « لقد عارض فى البداية ، ولكنى تحدثت اليه فى نزهة — فى أشعة القمر — يوم الاثنين الماضى ، واقنعته بأننى أريد أن اتغلب على نفسى ، وان كل شيء سيسير وفق ما يرام ، اذا انتهت هذه الليلة على خير حال .. وان اسبوعين أغيبهما قد يمكنانى من ذلك ! »

وبدأ الليل يرخى سدوله ، فأخذ الهم يتملك الشاب ، وقال : « **لكم أود لو انى لا أذهب الى مأدبة العشاء الليلة .. لست أدرى شيئا يا هيلينا ، سوى أننى لا أميل اليها !** » .. وظلت أخته تراقبه فترة — عقب فراقهما — فرأته يجتاز بيت « جاسبر » ، ثم يعود ، ثم يرتد اليه مترددا .. ودخله أخيرا !

• • • • • • • • • •

أما « ادوين درود » . فقد قضى يومه فى عزلة ، مستعرضا ذكرياته وأفكاره التى ظل طيلة الليلة السابقة يبكى من أجلها .. وطيف مس لاندليس يحوم فى مؤخرة ذهنه ، مصحوبا برقة ، وعطف ، وحكمة فوق ما كان يتصور !.. وراح يسائل نفسه : ترى هل كانت « روزا » أقدر منه على قراءة ما كان كامنا فى أعماقه ؟ .. واعتزم أن ينتظر مقدم مستر جروجيوس ، ثم يرحل عن المدينة . ولكنه تبين أن ساعته توقفت عن المسير ، فسعى بها الى متجر للساعات والمصوغات . واخذ يجاذب صاحب المتجر الحديث ريثما انتهى من اصلاح الساعة ، ثم راح يجوس فى الطرقات الى أن يحين موعد العشاء .. وكان يدور حول برج الكاتدرائية ، حين شرع الليل يرخى سدوله ، فصادف الى جوار بوابة صغيرة — تفضى الى طريق شبه مهجور — امرأة عجوزا مشعثة ، قد انزوت فى ركن من الطريق ، فسألها عما بها .. وبعناء ، رفعت المرأة رأسها لتسدد بصرها نحوه ، واذ ذاك أخذت ترتجف . فخطا مقتربا منها ، فى عجب ،

اذ خيل اليه أنه كان يعرفها .. وما لبث أن هتف : « يا للسماء !.. لقد انتابها عين ما انتاب جاك فى تلك الليلة ! »

وهمست المرأة : « ان رئتى كليلتيان !.. يا لى من بائسة !.. ان سعالى أجش ! » .. وعرف أنها أقبلت من لندن ، وأنها تبغى العودة اليها . ثم أردفت : **« جئت أبحث عن ابرة فى كومة من القش ، فلم أجدها ! .. اعطنى أجر السفر فارحل، ولا أزعج أحدا » .. واذ ذاك سألها : « أتأكلين الافيون ؟ »..** **وكان جوابها : « بل أدخنه ! »** . حتى اذا دس فى يدها أجر السفر ، سألته عن اسمه ، ثم أردفت حين عرفته : « هل يختصرونه الى ادى ؟ .. الا تناديك الحبيبات بهذا ؟ » . فأجاب : « ليست لى حبيبة ! » . وصمتت العجوز هنيهة ، ثم قالت : « أحمد حظك لأن اسمك ليس نيد ! » . **فحدجها ادوين بنظرة صارمة ، اذ اعتاد خاله أن يناديه « نيد » ، ثم سألها عن السبب ، فقالت : « لانه اسم مهدد .. خطر ! »**

وانصرفت المرأة ، فشعر بوحشة فى الطريق المهجورة ، وعاد الى الطرق المضاءة ، ثم اجتاز جسر النهر وكلمات المرأة تتردد فى أذنيه ، فتبعث فى نفسه تشاؤما غريبا .. حتى اذا بلغ بيت خاله ، دخله !

• • • • • • • • • • •

أما « جون جاسبر » ، فقد قضى نهارا أبهج من نهار كل من ضيفيه . وطاف مبكرا بالمتاجر ليبتاع كل ما كان يحبه ابن اخته ، قائلا لباعة الاطعمة أن الشاب لن يبقى معه طويلا ، فلا بد من المبالغة فى اكرامه . ومر فى طريقه بمستر سابسى ، فذكر له ان ابن اخته وذلك الشاب المتهور سيتناولان عشاءهما عنده ، ويسويان خصامهما .. وفى الكنيسة ، عزف فى ذلك اليوم اشهى الالحان ، وأنشد بصوت جميل لم ينشد بمثله

من قبل . واذ أطراه القس الاصــفر ، وهما منصرفان من الكنيسة بعد صلاة المساء ، قال : « كأنى بك تســتخدم دواء جديدا للنوبات التى كانت تطرأ عليــك ، فثابر عليه » .

وسار جاسبر الى بيته وهو يغنى ، حتى اذا بلغه.. دخله!

• • • • • • • • • • • •

ظل الضوء يومض طيلة الليل فى المنار القائم على الضفة بعيدا عن المدينة الصاخبة .. وكانت الاصــوات وضجة الحركة تتناهى من المدينة مارة بالمنار ، فى طريقها الى الاطراف المنعزلة النائية عن العمران .. وفيما عدا ذلك ، لم يكد يمر به شىء اللهم الا لفحات عنيفة من الريح .. ولم تكن أطراف المدينــة تحظى باضاءة كافية ، كما أن الريح الهــوجاء كانت تطفىء المصابيح . واشتد الظلام، وبدات الريح تحمل فى هبوبها الغبار وفروع الاشجار الجافة ، فتدور بها فى جنون .. **أبدا لم تمر بكلويسترهام ليلة عاصفة كتلك الليلة .. وأخــذت الزوابع تشتد .. ولكن ضوء المنار وحده ، ظل يومض دائبا . حتى اذا بدا الخيط الاول من الفجر ، بدأت العاصفة تفقد قوتها ، فأخذت تعوى كوحش جريح ، قبل أن تموت مع مطلع النهار.**

وتبين القوم أن عقربى ساعة الكنيسة قد انتزعا من مكانهما، كما أن جزءا من القصدير الذى كان يغطى سقفها قد طار مع الريح .. واقبل العمال ــ بقيادة مستر ديردلز ــ لتفقد العطب واصلاحه ، واذا صوت مستر جاسبر يرتفع ، وهــو يسأل مستر كريسباركل ، الذى كان يقف فى نافــذة داره : « أين ابن أختى ؟ .. لقد ذهب الى النهر مع مســتر نيفيل ليلة أمس ، ليستطلعا العاصفة ، ولم يعد ! .. اين مســتر نيفيل ؟ »

ــ لقد رحل فى ساعة مبكرة من الصباح

واذ ذاك راى الجميع مستر جاسبر يترنح ، ثم يستند الى السياج ، وقد شحب وجهه

اختفاء ادوين درود

• **كان** «نيفيل» قد رحل مبكرا ، وسار بخطوات جادة ، حتى اذا قطع ثمانية أميال ، عرج على حانة ليتناول فطوره ، ثم استأنف سيره .. وبعد ان قطع ربع ميل ، توقف ، ثم اختار دربا محفوفا بشجيرات برية ، فسار فيه . ولكنه سمع وقع اقدام تقبل خلفه فى خطوات اسرع من خطواته ، فتنحى جانبا ، ليفسح للقادمين .. **وتجاوزه أربعة منهم ، بينما تباطأ أربعة آخرون ، بشكل نم عن انهم كانوا يعتزمون أن يظلوا خلفه ـ وما لبث أن وجد نفسه محاصرا بين الفريقين .** فصاح فيهم : « ألصوص انتم ؟ » . ولكن واحدا منهم ـ لم ير وجهه ـ صاح : « لا تردوا ! » واراد أن يمضى فى طريقه ، ولكنهم سدوها فى وجهه ، واذ ذاك رفع عصاه .. **وانبرى له أحدهم ، فنازله ، وانتهى بأن ألقاه أرضا بعد أن تخضب وجهاهما بالدماء .** ثم نهض قائلا للآخرين : « احملوه الى الطريق العامة ، عسى أن يجد من ينقذه .. وستعرف فى الظهيرة ما هو أهم من معرفة ما اذا كنا لصوصا ، يا مستر نيفيل ! »

ومسح الرجل الدم عن وجهه ، فسرعان ما تبين نيفيل انه لم يكن سوى « جو » سائق حافلة (كلويسترهام) ! .. وما لبث الرجال أن ساقوا الشاب فيما بينهم الى الطريق العامة ، فاذا بثلة أخرى من الرجال توسطها مستر كريسباركل ومستر جاسبر . وبادره الاخير قائلا : « أين ابن أختى ؟ »

ـ ابن أختك ؟ .. ولماذا تسألنى عنه ؟

ـ لانك كنت آخر من رافقه ، ولسنا نجد له أثرا

وبهت نيفيل ، ولكن القس قال له : « استجمع شتات ذهنك ، فان الامر جد مهم .. فى اية ساعة غادرت مستر

جاسبر ، مصطحبا أدوين درود ، ليلة امس ؟ »

فوضع الشاب يده على جبينه مذهولا ، ثم تساءل : « أتراها كانت الثانية عشرة ؟ »

– أصبت ، فهكذا قال مستر جاسبر !

وذكر نيفيل انهما سارا الى النهر ، فمكثا هناك عشر دقائق ، ثم عادا معا ، فلما بلغا بيت القس ، انصرف ادوين ، ذاكرا له انه كان عائدا الى بيت خاله .

وسأل مستر جاسبر القس : **« وما هذه البقع التى تلطخ ثوبه ؟ »** .. فاتجهت الأنظار الى ثياب الشاب ، بينما مد جاسبر يده فتناول من نيفيل عصاه صائحا : **« آه .. وبقع أخرى على عصاه ! »** . وهتف القس يهيب بالشاب أن يتكلم، فأشار نيفيل الى « جو » وروى قصة عراكهما فى الدرب الضيق . فتبادل الرجال النظرات غير مصدقين . وما لبث القس أن سار الى جوار الشاب ، وأحاط بهما الاخرون ، عائدين الى المدينة . وراح القس يكرر أسئلته – فى الطريق – ونيفيل يصر على اجاباته السابقة . حتى اذا بلغ الجمع بيت العمدة ، روى القس لمستر سابسى الظروف ، وصاح مستر جاسبر بأنه يترك للعمدة أن يعلل اختفاء ابن أخته ، اذا لم يكن قد استدرج الى النهر ، واغرق تحت جنح الظلام !

ووجد مستر سابسى نفسه محيرا ، ففكر فى أن يسجن نيفيل الى ان يبت فى الامر ، ولكن القس احتج ، وتعهد بأن يكون مسئولا عن الشاب .. **بينما طالب جاسبر بالبحث فى مجرى النهر عن ابن أخته ، وبنشر اعلان لتحرى أنبائه .. وأسرع مستر سابسى الى تحقيق ذلك ، فاستمر البحث نهارين وليلة ، فى مجرى النهر ، دون جدوى ..** وعاد جاسبر الى داره – فى نهاية النهار الثانى – وهو مكدود ، مضعضع الحواس ، فألفى مستر جورجيوس فى انتظاره .. وسأله الرجل ، وكانت الانباء قد نميت اليه : « هل ترتاب فى مستر

نيفيل ؟ »» . فأجابه جاسبر : « لست أدرى »

ــ لقد رأيت أخته ، فاذا هى تتحدى كل اشتباه ، وتثق بأخيها ثقة لا حد لها ..

وما لبث جورجيوس أن ذكر للخال المحزون المصدوم ، ما جرى بين ادوين وروزا ، وكيف أن الشاب كان يشفق على خاله من النبأ .

وسمع مستر جورجيوس صرخة رهيبة ، ثم تهالك جاسبر على الارض فاقد الرشد .. وعندما أفاق ، وجد أن ضيفه كان قد استعان بمستر «توب» وزوجته وبالقس على العناية به .. **وأخذ جاسبر ينعى ابن أخته وشبابه وآماله ، ثم حاول أن يتعزى ، آمـلا أن يكون الشاب قد اختفى الى حين ــ أثر فصم خطبته الى روزا ــ وأن يكون نيفيل بريئاً ، فعزز مستر كريسبار كل هذا الاحتمال .**

وانصرف القس ــ عقب ذلك ــ وهو شـارد البـال ، قلق النفس ، فسار الى القنطرة القائمة عـلى الجسر ، دون أن يفطن ، نظرا لتشتت أفكاره .. وتذكر أن الشبان اعتادوا أن يأتوا الى القنطرة ليشاهدوا تقلب الجو فى الايام العاصفة ، وأن أحدا لم يخطر له أن يبحث عن أثر فى تلك البقعة ، فراح يحدق فى كل شبر فيها . ولكن الليل كان قد بدأ يزحف على المكان ، فعاد الى داره ، وقضى ليلته مسهدا ، ثم عاد الى البقعة فى الصباح الباكر .. **وفى هذه المرة عثر عند جانب السد ــ المقام عند القنطرة ــ على مشبك للقميص ، وعلى ساعة ذهبية تحمل الحرفين ((ا . د .)) ، فحملهما لفوره الى العمدة ، الذى استدعى جاسبر ، فأكد أنهما كانا لابن أخته .**

والقى القبض على نيفيل ، فاذا الشبهات تتراكم حوله .. فقيل عنه أنه كان متهورا ، محبا للانتقام ، ولم يكن يهدىء من ثورانه سوى نفوذ اخته وسلطانها الهائل عليه .. وقيل

انه كان يتوعد بقتل كل مخلوق .. وأن مستر هونيثندر ما أحضره الى (كلويسترهام) الا تفاديا لان يكون وجوده فى مجتمع كبير ، مصدر خطر عظيم ! .. والى جانب هذه الاقاويل ، كان من الثابت أنه هدد ادوين . وبالرغم من دفاع القس عنه ، الا انه لم ينكر أن الشاب كان قد اشترى تلك العصا الثقيلة، وأنه رحل فى ساعة مبكرة ، أثر الليلة العاصفة، وان لطخ الدم التى وجدت على ثيابه وعصاه كانت معززة للشبهات .. كما أن حجرته فتشت تفتيشا دقيقا ، فظهر انه كان قد أعدم كل أوراقه ، ورتب كل شىء فى الحجرة .. واكد الساعاتى أن الساعة التى وجدت ، كانت لادوين درود. وأثار هذا تساؤلا جديدا : **لماذا ألقيت الساعة عند الخزان - اذا كان ادوين قد قتل ، وشوهت جثته بمهارة ليتعذر التعرف عليها - اللهم الا اذا كان القاتل قد أراد أن يتخلص من كل دليل قد ينم عن شخصية صاحب الجثة ، اذا هى اكتشفت ، ومن ثم فانه ألقى الساعة والمشبك فى النهر ،ولكن عيون السد المقام عند القنطرة احتجزتهما ؟** .. أما احتمال أن يكون لفصم خطبته أى أثر فى تعليل اختفاء ادوين ، فقد بدا احتمالا ضعيفا ، بعد أن ثبت أن الشاب دبر الامر مع خطيبته ، وأنه كان ينتظر وصول الوصى عليها ، ليصارحه بذلك ويرجوه اطلاع خاله !

على أن الايام انقضت ، دون أن يكتشف أى دليل على أن الشاب الغائب قد قتل ، فلم يعد ثمة مبرر لاستبقاء نيفيل سجينا .. وعندما اطلق سراحه ، نصح الاسقف للمستر كريسباركل أن لا يستبقيه فى داره ، وصارحه جاسبر - وهو محطم النفس ، محتقن العينين - بأنه عاهد نفسه ان لا يتحدث الى مخلوق عن هذا الحادث الغامض ، حتى يحصل على مفتاح يفض غموضه ، وأن يواصل البحث فى الخفاء حتى يصل الى القاتل

.. فى لندن !

• **بعد** ستة أشهر ، جلس مستر كريسباركل ــ ذات يوم ــ الى هونيثندر ، فاذا الاخير يدمغ « نيفيل » بانه قاتل ، ومن ثم فهو خارج على الوصايا التى أوصى الله بها البشر .. وعلى هذا الاساس ، رأى هونيثندر أن ينفض يديه من الشقيقين اللذين كانا تحت وصايته . **بيد أن هذه الحملة لم تزحزح القس عن ثقته بأن نيفيل كان بريئا ، وبأن من واجبه كقس أن يولى الشاب وده وعونه ، وأن يساعده على أن يثبت براءته ، برغم أن السلطات لم تعد تدينه فى شىء ، حتى يطمئن الى نقاء سمعته الادبية** . ثم انصرف مستر كريسباركل محنقا ، فسار الى نفس الحى الذى كان مستر جروجيوس يقيم فيه ، ولكنه لم يمم شطر مسكن الاخير ، بل سار الى مسكن حقير ، فى أعلى بيت عتيق ، حيث كان « نيفيل » مقيما ! .. وابرقت عينا الشاب اذ رآه ، فلما سأله القس عن حاله ، هتف الشاب فى حرارة صادقة : « **ان قلبى بخير ، ويسير نحو التقدم .. ولكنى أفقد كل شىء اذا أنت تخليت عنى .. بل انى لاشعر بأن لمسة منك ترد الى قلبى وجيبه اذا توقف !** »

ولم يكن يثقل نفس الشاب ، سوى الظلام الذى كان يعيش فيه .. ظلام الشبهات التى ظلت تحيط به دون أن تبدد . على ان القس راح يشجعه، ثم غادره فزار جروجيوس الذى كان يعطف على نيفيل ويرعاه عن كثب . فما ان رأى الرجل مستر كريسباركل ، حتى سأله : « أتعرف أين مستر جاسبر ؟ .. تعال خلفى ، وأرسل بصرك الى نافذة الطابق الثانى من البيت المقابل ! » .. **ودهش القس اذ رأى جاسبر حيث أشار مستر جروجيوس . وأدرك أنه يكمن فى احدى حجرات المنزل المقابل ، ويقضى كل وقته فى مراقبة « نيفيل »!**

وعاد القس الى الشاب ، فاصطحبه الى حيث تناولا العشاء سويا حتى اذا عاد « نيفيل » الى حجرته — فى منتصف الليل — فوجىء بشاب غريب ، فى الثامنة والعشرين من عمره ، جالسا فى الحجرة .. وذعر فى بادىء الامر ، ولكن الخوف ذهب عنه حين تبين أن الشاب كان جارا له ، تواقا الى التعرف عليه ، اذ رآه يعتزل الناس جميعا فى غرفته .. ومضى « تارتار » — كما كان يدعى — يروى له أنه كان ضابطا فى البحرية ، ولكن عمه ترك له ثروة على شريطة أن يستقيل من منصبه ، فضحى بالمنصب فى سبيل الثروة .. ولكنه أبى أن يبددها فى اغداق الترف على نفسه ، وكان هذا سر سكناه فى ذلك المكان المتواضع

واذ وجد نيفيل أنه مضطر الى أن يحدث الصديق الجديد عن نفسه ، ذكر له انه منى فى الفترة الاخيرة بمحنة نفسية أسقمته ، وجعلته يلجأ الى عزلته تلك !

غريب فى (كلويسترهام)

• **ظهر** فى (كلويسترهام) — فى حوالى ذلك الوقت — رجل اشيب ، ذو حاجبين اسودين ، يرتدى سترة زرقاء — ضيقة ، محكمة الصدر — وصديريا وسروالا (بنطلون) رماديين ، ويبدو على مظهره الطابع العسكرى . ولكنه ذكر فى فندق (كروزيير) — حيث نزل — أنه رجل يحيا فى دعة وخمول ، مستعينا بدخل مناسب .. وأنه يدعى « ديك داتشرى » . وقال الغريب لخادم الفندق أنه جاء يقضى شهرا او شهرين فى المدينة ، وانه يرغب فى أن يقيم بغرفة فى بيت ذى طابع قديم .. كالدور الملحقة بالكنيسة مثلا . واذ ذاك ارشده الخادم الى دار مستر « توب » ، المجاورة لبرج الكاتدرائية . فسعى الرجل الى هناك ، حتى اذا بلغ البرج ، تلكأ قليلا وراح يتأمله ، ويفحص البقعة المحيطة به ..

وهناك ، التقى بالصبى « دبيوتى » ، فسأله ان يرشده الى بيت مستر « توب » . **ولامر ما ، ذهب به الصبى أولا الى منزل مستر جاسبر ، اذ كان المنزلان متصلين بسلم يربط قمة كل منهما الى الآخر ، ولعل هذا هو السبب فى أن مسز « توب » كانت تعنى بشئون جاسبر !**

وما ان التقى الكهل بالسيدة ، حتى اتفقا على أن يستأجر غرفة لديها ، ونقدها الاجر مقدما ، على أن ينتقل الى الغرفة فى اليوم التالى . وفى سياق الحديث ، أخذت السيدة تروى له حادث اختفاء « ادوين درود » ، كما كان هذا الحادث عين موضوع الحديث الذى دار بين مستر « داتشرى » ومستر سابسى ، حين زار الكهل الغريب عمدة المدينة ، مقدما نفسه على انه ضابط متقاعد ، يرفه عن نفسه فى ختام عمره ! .. وتطوع العمدة لان يريه كاتدرائية البلدة .. وهناك التقيا بجون جاسبر ، فما ان ابتعدا عنه ، حتى روى العمدة للضيف مأساة الرجل ، فسأله : « وهل ثمة شكوك قوية تحيط بشخص معين ؟ » . فأجاب العمدة : « بل أكثر من شكوك ، ولكن لا بد من دليل قوى لاثباتها .. أن للقانون ذراعا قوية ، وطويلة يا سيدى ! .. وأؤكد لك أن العزيمة الفولاذية التى أوتيها الرجل الذى صادفناه الآن ، لن تلبث أن تضع يد القانون على المجرم » .. وفيما كانا يتحدثان ، بلغا المقابر ، فصادفا ديردلز ، الذى قال للغريب : « انني أرحب بزيارة اى سيد ، فى أى مساء ، اذا حمل معه خمرا تكفينا ! »

• • • • • • • • • • •

وكان الصيف قد أقبل ، ورحلت الطالبات عن مدرسة الراهبات .. حتى « هيلينا » التى أسرعت الى لندن لتكون الى جوار أخيها .. وبقيت « روزا » وحيدة فى المدرسة !

وفى أصيل يوم من أيام الصيف المشرقة ، جاءت الخادم

تعلن اليها مقدم مستر جاسبر . وما كان بوسعه – فى الواقع – أن يختار وقتا أسوأ من ذاك بالنسبة اليها .. اذ كانت هيلينا قد رحلت ، والآنسة توينكلتن فى نزهة ، ومسز تيشر فى اجازة . وحارت الفتاة وارتبكت ، وقد داخلها جزع طاغ. غير أنها لم تجد بدا من أن تستقبله ، فآثرت أن يكون اللقاء فى حديقة المدرسة ، حتى لا تضمها واياه أربعة جدران ، فضلا عن أنها قد تجد النجدة من نوافذ الدور المطلة على الحديقة ، اذ اضطرت الى ذلك !

وحاول ان يمس يدها ، حين هبطت اليه ، ولكنها سحبت اليد مجفلة .. وشرع يلومها على أن قطعت دروسها الموسيقية ، وكان جديرا بها أن تستأنفها ليكون هو – كمعلمها – الى جوارها فى هذه الظروف العصيبة ، لو أنها كانت قد أحبت « ادوين » حقا .. وأغضبتها لهجته ، فصارحته بأنها لم تكن تحب أن تستمع اليه ، ولكنه قال لها : « ان الواجب يتطلب منا أن نتصرف أحيانا على النقيض من رغباتنا .. وهذا ما يجب عليك الآن ، والا آذيت الغير ! » .. ونهضت الفتاة من مكانها فى حنق ، وهى تتطلع الى النوافذ المطلة على الحديقة خائفة .. فقال : « اننى لا أنسى أن النوافذ مطلة علينا .. ولكننى أحبك ، وكنت مدلها بهواك ، حتى حين كنت خطيبة لولدى العزيز .. حتى حين كنت أرى سعادته فى الزواج منك .. حتى حين كنت أبذل كل جهد لاذكى فيه جذوة التعلق بك .. لقد ظللت أعبدك وأتعذب سنوات عديدة ، وكنت أتحمل صامتا طالما كنت خطيبة لادوين ! »

وأجابته الفتاة فى سخط : « لقد كنت مخادعا طيلة الوقت .. كنت تخدعه فى كل يوم ، بل فى كل ساعة .. وانك لتعلم أنك ارهبتنى حتى لا أفتح عينيه على أمرك ، وانك اضطررتنى الى أن أكتم عنه الحقيقة ! » .. وراح جاسبر يتذلل اليها ، فلم يزدها الا نقمة عليه ، واذ ذاك قال : « لقد أحالنى حبك

مجنونا ، ففكرى فى شـــخص آخر يهيم بك ، وحيـاته فى قبضتى .. لقد تجلى فى التحقيق أن لاندليس اعترف لمستر كريسباركل بأنه كان يحبك ، وأنه كان غريما لولدى المفقود . وقد أقسمت أن لا أبحث هذا الحادث الغامض مع أحد ، حتى احكم شباكى حول القاتل .. وان الشباك لتزداد احاطة به ! »

وهكذا أســفر عن غايته ، وصارحها بأنه لن يتورع عن التنكيل بنيفيـل وهيلينا ، ما لم تقبله هى زوجـا لها ! .. وكادت ((روزا)) تجن من وقاحته ، ومن خوفها وحيرتها . وحاولت أن تهرع الى مبنى المدرسة ، فتلوذ بغرفتها ، ولكن مقدم الخادم أنقذها . وما أن انصرف جاسبر ، حتى وقعت مغشيا عليها ، بينما كانت ثمة عاصفة تشتد فى الخارج !

ولم يعد لروزا من هم ــ بعد ذلك اللقاء ــ سوى أن تهرب من (كلويسترهام) ، وتلوذ بالوصى عليها فى لندن .

وبهت مستر جروجيوس حين رآها تلج مسكنه ، فصارحته بما كان من أمر « جاسبر » معها .. حتى اذا هدأ روعهـا ، واستردت رباطة جأشها ، أنبأها بأن هيلينا تقيم مع أخيها فى مبنى ملاصق ، اراها اياه خلال النافذة ، ثم اصـطحبها الى فندق قريب لتقضى فيه ليلتها . فما كان من اللائق أن تمكث مع أعزب ، رغم أنه كان كهلا !

ومع مطلع الصباح ، جاءها مستر جروجيوس فى الفندق ، وبرفقته مستر كريسباركل . وقال الاول : « لقد صـارحت مستر كريسباركل بكل شىء ! » .. ودار الحديث بين الثلاثة عما ينبغى عمله . وفيما كانوا يتكلمون ، أقبل « تارتار » ــ جار نيفيل ــ فاذا به قد عرف القس من قبل ، اذ انه أنقـذ حياته يوما من الغرق ، عندما كان فى البحرية .. وازاء هذه الظروف ، روى جروجيوس وكريسباركل للشاب محنة جاره نيفيل ، وقصة روزا ، فعاهدهما الشاب أن يبذل كل جهد ، فى سبيل تبديد هذه المحنة

.. الفجر مرة أخرى !

• وقدر لروزا أن ترى هيلينا ، فأوصتها هذه بأن تثق فى «تارتار» ، وقالت : « ان ثمة من يراقب حركات نيفيل . فاذا كان غرض هذا المراقب هو أن يعزل نيفيل عن كل أصدقائه ومعارفه ، وان يجعل حياته مملة سقيمة .. ففى وسع مستر تارتار أن يكسب ود هذا العدو وأن ينقل الينا خطته . وعلينا – فى الوقت الحاضر – أن نكون على حذر ، وأن نظل على فراق . وليكن مستر تارتار رسولا بيننا ! »

واستأجر مستر جروجيوس مسكنا مؤثثا لروزا ، كما استدعى الآنسة توينكلتن لتقيم معها وترعاها .. وفى تلك الاثناء ، كان مستر جاسبر فى (كلويسترهام) فى عجب من سفر روزا المفاجىء .. وما كان ليجهل السبب ، ولكنه ظل فى حيرة ، لا ينفك يسائل نفسه : **أتراها أفشت سر ما جرى بينهما ، أم أنها أبقت عليه خوفا منه ؟!** .. ثم حصل على أجازة من الكنيسة ، وسافر الى لندن ، حيث نزل فى فندق كان قريبا من مسكن روزا .

وما أن استقر به المقام فى لندن ، حتى غادر الفندق ، وسار الى الطرف الشرقى من لندن ، وأوغل فيه حتى وصل الى مبنى قديم فولجه ، وتسلق سلما رثا مهدما ، ثم فتح بابا ، وأطل داخل حجرة مظلمة ذات جو خانق ، وهتف : « انت هنا ؟ » .. **وأجابه صوت متقطع النبرات : « وحيدة يا عزيزى ، لسوء حظى وحسن حظك .. انتظر حتى أشعل ثقابا » .. وما لبثت أن اشعلت شمعة ، فما أن رأت جاسبر على ضوئها ، حتى صاحت : « أهذا أنت ؟ .. ظننت أننى لن أراك ثانية ، وانك مت ! .. أو أنت حزين كذلك ؟ لماذا اذن لم تأت وتسر عن نفسك بتدخين غليون أو اثنين ؟ »**

وخلع حذاءيه ، وتحلل من رباط عنقه ، ثم استلقى على طرف السرير العتيق ، مسندا رأسه على يده اليسرى . فقالت المرأة : « الآن عدت كما عرفتك .. هل جربت الخليط الذى كنت أعددته لك لتدخنه فى غيابك عنى ؟ » .. وناولته الغليون ، فرفع طرف قصبته الى فمه ، بينما جلست المرأة الى جواره . ثم شرد ذهنه .. فلما سألته عما كان يفكر فيه ، قال : « رحلة .. وعرة ، خطرة ، غير مأمونة العواقب ، على شفا هاوية كفيلة بأن تقضى على المرء اذا زلت قدمه ! »

ـ أهذه هى الرحلة التى كنت فيها ؟

فحملق جاسبر فى وجهها ، ثم هز رأسه ، وهو ممعن فى التحديق فى محياها .. ثم قال : **« ودائما ما كنت أسلكها .. فى نفس الطريق ، وأنا مغتبط بها .. وفى نفس الطريق حققتها أخيرا »** . وألقت المرأة يدها على يده ، وأذكت بأنفاسها جذوة الغليون ، وهى تقول : « والآن أدركت غايتك منها !.. كيف فاتنى ذلك من قبل ؟ »

ـ **لقد جئتك لأسرى عن نفسى ، اذ لم أعد أطيق الحياة..**

وجلست ترقبه وقد استلقى صامتا ، وجسده يختلج من وقت الى آخر.. على أنه ما لبث أن أفاق ، وغادر حجرتها ، فأسرعت متسللة ، متعقبة خطواته وهى تقول لنفسها : **« لن أفلتك مرة أخرى ! »** .

وعندما بلغ الفندق الذى نزل به جثمت ترصد حركاته وتتجسس أنباءه ، فعلمت أنا

عائد الى بلدته فى مساء اليوم ذاته .

وعندما حان المساء ، كانت ثمة امرأة بائسة ، تجثم متوارية فى أحد أركان الشارع الرئيسى بكلويسترهام ، ترتقب وصول الحافلة فى الساعة التاسعة .. ولمحت جاسبر ، فتبعته حتى راته يدخل داره وكانت الى جوار البيت ، غرفة ذات سقف محدودب — كأنها القبو — تابعة للدار المجاورة ، وقد جلس فيها « داتشرى » عاكفا على بعض أوراق ، فما زالت به تسأله ، حتى عرفت أن الرجل الذى دخل المنزل المجاور هو جون جاسبر ، العازف ومنشد الترانيم فى الكاتدرائية .

وأردف « داتشرى » قائلا : « تستطيعين أن تصعدى الى مسكنه اذا شئت » . ولكنها أبت ، فسألها : « أو جئت لمجرد أن تمتعى نظرك بمرآه عن بعد ؟ .. أكثيرا ما جئت الى هنا ؟ »

واستطاع أن يحل بالنقود عقدة لسانها ، فذكرت له انها لم تأت — من قبل — سوى مرة واحدة ، التقت فيها بشاب كريم منحها أجر العودة الى لندن .. وكان يدعى « ادوين » !

واذ انصرفت المرأة ، سار «داتشرى» الى المقابر ، فصادف عند مشارفها الصبى « دبيوتى » ، الذى كان قد اشترى وده ، فقال له : « لك منى شلن الليلة يا دبيوتى .. فان ثمة امرأة عليلة ، كثيرة السعال ، ستبيت عندك الليلة ، لانها لا تملك وسيلة للعودة الى لندن ! » . فهتف الصبى : « أف ! .. انها مدخنة الافيون ! »

— اننى أريد أن أعرف اسمها ، وأين تقيم فى لندن

— انها تقيم بين البحارة ، والصينيين ، والقتلة .. ولقد سألتنى أن أوقظها فى ساعة مبكرة لتغتسل ، وتصلح من هيئتها ، لانها ذاهبة الى الكنيسة !

وبعد أن تناول « داتشرى » عشاءه فى تلك الليلة ، فتح باب صوان فى ركن الحجرة ، ورسم خطا بالطباشير على الباب من الداخل ، وهو يقول : « هذه هى طريقة خدم الحانات

الاميين فى اثبات حساباتهم،وليس بوسع أحد أن يفهم معناها اللهم الا الذى رسمها ! »

وكان الصباح التالى وضـاء ، فذهب « داتشرى » الى الكنيسة .. وفى أثناء القداس ، رأى المرأة العجفاء ، متوارية خلف أحد الاعمدة ، وهى تحملق فى جاسبر أثناء انشـاده وعزفه ، ملوحة بقبضتها فى الهواء ، وكأنها تتوعده بالانتقام! .. فلما انتهى القداس ، اسرع اليها « داتشرى » وسألها : « هل رأيت رجلك ؟ »

ـ لقد رأيته يا عزيزى .. وعرفته كمـا لم يعرفه كافة القساوسة مجتمعين !

وقبل أن يتناول فطوره ، فتح الصوان ، ورسم على الباب من الداخل خطا عريضا بالطباشير ، من أعلى الباب الى أسفله .. دلالة على أنه وفق فى خطوة جديدة من الخطـوات التى كان يخطوها على مهل ، وفى حذر !

. . . .

. . . .

وكان هذا آخر ما كتبه « ديكنز » فى قصة « ادوين درود » .. فان الاجل لم يمهله حتى يتمها ويصـل بالقارىء الى خاتمتها ، فظلت لغزا غامضا مبهما ،حاول المتخصصون فى الادب الانجليزى أن يبددوه ، بدراسة أفكار « ديكنز » واتجـاهاته ، بل وبدراسـة حياته فى الفترة الاخيرة من عمره .. ووضعوا فى ذلك كتبا ، كما نشروا مقالات وبحوثا .. ولـكن أحدا لم يقطـع برأى جازم ..

فهل تستطيع ان تحل هذا اللغز الغامض ، الذى زاده القدر غموضا ،حين ساق الموت الى المؤلف قبل أن يبدد الظلمات التى

كشفها حول مصير « ادوين درود » ؟

حاول ان تضع نهاية لهذه القصـــة ، على هدى الظروف والاحداث التى أحكم المؤلف نسجها فى سياق الجزء الذى كتبه قبل موته .. فاذا اهتديت الى خاتمة ترضى عنها ، فارسلها الى « كتابى » عسى أن تفوز باحدى الجوائز التالية :

الاولى : خمسة جنيهات مصرية
الثانية : اشتراك فى كل من « كتابى » و « مطبوعات كتابى » لمدة عام
الثالثة : اشتراك فى « كتابى » لمدة عام

وكل اجابة لا تتوفر فيها الشروط التالية ، لا يلتفت اليها :

- **يجب أن لا يتجاوز عدد الكلمات ١٥٠٠ كلمة**
- **تكتب الاجابة على وجه واحد من الورقة ، وبخط واضـح**
- **يكتب فى أعلى الجانب الايسر من الظرف : « ادوين درود »**
- **القارىء أن يرسل أكثر من حل واحد ، اذا شاء**
- **ترسل الاجابة الى : « كتابى » ـ ١٤ شـارع ٢٦ يوليو ـ القاهرة**
- **آخر موعد لقبـــول الاجابات هـو ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٨**

بقلم : فوزى الشتوى

العالم على حافة الهاوية !

◆ العالم يقف اليوم ـ واجفا ـ على شفا هوة سحيقة .. فلو أن قادته نسوا عقولهم ، واستسلموا لاعصابهم ، وانساقوا وراء مطامعهم العدوانية ، لفتحوا الابواب لحرب عالمية ثالثة ، قد يوحى الشر فيها باطلاق القوى المدمرة الرهيبة التى كشف العلم عنها .. القوى النووية ، متمثلة فى القنابل الذرية والقنابل الهيدروجينية .. واذ ذاك ، فليس يعلم سوى الله ، ماسوف يؤول اليه مصير البشرية ، والحضارة ، والكرة الارضية .. بل الكون باسره !

والموضوع العلمى الذى نقدمه لك اليوم ، يتناول « القنبلة الهيدروجينية » ، والطاقة التى تتولد منها .. الطاقة التى تستطيع ان تحول التراب الى ذهب ، اذا ما وجهت الى الخير .. وتستطيع ان تقضى على الارض والبشرية ، اذا ما وجهت الى الشر . وقد جمع لك الزميل فوزى الشتوى مادة هذا الموضوع من طائفة من الكتب والتقارير العلمية ، أهمها : « قنبلة الجحيم » للباحث الامريكى وليم لورنس ، و « الاشعاع الذرى والحياة » للعالم البريطانى بيتر الكسندر .

الذرة تمس أساس الكون

◆ ان البشرية لترتجف ـ اذ تقف اليوم على اعتاب العصر الذرى ـ رهبة مما قد يكون وراء هذه الاعتاب من اخطار مدمرة .. فقد كانت فاتحة العصر الذرى ، انفجارا دمر (هيروشيما) اليابانية ، وقتل مئات الآلاف من أهلها ، وخلف فيمن بقى على قيد الحياة ، عللا مشوهة ، من جراء الاشعاعات تنذر بما فى هذا المجهول ـ الذى نقف ببابه ـ من أخطار !

والواقع أن الطاقة الذرية كفيلة بأن تحدث تطورات بعيدة فى شؤون الحياة الانسانية ، سواء فى الحرب أو فى السلم .. فالى جانب الشرور التى لمسنا قبسا منها ـ اذا استخدمت هذه الطاقة فى الشر ـ نرى أن استخدامها فى الخير سيقلب نظمنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية رأسا على عقب .

ولكى ندرك شيئاً من عمق التحول المرتقب ، يجب أن نعرف – أولا – مدى التغير الذى سيصيب بيئة الانسان ذاتها . فان معالجة الذرة تمس أساس بناء الكون ، وكيف ينمو ويتحول ويتجدد . وقد لمحنا – فيما يتعلق بالاساس الكونى – اتجاهين هامين وخطرين :

أولهما : الطاقة الناشئة عن التفاعل الذرى . وتجد امثلة لها فى حرارة الشمس واضواء النجوم . وقد عرفنا كيف نصنع مثلها لفترة لا تتجاوز جزءا من مليون من الثانية ، حين فجرنا القنبلة الذرية . ولك أن تتخيل جبروت الانسان ، لو استطاع أن يبقى هذه الحرارة وتلك الاضواء – التى تتولد عن القنبلة – ساعات ، بل دقائق ..

وثانى الاتجاهين : هو التفاعل الذرى ذاته . فهو الذى خلق عالمنا بما فيه من عناصر الحديد والرصاص والذهب ، والاوكسيجين والازوت والكربون .. وهى مواد لا وجود لها فى فراغ الكون ، حيث توجد المادة فى عناصر بدائية لم نعرفها بعد على وجه التحديد ، حتى أن العلماء لا يجسرون على تسميتها « مادة » ، فأطلقوا عليها اسم « الاثير » . وقد عرفنا من نظرية « اينشتين » ان المادة تتحول الى طاقة ، والطاقة تتحول الى مادة

٥٠ مليون درجة من الحرارة

• **ولقد** عرفنا العصر الذرى فى هيئته التدميرية ، فكانت باكورة ابتكارنا هى القنابل الذرية . وهى نوعان : انشطارية ، والتحامية . ومن الاولى قنبلتا (هيروشيما) و(ناجازاكى) .. وقد استخدم العلماء – اذ ذاك – اثقل العناصر الذرية ، وهو اليورانيوم أو البلوتونيوم ، فشطروا ذرات كمية منه ، لتنطلق القوة الكامنة فيها . **(وقد شرحنا هذا فى العدد ٧٢ من «كتابى»)** وقدرت الطاقة الناتجة عن هذا ، بحوالى عشرين الف طن من

المواد الناسفة ، كما قدرت الحرارة الناشئة عن الانشطار ، بحوالى خمسين مليون درجة . وكانت هذه الحرارة الهائلة سببا فى اتجاه العلماء الى انتاج قنبلة اضخم واشد .. **واتجهوا فى ذلك الى التحام جسيمات الذرة ، بدلا من انشطارها ، فأنتجوا القنبلة الهيدروجينية ، التى تتولد طاقتها الجبارة من التحام نوى ذرات الهيدروجين ، فتؤلف موادا جديدة ، وتحول – فى الوقت ذاته – قدرا كبيرا من المادة الى طاقة تفوق تلك الناتجة عن القنبلة الذرية الانشطارية بمراحل .**

واطلاق الطاقة الذرية فى هذين النوعين من القنابل ، يتم عن طريق التفاعل فى نواة الذرة . غير ان هذا التفاعل يتم ، فى القنابل الانشطارية ، خلال أثقل المواد – وهما عنصرا اليورانيوم والبلوتونيوم – اذ تعمل على شطر ذراتها .. أما فى القنابل الالتحامية ، فان التفاعل النووى يجرى خلال أخف العناصر الذرية – وهو الهيدروجين – فتسوق نوى ذراته الى الالتحام بعضها ببعض ، لتنتج غاز الهليوم .

سر اشتعال الشمس

• **ومن** المعروف أن الخبراء لا يجرون هذه التفاعلات فى اية مادة ، وانما هم يجرونها فى مواد مشعة غير مستقرة ولكنها تسعى الى الاستقرار . وللهيدروجين ثلاثة توائم – أوزانها الذرية ١ و ٢ و ٣ – أمكن اجراء التفاعل الذرى الالتحامى فى الاثنين الاخيرين منهما ، لان الاول مستقر . وتتوفر العناصر غير المستقرة بكثرة فى الطبيعة ، ومنها « اليورانيوم ٢٣٥ » و « الهيدروجين ٢ » – أو « الديوتيريوم » كما يسمى علميا – فضلا عن ان من الممكن تحضير بعض العناصر غير المستقرة فى المعامل ، كالهيدروجين ٣ ، الذى يسمى « التريتيوم » .

ولقد ثبت أن تجمع كمية معينة من « اليورانيوم ٢٣٥ »

ـ قدرها العلماء بحوالى عشرة ارطال ـ كفيل بان يجعلها تنفجر من تلقاء ذاتها ، على شكل قنبلة ذرية . ولكن الطبيعة وان احتفظت بهذا العنصر ، الا أنها تنثره بطريقة يستحيل معها على كمياته أن تنفجر فتشعل الهيدروجين الثقيل المنتشر فى كل مواد الارض ! .. وهذه من معجزات الطبيعة !

ولقد عرف الانسان التفاعل الذرى الهيدروجينى فى الشمس قبل ان يعرفه فى الارض ، اذ أدرك أن سلسلة التفاعلات التى تجرى فى هذا الكوكب ، هى السر فى أن الشمس عاشت ملايين السنين دون أن تنطفىء شعلتها . على أن الهيدروجين العادى فى كوكبنا الارضى ، لا يصلح ـ لحسن الحظ ـ لاحداث التفاعل الذرى .. وانما الذى يصلح لذلك هو توامه « الهيدروجين ٢ » ، الذى يوجد فى شتى أنواع الماء ، بمعدل لتر فى كل خمسة آلاف لتر .. وقد سمى ماؤه بالثقيل .

القنبلة الذرية « عود ثقاب » للهيدروجينية

• **وقد** دلت الدراسات النظرية على أن هذا التوام يصلح وقودا فى التفاعل الذرى ، ولكنه يحتاج الى « عود ثقاب » يشعله .. **ولا بد من أن تصل حرارة هذا « الثقاب » الى ٥٠ مليون درجة مئوية ! ..** وقد أدرك العلماء الامريكيون أنهم عثروا على هذا « الثقاب » الصالح لاشعال الهيدروجين الثقيل ، عندما فجروا أول قنبلة ذرية تجريبية فى صحراء (نيومكسيكو) . **واتجهوا الى صنع القنابل الهيدروجينية التى لا تتقيد بوزن أو خجم ـ كما هى الحال فى القنابل الانشطارية ـ وانما يتناسب الانفجار فيها مع كتلة الهيدروجين الثقيل المعد للاشتعال وللالتحام الذرى .**

وعندما توصل العلماء الى انتاج التوأم الثالث للهيدروجين ـ وهو الذى أطلقوا عليه اسم «تريتيوم» ، أو الهيدروجين ٣ ـ وجد أن الطاقة الناشئة عن اشتعاله ، ضعف تلك الناشئة

عن اشتعال « الديوتيريوم » . ولكن نفقات صنعه باهظة ، قدرت ببليون من الدولارات للكيلو جرام الواحد . فهداهم هذا الى مواصلة البحث حتى تبينوا أن خلط « الديوتيريوم » بـ « التريتيوم » ينتج طاقة تعادل الطاقة المتولدة عن الاول وحده ، ثلاث مرات ونصف المرة .

الدمار فى جزء على مائة مليون من الثانية

◆ **واتجهت** الدراسات بعد ذلك ، الى بحث اشعال « الديوتيريوم » بعود الثقاب الجديد ، وهو القنبلةالانشطارية .. والمعروف لدى اى مدخن ، أنه لا بد لعود الثقاب من أن يظل مشتعلا بعض الوقت ، اذا هو أراد أن يشعل سيجارة فى جو عاصف .. **ولكن اشتعال القنبلة الانشطارية لا يستمر لاكثر من جزء على مائة بليون جزء من الثانية .. وهى لمحة لا تكفى لاشعال « الديوتيريوم »** . لذلك رؤى تحويل هذه المادة من الحالة الغازية الى الحالة السائلة ، لان هذا أدعى لسرعة الاشتعال والتفاعل

وكانت الخطوة التالية ، أن راح العلماء يدرسون انتاج قنبلة هيدروجينية ذات قوة انفجارية تضارع قوة الف قنبلة ذرية — من اليورانيوم — **فوجدوا أن نفقات صنعها تصل الى ١٦٦ بليون دولار ، فضلا عن نفقات صنع القنبلة الانشطارية التى ستكون بمثابة « عود الثقاب » !**

ولكن التوتر الدولى والتنافس العسكرى بين أمريكا وروسيا ، لم يدع لمثل هذه النفقات وزنا .. لا سيما وأن العلماء قدروا قوة انفجار القنبلة الهيدروجينية بقوة انفجار مليونى طن من المواد الناسفة .. **وقدرت المساحة التى تدمرها بحوالى ٣١٤ ميلا مربعا ، أى دائرة قطرها عشرة أميال ، فى حين أن وهج نارها كفيل بأن يصيب الناس بحروق ، فى دائرة قطرها ٢٠ ميلا حول مركز الانفجار !** .. وتنبأ « اينشتين » بأن توالى

انفجارات القنابل التى من هذا النوع ، كفيل بأن يلوث جو الكرة الارضية بالمواد المشعة ، وأن يقضى على كل الوان الحياة فيها . ذلك لان كل كيلوجرام واحد من « الديوتيريوم » فى هذه القنبلة ، يطلق ١٢٥ جراما من الجسيمات المتعادلة الشحنة الكهربائية ، المعروفة باسم « نيوترون » . وهى — كما عرفنا **فى العدد ٧٢ من « كتابى »** — جسيمات تنزلق فى نوى ذرات اية مادة تصادفها ، فتحيلها الى مادة مشعة .. فاذا استخدم « الديوتيريوم » و « التريتيوم » معا ، فان كل كيلو جرام من خليطهما يطلق ٢٠٠ جرام من « النيوترون » .

وتستطيع أن تدرك مدى الخطر ، اذا عرفت أن الجرام الواحد ، يتألف من ٦٠٠ الف بليون بليون « نيوترون » تندس فى كل ما يصادفها من مواد وتحولها الى مواد قاتلة ، ينحلل بعضها فى ثوان ، بينما يعيش بعضها آلاف السنين . ومن ثم فان قوة انفجار القنبلة الهيدروجينية كفيلة بأن ترسل الى طبقات الجو العليا ، بكميات هائلة من هذه المواد الخطرة ، فتظل سابحة هناك عشر سنوات ، وهى عرضة لان تسقط على الارض بفعل التقلبات الجوية — فى اى وقت — فتلوثها باشعاعاتها !.. ومن الجائز أن تسقط هذه المواد على البلد الذى فجر القنبلة ، كما حدث عند تفجير القنابل الذرية فى جزر (بيكينى) بالمحيط الهادى ، اذ زحفت الاشعاعات الذرية — التى ترتبت عليها — فظهرت آثارها فى امريكا بالذات ، بعد اسبوع من التفجير .. وان كانت قد فقدت خطرها خلال المسافة التى قطعتها ، وقدرها ٤١٥٠ ميلا !

٤٠٠ مليون درجة حرارية

• **ولنفادى** هذه الاخطار ، رؤى أن يصنع وعاء القنبلة من مواد معينة عرفت بقصر عمرها وهى فى حالة الاشعاع . فيمتص هذه المواد المتعادلات الناتجة عن الانفجار ، وتحولها

الى مواد مشعة تقتل كل ما حولها ــ فى مكان الانفجار ــ لفترة محدده . نفقد بعدها مفعولها ! .. على أن الدراسات النظرية شىء ، والواقع شىء آخر . **ولكن هــذه الحقيقة لم تردع الساسة والعسكريين عن مواصلة الضغط على العلماء ، لحملهم على صنع القنبلة الهيدروجينية !**

ولقد مضى العلماء فى دراساتهم على الشمس ــ التى عرف أن التفاعل الذرى الهيدروجينى هو سر اشتعالها ــ فعرفوا أن درجة الحرارة التى يحدث فيها التفاعل الهيدروجينى هناك ، هى ٢٠ مليون درجة مئوية . أى أن انفجار القنبلة الذرية الانشطارية ، يولد هذه الحرارة . **ولكن المشكلة هى فترة الاشتعال !** .. فرجع العلماء الى بعض الدراسات القديمة ، التى أرشدتهم الى أن « الديوتيريوم » يشتعل ــ وهو فى الحالة الغازية ــ اذا استمر ١٢٨ ثانية وهو فى درجة حرارة ٥٠ مليونا ، أى ١٠٠ مليون مثل فترة اشتعال القنبلة الانشطارية . لذلك اتجهت جهود العلماء الى استخدام « الديوتيريوم » وهو فى حالة سائلة ، لان فترة تسخين المادة واشتعالها ، تقل كلما ازدادت كثافتها . وخلصوا من هذا الى أن « الديوتيريوم » السائل ، يشتعل اذا وضع فى درجة حرارة ٥٠ مليونا ، لجزء على خمسة آلاف جزء من الثانية .

وللتغلب على هذا الوضع ، قيل أن من الممكن تحسين القنبلة الانشطارية ــ التى تستخدم كعود ثقاب لاشعال الهيدروجين ــ ورفع حرارتها الى ٤٠٠ مليون درجة . هذا معناه مضاعفة قوتها ٨٠ مرة ، وقد يرشد هذا الى وسائل مضاعفة قوتها الى أكثر من ذلك ، فتغنى عن القنبلة الهيدروجينية!

بين القنبلتين الذرية والهيدروجينية

• **ولقد** أوردنا فى العدد ٧٢ من « كتابى » ، أن القنابل الانشطارية تصنع من جزءين ، يظل كل منهما بعيدا عن الآخر ،

الى ان يراد تفجير القنبلة ، فيقرب كل منهما من الآخر — بأجهزة خاصة — ليؤلفا كتلة واحدة . وفى فترة التقارب هذه ، يبدأ التفاعل النووى المتسلسل ، فينتج طاقة كافية لتدمير القنبلة وتناثر أجزائها قبل تمام الانفجار . ولتفادى هذا التناثر ، زودت القنبلة بغشاء — أو حاجز — ليتسنى حدوث التفاعل فى أكبر مجموعة من الذرات ..

على ان كل ما توصل اليه العلماء الامريكيون — فى هذا الصدد — كان أضعف من أن يوصلهم الى الغاية المنشودة .. وهى رفع الحرارة الى ٤٠٠ مليون درجة ، ليتسنى اشتعال « الديوتيريوم » بعد ١٢ على عشرة ملايين من الثانية . فاتجهت انظارهم الى صنع القنبلة الهيدروجينية من « التريتيوم » — أو « الايدروجين ٣ » . **ولكن البحث أثبت أن الكيلو جرام الواحد منه ، ينتج من الطاقة قدر ما ينتجه كيلو جرام « البلوتونيوم » أو « اليورانيوم » ٢٣٥ — اللذين تصنع منهما القنبلة الذرية الانشطارية — مرتين ونصف المرة .. فى حين أن النفقات تكفى لصنع ٣٢٠٠٠ كيلو جرام من « البلوتونيوم » ، أى صنع ٣٢٠٠ قنبلة ذرية تدمر معا مساحة قدر تلك التى تدمرها القنبلة الهيدروجينية ٣٢٠ مرة !**

ومن ثم ، استبعدت فكرة « التريتيوم » .. واتجه الراى الى تجربة خليط من توامى الهيدروجين ، اى « الديوتيريوم » و « التريتيوم » ، وثبت أن هذا الخليط أسرع مواد الارض اشتعالا ، فهو — فى درجة الحرارة ٥٠ مليونا — يشتعل فى جزء على مائة الف جزء من الثانية . فاذا ارتفعت الحرارة الى ١٠٠ مليون درجة ، اشتعل فى حوالى جزء على ٨٥ الف من الثانية .

قنبلة تبيد الحياة فى ثلث أوربا

• **ولقد** راينا أن التحسينات التى ادخلت على القنبلة الانشطارية ، رفعت درجة الحرارة المتولدة عنها الى نحو ٢٠٠

مليون درجة ، واطالت أمد اشتعالها الى أكثر من هذه الفترة. ومن ثم رؤى — من الناحية النظرية — امكان الاستعانة بخليط من « الديوتيريوم » و « التريتيوم » كعامل مساعد لرفع درجة الحرارة واطالة بقائها لتيسير اشعال « الديوتيريوم » فى القنبلة الهيدروجينية التى تصنع منه .

وقدر العلماء أن كمية تتراوح بين ٣٠ و ١٥٠ جراما من « التريتيوم » ، يضاف اليها ما بين ٢٠ و ١٠٠ جرام من « الديوتيريوم » ، تكفى لاشعال ١٠٠٠ كيلو جرام من هذا الاخير ، **مما يولد انفجارا يضارع قوة آلف قنبلة ذرية ، ومما يدمر نحو ٣٠٠ ميل مربع ، فضلا عن امتداد حرائقه الى نحو ١٢٠٠ ميل مربع !**

وكانت أكبر المشكلات ، هى تحضير « التريتيوم » . فان الكيلوجرام منه يتطلب من الوقت قدر ما يستغرقه انتاج كيلو جرام من البلوتونيوم ثلاثين مرة .. **ووجد الخبراء أن مصانع تشغل عشرات الافدنة ، لا تنتج من « التريتيوم » سوى ٣٠ جراما فى كل سنة أيام !**

كذلك كانت هناك مشكلة عويصة أخرى . تلك هى أن تحويل توأمى الهيدروجين الى سائل ، يحتاج الى ضغط يقدر بنحو ١٨٠ ضغطا جويا ، فى درجة حرارة ٣١٤ تحت الصفر . **ومعنى هذا وجوب حمل القنبلة فى ثلاجة بحجم الجبل.** على أن هذه المشكلة ذللت بوسائل شيطانية تعتبر من الاسرار العسكرية العليا ، وبذلك تسنى للطائرات والصواريخ ان تحمل اليوم قنابل هيدروجينية !

ومما أتاح التوسع فى صنع هذه القنابل ، أن العلم توصل الى حل لمشكلة الاوعية التى تحويها ، والتى كان يخشى أن يتحول بعضها الى مواد مشعة تظل عالقة بالجو سنين طويلة. فقد رؤى صنع الاوعية من « الكوبالت » لان المواد المشعة — فى هذه الحالة — لا تبقى طويلا ، ولكنها — فى الوقت ذاته —

تتولد بكميات هائلة . **فاذا أجيد اختيار بقعة اطلاق القنبلة ، فان اشعاعاتها تكفى لابادة كل ألوان الحياة فى منطقة تعادل مساحة روسيا الاوربية والدول المشايعة لها فى أوربا ..** ولسنا هنا فى مجال الاشارة الى أن هذا المثال تقديرى ، أملته الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا ، والا لضرب العلماء المثل بمساحة ما من أمريكا ذاتها ! .. على أنه ــ فى حد ذاته ــ يبين

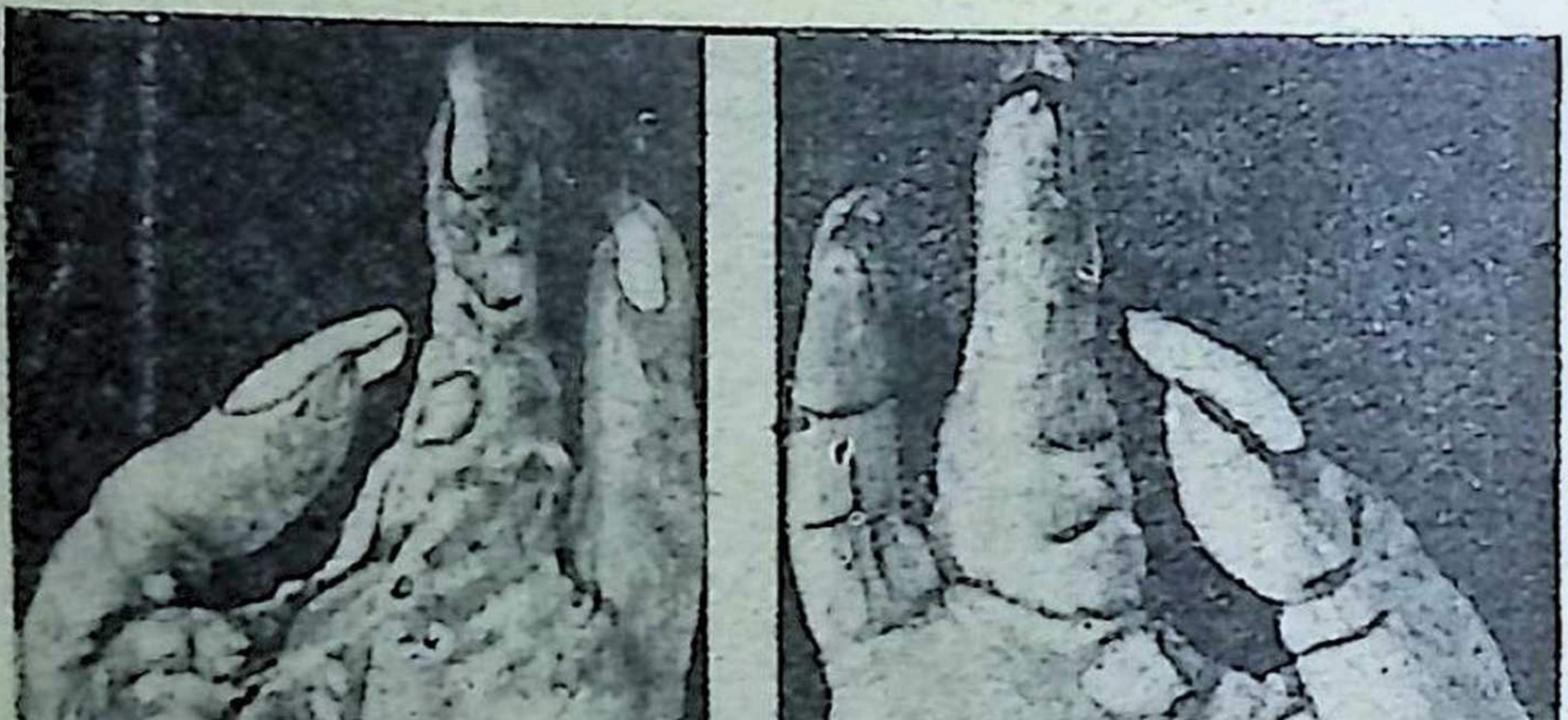

كف وظهر يد تعرضت للاشعاع . بدأ الضرر سنة ١٨٩٩ ، وبترت سنة ١٩٣٢ ، ومات صاحبها بالسرطان سنة ١٩٣٣ !

مدى الاضرار الفادحة التى تحيق بالانسانية من هذه القنبلة.

نحو التحكم فى الطاقة الهيدروجينية

• أما وقد عرفنا أن عمليات الالتحام والانشطار الذرى تجرى على الارض فى التوائم غير المستقرة ، فقد آن ان نذكر أن الطبيعة تجريها فى التوائم الثابتة .. كذلك نذكر ان الفارق بين انشطار نوى « اليورانيوم » أو « البلوتونيوم » ـ فى القنبلة الذرية ـ والتحام نوى الهيدروجين الثقيل ـ فى القنبلة الهيدروجينية ـ فارق كبير .. ففى الانشطار يتحول جزء من ألف من المادة الى طاقة ، وفى الالتحام يتحول ٨ أجزاء من الالف . أى أن الطاقة تتضاعف ثمانى مرات !

وقد تمكن الانسان من التحكم فى عمليات الانشطار الذرى فى اليورانيوم والبلوتونيوم ، لاستغلال الطاقة المتولدة فى أغراض سلمية . **ولكنه ما زال عاجزا عن التحكم فى الطاقة الناشئة عن التحام نوى ذرات الهيدروجين . وكان أقصى ما وصل اليه العلماء فى روسيا وأمريكا وبريطانيا ، هو اختراع أجهزة لاتسيطر على هذه الطاقة لاكثر من جزء على مليون من الثانية..** وبالرغم من أن النتائج كانت جد تافهة ، الا أنها فتحت باب الامل لاستغلال هذه الطاقة الجبارة فى الاغراض السلمية .

ولا يفرق العلماء بين عمليات الانشطار وعمليات الالتحام ؛ اذ أن أى تفاعل ذرى ، انما يتألف من النوعين معا ، وأن طغى احدهما على الآخر . ولا شك فى أن اتساع علمنا بهذين النوعين ، خليق بأن يمكننا من التقدم فى مجال العمليات الكونية ، وان لم يكن الامر سهلا ، اذ ان الطبيعة توزع عملياتها بأساليب لا نعلم عنها الا النذر اليسير جدا . فنجد ـ مثلا ـ أن الشمس تتعامل مع الهيدروجين والهليوم ، ولكنها تعجز عن التعامل مع الاوكسيجين والازوت اللذين قد يتعامل معهما نجم أو اكثر ، واللذين يعتبران من أثمن العناصر للاحياء ـ

على الارض - اذ لولا الازوت ما ظهرت الحيـاة بشكلها الذى نعرفه . فمنه تكونت الخلايا ، ثم تحولت الى نبات وحيوان.. كما أن الاوكسيجين هو الذى مكن الخلايا من النمو ، بفضل الاحتراق الغذائى الذى نسميه بالتنفس

الاشعة الكونية مصدر لتطور الاحياء

• **ولقد** ادى اهتمام العلماء بدراسة شتى وسائل الالتحام والانشطار النووى ، الى السعى للكشف عن أسرار الاشـعة الكونية ، التى لا ندرى مصدرها ، ولكنا نعرف أنها تملك طاقة تفوق تلك المتولدة عن الالتحام والانشطار بآلاف المرات . فهى قوية الى درجة أنها تشـطر ذرات كل ما يصادفها من مواد ، سواء كانت من الازوت أو الاوكسـيجين ، وانها تنقسم فى الغلاف الهوائى المحيط بالارض الى جسيمات دقيقة تخترق كل ما يصادفها .. **بل أنها لتخترق جسمك فى انهمار - كالمطر - ولكنك لا تحس بها ، نظرا لسرعتها الفائقة ودقة حجمها . ويرجح بعض العلماء أنها سبب تطور الاحياء . فان جرعاتها المحدودة تؤثر على الاجهزة التناسـلية فى الاناث والذكور ، وتمكنها من تحسين النسل الذى تنتجه جيلا بعد جيل !**

وقد الفت الاحياء تلقى هذه الجرعات المحددة وغيرها من موارد الاشعاع التى تقدمها الطبيعة بمقادير منتظمة تؤثر على الجسم كله ، فتوجد التناسق والانسجام بين أعضائه ، وتمكن كل عضو من أداء وظيفته وفقا لمطالب بقية الاعضاء ، ولحاجة الكائن الحي فى مجموعه . فاذا زادت هـذه الجرعات عن حدها ، انقلب مفعولها الى العكس ، فتصـبح نارا حارقة . وكثيرا ما يؤدى التعرض للاشعاعات - اكثر مما ينبغى - الى اصابة الجسم بالسرطان ، والتسلخات ، والامراض

ومن ثم نجد أن الاشعاعات سلاح ذو حدين . وهـذا هو مصدر الخوف من التجارب الذرية . **اذ يخشى أن تزيد نسبة**

الاشعاع فى العالم ، فتصيب سكانه بالامراض ، وتؤثر على نسلهم فتشوه خلقته !

وكما استطاع الانسان ان يحول المادة الى طاقة ، فانه تمكن من تحويل الطاقة الى مادة ، واصطنع فى المعامل النووية بعض جسيمات الاشعة الكونية التى تعرف باسم « مازون ». **ويعتقد الاخصائيون أن هذه الجسيمات هى السبب فى تماسك جسيمات النواة الذرية** . ويأمل العلماء أن يستطيعوا ــ بتقدم البحوث الذرية ــ صنع جسيمات أكبر مثل « البروتون » و « النيوترون » .. وهى أساس بناء الكون . كما يأملون أن يتمكنوا من فك جسيمات الذرة لدراسة كل منها على حدة ، ومعرفة ما تطويه من أسرار لا تزال فى علم الغيب !

ولا تقف أطماع الانسان وفضوله عند حد ، فهو لا يكتفى بمعرفة أسرار الطبيعة وتقليدها ، وانما هو يسعى الى أن يتفوق على الطبيعة .. اذ انه لا يقنع بتحويل ٨ فى الالف من الهيدروجين الى طاقة ، بل يسعى الى تحويله كله . وهى عملية لا نعرف لها وجودا فى الطبيعة ذاتها ، فالشمس تقتطع جانبا من جسيمات الهيدروجين ــ وليس كلها ــ عندما تحوله الى هيليوم !

ولعل ما أغرى الانسان على الاندفاع فى هذا المضمار الصعب ، هو ذلك التوفيق الذى ظفر به ، اذ استطاع فى المعمل ــ أن يحول جسيمين كاملين الى طاقة ، وهما جسيما « الالكترون » و « البوزيترون » . اذ أن الاول سالب الشحنة الكهربائية ، والثانى موجبها ، فاذا ما التقيا تحولا الى طاقة ، ويزول كل أثر لمادتهما . ومع انهما أصغر جسيمات الذرة . الا انهما قدما الدليل على امكان تحويل ما هو أكبر منهما ــ كالبروتون والنيوترون ــ فهما فى الواقع باب فتح للكشف عن معضلات أعمق ، وأخطر ، وأكثر تعقيدا !

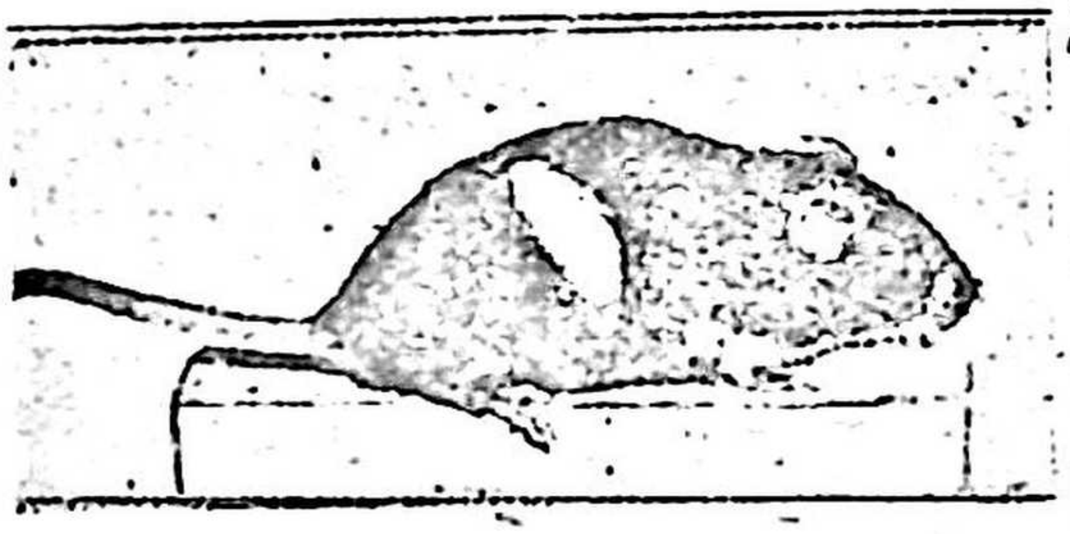

تعرض هذا الفأر للاشعة السينية ، فابيض شعره عند مسقطها ، وفى الجانب المقابل ، حيث نفذت الى الخارج

الاشعاع وكيف يعمل

• والاشعاع هو أخطر عامل فى العصر الذرى ، لانه يؤثر على الخلايا الحية بطريقة لم يصل العلم بها الى مرتبة اليقين بعد . وقد دلت التجارب على انك لو عرضت جزءا من أحد الاحياء للاشعاع ، فان التأثير لا يقتصر على هذا الجزء ، بل انه يمتد الى أجزاء أخرى لا تكون قد تعرضت لهذا الاشعاع . ومن أمثلة ذلك التجارب التى أجريت على الفيران ، وأثبتت أن الغدة النخامية تتوقف عن افراز هرمونها الجنسى اذا تعرض جانب من الفأر للاشعاع . **وقد علل الخبراء هذه الظاهرة بأن الكائن الحى وحدة متكاملة ، فاذا ما اختل عضو فيه ، أثر على بقية الاعضاء !**

ولم تكشف الخلايا المصابة بالاشعاع عن كل أسرارها بعد . فهى تبدو — تحت الميكروسكوب — عادية ، ولكنها تتوقف عن النمو والانقسام توقفا تاما أو جزئيا ، تبعا لشدة الاشعاع .

ومن أخطر الاصابات التى تحل بالخلايا بسبب الاشعاع ، حدوث كسور فى بعض جسيمات نواة الخلية . وهى المعروفة باسم « كروموزومات » . ومن الجائز ان تلتحم هذه الكسور بعد فترة فيعود الكائن الى حاله الطبيعية اذا كان التحامها مشابها لما كانت عليه من قبل .. **أما اذا اكتنفه شىء من النشوه ، فان العضو ذاته يغدو مشوها . وربما ظهرت الآثار فى نسله لان « الكروموزومات » تحمل الجسيمات الوراثية التى تنقل خواص وسمات الآباء الى الابناء**

ولقد عرف الانسان كيف يتقى شر الاشعاع فى العمل والمصنع بأن يحصن المواد المشعة ، ويحيطها بطبقات سميكة من المواد التى تمتص الاشعاع .. وهذه خطوة هامة فى سبيل تحصين الاحياء من شر الجسيمات المشعة التى تتناثر فى كل اتجاه فى حالة انفجار قنبلة نووية . **ولما كان من العسير على الكائن الحى أن يتحرك داخل درع تزن عدة أطنان ، ليتقى شر الاشعاعات الضارة ، فقد اتجهت البحوث الى العثور على عقار يتناوله الحى ، فلا تتأثر خلايا جسمه بالاشعاع ، سواء بالتحكم فى الجسيمات المشعة نفسها ، أو بتحصين الخلايا حتى لا تتأثر بها ، الى أن تلفظها وتتخلص منها .** ويعاون على تحقيق هذا الامل ، أن الخلايا الحية فى عمل دائم لصد كل غزو خارجى ، وهى أقدر منا على معرفة أى تسلل ، وهى التى تعمل بطريقة آلية للقضاء على الاجسام الغريبة التى تنفذ اليها .. وما البنسلين وأسرته من المضادات الحيوية الا منشطات تزيد من قدرة الخلايا على مكافحة الميكروبات والامراض الضارية

وعلى هذا الهدى ، وفى عام ١٩٥٢ ، بدا أن العلم قادر على ابتكار عقاقير واقية من الاشعاع . ودارت البحوث فى شتى انحاء العالم لاكتشاف اساس يمكن أن يتخذ كمرشد يوجه الباحثين الى الخواص المنشودة فى مثل هذا العقار . وتشعبت النظريات والآراء فى هذا السبيل ، ولكن واحدا منها لم يثبت – بل أصرت الطبيعة على أن تسخر من جهلنا بطبيعة خلايا اجسامنا .. **وأخفقت كل النظريات والآراء فى الوصول الى النتيجة المنشودة ، ولكن المصادفة وحدها هى التى أدت الى العثور على مواد تلطف من حدة الاشعاع ، وتمنع تأثيره ان كان ضعيفا .. وهى مواد أو عقاقير لا صلة لها بالنظريات والآراء المتداولة عن الاشعاع وكيف يعمل فى الخلية ، بل أن اكتشافها أدى الى انهيار تام فى تلك النظريات !**

وعثر الخبراء على عشرات العقاقير التى يمكن أن يتناولها الحى على هيئة حبوب ، فتكسبه بعض المناعة ضد الاشعاع. واجريت التجارب على الحيوانات الثديية - كالفيران - لانها اكثر الاحياء تأثرا بالاشعاع ، وهى فى هذا السبيل أقرب الى الانسان الذى يحرص على وقاية نفسه من الخطر الداهم ، سواء فى السلم أو الحرب . وكان أقوى تلك العقاقير مادة تعرف باسم « سيستين » ، وهى متوفرة بكثرة فى المواد البروتينية كالبقول

وأجرى العالم البلجيكى « باك » مجموعة كبيرة من التجارب التى قادته الى اكتشاف عقار قوى آخر اسمه « بيكابتان » ، فضله الخبراء على « السيستين » ، لفوائده العملية . **ولكن قوة كل هذه العقاقير محدودة ، اذ يجب أن تؤخذ قبل التعرض للاشعاع بدقائق قليلة ، فى حين أنها عديمة القيمة اذا أخذت بعد التعرض له .** وبسبب رد فعلها ، يتعذر على الكائن الحى أن يتناول أكثر من جرعتين فى الساعة ، والا صارت عديمة المفعول .. وهى تقى الى حد معين !

ومن الواضح ان كل هذه العقاقير لا تؤدى الى أغراض الوقاية من الاشعاع ، لان صفارة الانذار تنبه الى قرب حدوث غارة ، ولكنها لاتحدد موعد هبوط القنابل على الموقع المهدد . وهناك أيضا الصواريخ البعيدة المدى ، التى يتعذر التنبؤ بوقت انقضاضها ، اذ أنها تنقض فجأة .

فى تأخر الحرب الذرية انقاذ البشرية

• ورغم تفاهة النتائج التى وصل اليها الخبراء ، فانهم وفقوا فى فتح باب يؤدى الى الهدف المنشود .. بيد انهم عثروا خلفه على عشرات المشكلات الخاصة بالاشعاع وبخلايا الجسم .. وكثير من هذه المشكلات جديد علينا ومجهول منا . والطريق الوحيدة لكل هذه المشكلات هى دراستها فى

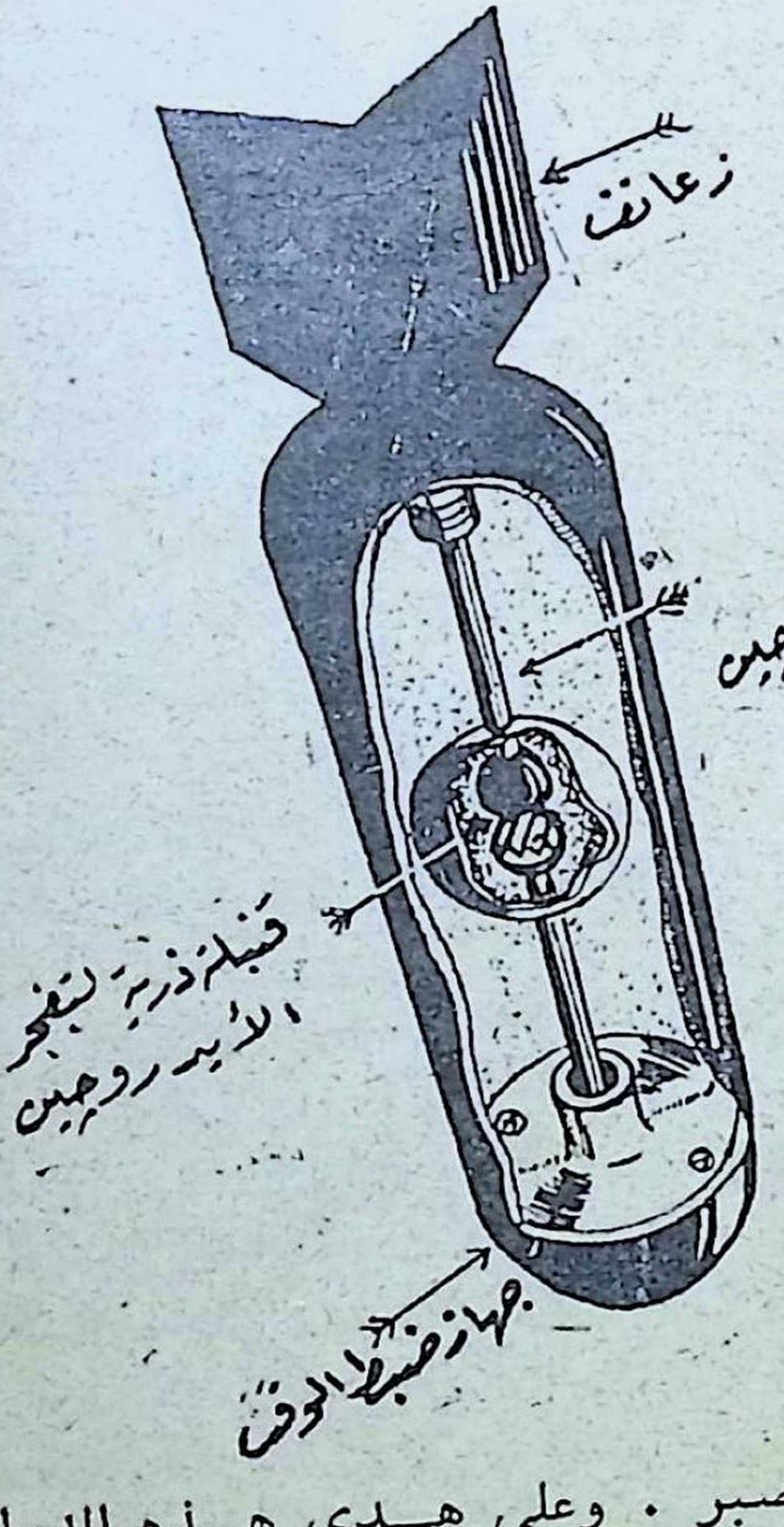

القنبلة الهيدروجينية .. ويرى عود الثقاب الذى يشعلها – وهو قنبلة ذرية عادية – فى وسطها

عمق وصبر . وعلى هدى هذه الدراسة ، من المرتقب ان يهتدى العلم الى مزيد من المعرفة بالاشعاع وبخلايا الجسم ، ويتوصل – بذلك – الى الحلول الناجعة .

والاشعاع – كما قلنا – أحد رسل الطبيعة لاحداث التطور والتقدم بين الاحياء . وهو يبدو لنا – اليوم – رسول دمار ، نفتك جرعاته الكبيرة بأنسجة الجسم .. ومن الجائز ان نعرف سبل الوقاية من أضراره ، وطرق استغلال فوائده ،

فنزود الكائنات الحية بما يحصن خلاياها ضد العوامل الضارة ، ويمكنها من الظفر بالميزات النافعة للاشعاع ، فنساعد الطبيعة — بذلك — فى خطواتها التطورية المؤدية الى التقدم

وسنة الخلق فى جميع أنحاء الكون الفسيح هى التجدد ، وتحويل القديم الى جديد . **ولقد كانت الحروب — حتى الآن — من مظاهر ازالة القديم واحلال الجديد مكانه ، ولعلها فى عرف الخلق عامل منشط للتجديد ، فان التاريخ يبين أن كل حرب تتلوها نهضة فكرية وعلمية ..**

والعالم — اذ يقف اليوم على عتبة العصر الذرى — يتجه الى اجادة استخدام أسوأ ما فى الذرة ، وهى القدرة على التدمير باستخدام القنابل النووية ، التى تكفى الواحدة منها الى تحويل بعض المدن الى أنقاض .. وبينما توغل البشرية فى الجانب المدمر ، نجد انها تحبو ببطء شديد الى الجانب الانشائى البنائى . ومن المرجح انه اذا نشبت الحرب العالمية الثالثة ، قبل ان نضرب بسهم وافر فى الناحية البنائية من العلوم الذرية ، فان البشرية ستصاب بنكسة تعود بها الى الحياة البدائية ، ولا يعرف أضرارها الا الله . **أما اذا أمكن تأجيل الحرب الى أن تعرف البشرية كيف تستغل الطاقة النووية وتفاعلاتها فى النشاط البنائى ، فان عمليات التجديد والرقى ستسير فى طريقها التقدمى ، فتزيل القنابل النووية كثيرا من المعالم الحالية ، لتقوم على أنقاضها معالم الحضارة النووية**

ومن أهم ما يشغل الخبراء ، مسألة حصر أضرار الاسلحة النووية فى أضيق نطاق ممكن . وهم يرون أن أفضل وسيلة ، هى نشر المرافق العامة فى أوسع مساحة ممكنة ، والعمل على تخفيف كثافة السكان ، حتى لا تكون الخسائر فادحة

مدن العصر الذرى

• وفى سبيل هذه الغاية ، اقترح بعض المهندسين ان تنشأ

المدن على هيئة دوائر تتخللها الحقول والحدائق الفسيحة ، وتشغل عشرات الاميال ، وتتألف من قطاعات ــ لاتزيدمساحة القطاع منها على نصف ميل ــ يحاط كلا منها بحقول أو حدائق تمتد بضعة أميال ، وتتناثر بينها الملاعب والمدارس وبعض المرافق العامة .

وبهذا التخطيط يصبر كل قطاع شبه وحدة مستقلة ، ويجد فى الحقول والحدائق طعامه ومرافقه العامة .. فاذا ما حلت الكارثة وسقطت على المدينة قنبلة نووية ، اقتصر الدمار على قطاع واحد ، أو قطاعين .

وهذا أدعى الى أن تصبح مهمة العدو شاقة ، ونفقاته باهظة .. اذ ان كثيرا من هذه القطاعات لن يساوى نفقات القنبلة التى تدمره !

ورأى بعض المهندسين أن تخطط المدن على أساس خطوط بشكل مربعات أو مستطيلات ، تتوسطها الحقول والحدائق والمرافق العامة . ويراعى فى بناء المساكن أن لايتجمع منها فى صف واحد أكثر من مجموعتين أو ثلاث مجموعات (بلوكات). ولو اتبع مثل هذا التخطيط فى بلاد كمصر ، فان المدن والقرى ستمتد على طول حافة الصحراء ، وعلى جانبى الشريط الزراعى الذى يتوسطه النيل . وبهذا تترك الارض الزراعية لتقدم لنا غلاتها ، بينما تشغل المساكن الاراضى الصحراوية

ويحلم بعض المهندسين بتشييد المدن فى باطن الارض .. وهذا مجرد حلم جائز التحقيق بعد عشرات السنين ، عندما نعرف كيف نستغل الطاقة النووية استغلالا كاملا ، وعندما نعرف كل ما تتطلبه صحة الانسان من أشعة الشمس والهواء الطلق وما يتبعهما من حياة سطح الارض .

الادراك فى مكان الحواس

◆ **ومن الواضح** ان عقولنا تسير حثيثا فى مضمار التطور

والرقى – فى الاجيال الاخيرة – فهى تتخلى عن بعض دعائمها، لترتكن على دعائم جديدة . ومن الدعائم السائرة فى طريق التقلص ، حواسنا من سمع وبصر وغيرها مما نعرف وما لانعرف .. وفى مكانها يبزغ اليوم شيء جديد نستطيع أن نسميه ((**الادراك**)) .. ومن الامثلة على ذلك ، ان أوراق ((كتابى)) – مثلا – تبدو لناظريك وملمس أصابعك ملساء ، لا أثر فيها لتجاويف ، ولا وجود فيها لحركة .. ولكنك تدرك من الدراسات الذرية أن التجاويف والفراغ فى أى جسم ، تزيد على مابه من المادة ملايين المرات ، كما تدرك أن لاوجود هناك لما نسميه ((السكون)) فى أى شيء ..

وهذه العقلية المدركة ، التى تعتمد على ((الادراك)) دون الحواس ، هى مايريده العصر الذرى .. فيصبح فى وسع الانسان أن يتعامل بأشياء لاتدركها الحواس ، ولكنها جزيلة النفع ، وضارية الخطر .. ومنها الاشعاعات ! .. فأنت محاط بها ، وهى تخترق جسمك – ليل نهار – فى انهمارات كالمطر ، بمعدل ٨٠ انهمارا أو أكثر فى الثانية ، دون أن تراها بعينيك ، أو تحسها وهى تخترق جسمك .. وجرعاتها المحدودة مفيدة .. بل اننا نصطنعها على اشكال شتى ، ونستخدمها فى الصناعة والزراعة وعلاج الامراض . وسوف تنتشر هذه الاشعاعات فى كل مكان ، فى العصر الذرى .. وتصور أدوات النقل والجانب الاكبر من معدات منزلك ، وهى تعمل بالطاقة النووية وبكميات من المواد المشعة !.. ولسوف تكون محركات بعض هذه الاجهزة فى حجم قبضة يدك ، ولكن هذا الحجم الضئيل سيكون كفيلا بتوليد قوة عظيمة ، اذا ما استغلت فى تهاون يضعف الرقابة عليها ، فان الاشعاعات تتسرب فتهدد حياتك وحياة أفراد أسرتك .. ومن الجائز أن يمتد أذاها الى جيرانك ، اذ ان الاشعاعات تنطلق وتنتقل من مكان الى آخر دون ان يحس الانسان بها .

والمجتمع الذى نعيش اليوم فيه يمر بمرحلة انتقال ، فهو يستنكر الرأسمالية فى جشعها وأنانيتها واستعبادها للناس ، ومغالاتها فى تقدير الفرد . وهو يرهب الشيوعية ويخشى خطرها على مواهب النابهين ، واسرافها فى الاهتمام بالمجموع والاستهانة بأمر الفرد . **وبين النقيضين يسعى العالم الى تلمس نظام جديد من الحياة الاشتراكية التعاونية ، ليعيش الناس متساوين فى الحقوق والواجبات ، متعاونين فى سبيل التغلب على متاعب الحياة وعقباتها . فهم يبحثون عن نظام يوفر السعادة للجميع .**

ويؤمن علماء الاجناس والسلالات ، بأن جسم الانسان يرقى ويتطور الى أوضاع أفضل من أوضاعه الحالية ، ولكن التغيير يظهر فى بطء شديد ، حتى اننا لا نحسه .. ذلك لان الفوارق لاتظهر بوضوح — تبعا لسنة الخلق — الا فى ملايين السنين .. على ان التطور يسرع الخطى فى الازمات . ومن امثلة ذلك مايقال من أن التطور الذى أدى الى ظهور الانسان، نشأ فى أزمة عصر جليدى هدد الاحياء بالزوال ، وأكره بعضها على أن يضاعف من استخدام العقل فى سبيل البقاء .. فكانت هذه الاحياء المفكرة المبتكرة التى نسميها « الانسان » ، والتى لا تمتاز عن الاحياء الاخرى الا بهذه المقدرة على التفكير !

والعصر النووى أزمة تكتنفها كثير من الاخطار الاقتصادية والاجتماعية والحيوية ، ومن الجائز أن يكون مجال علاجها هو الاحتكام الى ذلك الجانب العقلى الذى نسميه بالادراك ، فلو أدركنا خطر القنابل النووية ، واقتنع شتى الناس بأخطارها، لما سمحوا بقيام حرب ذرية ! .. والطاقة النووية وتفاعلاتها خطر اقتصادى يهدد كيان البشرية ، ولو ادركنا كيف نزيل من نفوسنا الاحقاد والضغائن وحب السيادة والنفوذ ، لعرفنا كيف نستغل هذه الطاقة لفائدة الجميع

لخصها عن الاصل الايطالى : الدكتور نظمى لوقا.

من أجل الشرف المثلوم !

◆ كان راحلا مع محاميه الصديق لقضية هامة ، حين فطن الى ان زوجته بادلت المحامى قبلة وداع خلف ظهره .. والزوج المصدوم – فى مثل هذه الظروف – قد يستدير الى الزوجة الخائنة والصديق الغادر ، فيقضى على حياتهما برصاصتين .. وقد يتحول الى الصديق فيصرعه ، ويطرد الزوجة لتعيش ما بقى من عمرها مشردة ، محزونة ، محرومة من الزوج والعشيق والاولاد .. وقد .. وقد .. وقد .. ولكن التصرف الذى أوحاه الخيال الى الكاتب الايطالى الأشهر « لويجى بيراندللو » ، هو أقسى تصرف يمكن ان يخطر ببال زوج مغدور ، مثلوم الكرامة .. فتعال نشهد كيف تصرف الزوج فى هذه المسرحية الجبارة !

أشخاص المسرحية

أندريا فابرى	Andrea Fabri
السيدة جوليا	La Signora Giulia
المحامى انتونيو سيرا	L'avvocato A. Serra
الخادمة آنا	Anna, domestica

المنظر

(فى ضيعة من ضياع الريف ، بايطاليا .. فى القرن العشرين . حجرة منيرة فى فيللا آل فابرى . وفى صدرها مدخل يفضى الى البهو . وعن يسار المسرح باب جانبى ، وعن يمينه نافذتان كبيرتان .)

وحين يرتفع الستار ، نرى السيدة «جوليا» ، ربة البيت ، وقد وقفت تتطلع من النافذة .. ثم تنتقل الى صدر المسرح ، حيث الباب الكبير ، فتقف ناظرة اليه ، وظهرها الى النظارة ، ثم تند عنها حركة دهشة وتتراجع ، وتضع على المائدة الصوف الذى تحبكه ، ثم تتجه الى الباب الايسر فتغلقه فى لهفة وتوجس ، وتعود الى الباب الامامى الكبير ، فاذا بالمحامى « أنتونيو سيرا » يدخل .. فتطوق جوليا عنقه بذراعيها العاريتين ، وقد فاض وجهها بالحبور :

جوليا : أعدت حقا بهذه السرعة ؟

ويتراجع « أنتونيو » عن حضنها مذعورا ، ويقول بضيق

أنتونيو : كلا .. من فضلك !

جوليا : الست وحدك ؟ أين تركت أندريا ؟

أنتونيو : سبقته بالعودة .. وسيعود هو الليلة ..

جوليا : ولماذا ؟

أنتونيو (منضجرا لسؤالها) : انتحلت له عذرا ..

جوليا : يا حبيبى ! أشوقا الى عدت ؟

أنتونيو : أرجوك . ليس هذا وقته !

جوليا (تنظر اليه مبهوتة) : ماذا حدث يا أنتونيو ؟

أنتونيو (بصوت مضطرب أجش) : ماذا حدث ؟ أخشى أن يرتاب زوجك فينا ..

جوليا (بدهشة وارتياع) : أندريا ؟ وكيف عرفت ؟ هل زل لسانك ؟

انتونيو : بل زللنا كلانا .. أمام عينيه ..

جوليا : هنا ؟

انتونيو : أجل ! عندما سافرنا ، هبط هو السلم قبلى . اتذكرين ؟ .. كان يحمل حقيبة الثياب . وكنت أنت تنيرين لنا السلم من قمته بالمصباح فى يدك . أليس كذلك ؟ ..

وحينما مررت أنا بك لانزل ، تبادلنا قبلة خاطفـــة وظهره الينا .. يا الهى !

جوليا : وهل رآنا ؟

أنتونيو : انى أتذكر الآن انه خيـــل الى ونحن غارقان فى لذة القبلة ، ان قدمه توقفت عن الهبوط لحظة واحدة ..

جوليا : رباه ! وهل جئت تقول لى هذا ، هكذا ، بكل بساطة؟

أنتونيو : الم تلاحظى أنت شيئا ؟

جوليا : انا ؟ كلا .. لم الاحظ شيئـــا بالمرة . واين هـو ؟ كيف تركك تعود قبله الى هنا ؟ هل أنت واثق انه لم يركب القطار معك ؟

أنتونيو : كل الثقة . ولا يوجد قطار من المدينة قبل الحادية عشرة . (**ينظر فى ساعته**) .. لم يبق وقت طويل .. رباه ! انى فى دوامة ..

جوليا : اهدأ . اهدأ . خبرنى بكل شىء . كيف عرفت انه مرتاب بنا ؟

أنتونيو : ماذا تريديننى أن أقول ؟ فى مثـــل هـــذه الظروف تكون للنبرة ، واللهجة ، والنظرة، معان أخطر بكثير من الالفاظ الواضحة ! .. تذكرين اننا كنا نتناقش فى صدد القضية التى سافرنا من أجلها الى المدينة ـ لعنة الله على هذه القضية ! ـ ونزل أندريا وهو محتد، ولكنه ما ان وصل الى الطريق ولحقت به حتى سار خافض الرأس ، مقطب الجبين ، لا يكلمنى .. وأخذ بين الحين والحين يقول لنفسه : « شىء مؤسف ! » .. ولا يزيد حرفا على هذه العبارة . فتملكنى الخوف . ولم أعلق بشىء . فاذا به ينظر الى فجأة ويقول : « أليس مؤسفا حقا ان يغادر الرجل بيته هكذا .. وامرأته واقفة هناك .. على رأس السلم ، فى ضوء مصباح ترفعه فوق رأسها .. ثم فجأة .. لا زوجة ولا بيت ولا مصباح .. وطريق طويل مظلم .. » ؟

جوليا : آه .. قال هذا ؟ وبأى لهجة .. ؟

أنتونيو : بلهجة غامضة . غامضـة جـدا . لا أستطيع أن احدد هل هى طبيعية .. أم تعـريض بارع . ووجف قلبى ، وتوترت أعصـابى . وقلت اللهم لطفك ! .. واخذ يحملق فى وجهى فى القطار ويحدثنى عن حبه لاطفاله .. وعنك ..

جوليا : عنى ؟

أنتونيو : أجل . وهو يغرس عينيه فى عينى .. ويؤكد لى بلهجة من يرمى الى غرض محدد ، انك تحبين اطفالك أكثرمن حياتك ذاتها .

وفجأة تصيح به جوليا أن يصمت ، وتدخل الخادمة آنا من باب الصدر .

آنا : عفوك ياسيدتى . الا ينبغى أن أذهب لاحضار الاطفال من عند جدتهم الآن ؟

جوليا : طبعا . ولكن انتظرى قليلا .

آنا : أليس الآن موعد عودة سيدى ؟ ان العـربات ذهبت لاستقبال القطار على المحطة..وهو يحب ان يستقبله الاولاد.

أنتونيو (ناظرا فى ساعته) : انها الآن الحادية عشرة تمـاما بالفعل ..

جوليا : أحقا ؟ .. لا بأس . انتظرى الى أن أطلب منـك الذهاب .

آنا : امرك ياسيدتى . سأتم الاستعـدادات اذن لوصـول سيدى . **(وتنصرف الخادمة ، وتتحول جوليا الى عشيقها)**

جوليا (بغيظ) : أوشك أندريا أن يصـل ، ولم تخبـرنى بعد بشىء يعول عليه .

أنتونيو : ماذا أقول ؟ انه كان يحسن التمويه ، واخفـاء أفكاره . لم يقل شيئا محددا ، ولكن طريقته فى الكلام..حتى وهو يتحدث فى أشياء عادية ، أو عن القضـية ، كان يتوقف فجأة ويطل فى عينى طويلا ، ولا يقول شيئا. كأنه يريد أن يرى دخيلتى .. كنت أرتجف خوفا منه عنـدئذ . أنا واثق واثق

واثق انه يعرف . انه يرتاب .. وذات مرة مددت يدى وأنا منصرف فتجاهلها .. ولما ابتعدت نادانى ، وقال لى : « يظهر انى نسيت أن أصافحك . عفوا ! » وصافحنى ، ولكن ضحكة خبيثة كانت تطل من عينيه .. لقد أتلف أعصابى !.. وأحيانا كان يحدثنى ــ بلا مناسبة ــ عنك ، وعن حبك للاطفال .. ثم يهز رأسه ويتحدث فى موضوع آخر !

جوليا : وانت ؟ ماذا كان مسلكك فى تلك الاحيان ؟

انتونيو : كنت دائما على حذر . وفى أتم يقظة ..

جوليا : وماذا أيضا ؟

انتونيو : أجل .. فى الليلة الاولى ، فى الفندق ، أصر على أن ننزل فى حجرة واحدة بها سريران .. فلم أستطع النوم طول الليل . أحسست انه لم يكن نائما . وكان الظلام دامسا . ووقف شعر رأسى : أنا معه عار ، أعزل ، فى الظلام ، وفى حجرة واحدة .. وبيننا هذا الشك القاتل . تصورى هذا ! ظللت مفتوح العينين طول الليل .. أحملق فى الظلام ، مشدود الاعصاب ، منتظرا .. ومستعدا للدفاع عن حياتى بأقصى ما أستطيع .. وفجأة سمعته يقول بلهجة التقرير والتوكيد : « أنت لست نائما يا أنتونيو .. »

جوليا : كيف أجبته ؟

انتونيو : أنا ؟ لم أجبه . تناومت . فانتظر دقيقتين وعاد يؤكد لى أنى لست نائما ، بصوت عال يستحيل تجاهله ، فأجبته بصوت متناوم : « هل ناديتنى ؟ » فقال برنة سخرية خفيفة جدا ولكنها كافية : « أجل . كنت أريد أن أعرف هل نمت » .. وهكذا ظللت الليلتين التاليتين لايغمض لى جفن .

جوليا : وفيما عدا هذا ، فى النهار ، كيف كان سلوكه معك ؟

أنتونيو : كالعادة . لاتغيير فى الظاهر ، الاالنظرات والتعريضات الخفية .

جوليا : أنت واهم ياعزيزى .. انه ليس بالرجل الذى

يسكت لو أنه رآنا حقا . لقد لعب بقلبك الخوف ليس الا .. لقد كان الخوف دائما يعبث بك يا مسكين !

أنتونيو : لست خوافا . لست رعديدا . كل ماهنـاك انى اومن بالحذر فى مثل حالتنا . الله وحده يعلم أى حركة صغيرة تثير شكوك زوج يغتر العاشقان بغفلته، لانه لم ير الخطيئة الكبرى نفسـها وهى ترتكب تحت أنفه تقريبا . ومتى تولد الشك من حركة صغيرة ، توقدت فطنته وألقت ضوءا آلاف الاشياء التى مرت به مرور الكرام .. طالما ناشـدتك الحـذر ياجوليا ، ولكنك كنت تصرين على اطفاء ظمأ حبنا تحت سقفه، وهو معنا فى البيت !

جوليا : أتلقى على اللوم الآن يا انتونيو ؟

انتونيو : انى أكاد أجن يا جوليـا .. لاننا فعلنـا كل شىء بنجاح ، فى الخفاء .. ثم تفضحنا حركة تافهة كهذه ، قبـلة صغيرة تصرين عليها وهو يهبط السلم على مسافة مترين من شفاهنا ..

جوليا : طبعا أنا المذنبة دائما !. وعلى وحدى تقع الكارثة فى النهاية !

انتونيو : أتظنين خوفى من أجل نفسى فقط ياجوليـا . انى خائف عليك أنت كذلك . الحقيقة أننا كنا مجنونين . أعمـانا هوانا .. هنا ؟ تحت سقفه ؟ وبيننا وبينـه جدار واحد ، أو باب غير مغلق ؟ لانك لاتريدين الانتظار سـاعة واحدة الى أن يخرج من البيت ؟

جوليا : طبعا أنا المذنبة وحدى ! أنا التى رمت نفسها عليك ! أنت ملاك برىء . لم تتغزل ، ولم تبثنى هواك . ولم تكن لك رغبة فى شىء . يالك من مظلوم مسكين .

انتونيو : لم اقصد هذا .. انك ترفضين أن ترى المـوقف على حقيقته .

جوليا : طبعا ، طبعا . موقفى انا هو السىء غاية السوء..

ثم لا تنس أنى هـربت من بيتى . من بيت أخـوتى وأسرتى لاتزوج أندريا . أنا التى دفعته الى اختطافى دفعا لانى عشقته .. خنت أخوتى الذين رفضوا تزويجى منه لانه دوننا فى كل شىء .. ولكنى احببته فخنتهم معه .. وها أنا أخونه تحت سقفه مع صديقه ومحاميه .. لك الحق كل الحق فعلا أن تلقى اللوم كله على .. فكل شىء يبرر القول اننى انثى جامحة الشهوات .. لكن على رسـلك أيهـا الشهم البرىء ! ان كنت هربت معه من بيت أهلى ، فلأنى أحببته وآمنت به .. ولكنى لم احبه وأهرب معه ليلقينى هنا فى أعماق الريف ، سجينة ، منعـزلة ، لينصرف هو عنى الى تجفيف البرك والمستنقعات وزراعة الارز وتحسين نسل الماشية ! ويحتج دائما بأنه يريد أن يثبت للملأ أنى لم أخطىء تقديره ، وانه يستطيع أن يجمع ثروة كثروة اخوتى الطائلة ، ويهبنى بيتا فاخرا وحياة مترفة مثل حياتهم . وانه رجل جاد رزين ، وليس صيادامتهورا ولا دون جوان غزلا . وهكذا كان يعمل طول النهار كالمحكوم عليهم بالاشغال الشاقة . وأنا انتظر هنا عودته بلهفة ترتعد بها أحضانى الظامئة .. فيعود مجهدا ، لينام نوما عميقا ، لا تكدره الا أحلام مشروعات جديدة وأعباء جديدة يشغل بها غده .. ونجح ، واغنانى . جعلنى أغنى مما كنت فى بيت أخوتى وأحظى بالبذخ والترف . ولكنه افقر قلبى وجوانحى .. وحـز فى نفسى أن أفشل فى حمل هـذا الرجل على حبى والانشـغال بهواى . وبدت لى صداقته الرزينة وثقته الوطيدة فى ، اهانات لانوثتى وحبى وفتنتى .. وفى هذا الظرف بالذات ، وأنا أجتاز هـذه المحنة النفسية ، ظهرت أنت على المسرح . وانتهزت الفرصة . فطابت نفسى بالانتقام . وبادلتك الغرام هنا . تحت عينيه . تحت سقفه كما قلت . أصررت على ذلك ، لانتقم من ثقته ورزانته . وكنت خائفا دائما . خائفا على نفسك .. ولـكن لماذا تخاف الآن يا مسكين ؟ ما الذى ستخسره أنت ؟ .. لاشىء

.. عميل على الاكثر .. أما أنا .. رباه ! ما أتعسنى ! (**وتغطى وجهها بيديها**) .. واطفالى الابرياء .. يا للمساكين الابرياء !

أنتونيو : وماذا يفيد البكاء ، تماسكى. أوشك على الوصول .. لا بد لى الآن من الانصراف .. تماسكى حتى لا يجد فى اضطرابك الدليل الذى يعوزه . ومتى هدات شكوكه ، نرتب أمورنا على وجه أكثر أمنا وحذرا ..

جوليا : أوه ، من فضلك ! كفى ماحدث ! يحسن أن ينتهى مابيننا ..

انتونيو : كما تشائين ..

جوليا : أهذا هو حبك الابدى الذى اقسمت لى عليه ؟

انتونيو : اتريدين بى الجنون ؟

جوليا : معك حق . انتهى بيننا كل شىء الآن .. ولعل من الخير أيضا أن يعرف الحقيقة اليوم قبل الغد .. لننتهى من هذا القلق الفظيع ..

انتونيو : امجنونة انت ؟

جوليا : أحسن ! أحسن ! اى حياة حياتى هذه ؟ اتتصورها؟ لم يعد لى الحق فى حب أى انسان . غدوت عاهرة لا حق لها حتى فى حب الامومة .. حتى صغارى لاحق لى فى حبهم حتى لا أدنسهم . حين أقبلهم يخيل الى أن ظل عارى يسقط على جباههم الناصعة .. أما لهذا العذاب من آخر ؟ .. لو لم يفطن هو ، لصارحته انا .. حتى أستريح ! لم يعد فى الحب أمل . لم يعد فى الحب عزاء . لقد انقشعت الغشاوة عن حقائق

الهوى وبواطن الرجال .. اذهب من وجهى ! اذهب ! اذهب !

انتونيو : جوليا ! ماذا دهاك ؟

جوليا : قلت لك اذهب ! اذهب قبل أن يصل ويجدك هنا .

* * *

(وينصرف انتونيو من باب الصدر ، وتظل جوليا وسط الحجرة ، شاردة تفكر ، ثم تتنهد فى أعياء وقنوط ، وتعصر جبينها بيديها ، من غير أن توفق فى طرد الاسى والفزع من رأسها ، وتحملق فى مرآة بالحائط برهة طويلة كمن ترى أمامها امرأة غريبة عنها .. ثم تتهاوى على مقعد أمام مائدة صغيرة جانبية عليها الصوف الذى كانت تحبكه فى بداية الفصل ، وتنفجر باكية برهة . ولا تلبث أن ترفع رأسها بعزم ، وتجفف دموعها ، وتشخص ببصرها الى الامام مفكرة)

جوليا : آه . لولا هذا الخوف ! لو لم أكن خائفة هكذا !

(وتنهض فتتمشى فى الحجرة . ثم تقف عند المائدة ، وتدق الجرس ، فتدخل آنا وتسألها هل أعدت كل شىء ، من المائدة الى حجرة السيد ، فتطمئنها آنا على كل شىء . فتطلب منها أن تذهب الآن لاحضار الاطفال من عند جدتهم لابيهم .. ثم لا تلبث أن تلغى هذا الامر ، **ونشعر أنها خائفة من الوحدة ، ومن وجود الاطفال عند وصول أبيهم مع ما قد يحدث بينهما من انفجار مجهول)**

جوليا : انتظرى يا آنا فترة أخرى . انتظرى ..

آنا : ولكنهم حريصون جدا على أن يكونوا هنا حين يعود والدهم . فقد وعدهم بألعاب ، وحلوى ، وثياب جميلة يأتيهم بها من المدينة . وهم لايكفون عند جدتهم عن الحديث عنها ويحلمون بها ..

جوليا (**برقة شديدة**) : اذهبى اذن وأحضريهم ..

آنا : آه .. ولكن هذا صوت العربة قادمة من المحطة .

جوليا : اذهبى . اسرعى .

(وتخرج آنا ، وتسرع جوليا الى تسوية شعرها فى المرآة ، وتجرب الابتسامة الهادئة حتى تطمئن الى منظرها ، وتذهب وهى مرهفة الاذنين الى المائدة ، حيث تجلس وتتناول الصوف لتحبكه بهدوء تام . وفجأة تدخل آنا حاملة حقيبتى سفر مؤذنة بوصول السيد ، فتنهض جوليا وفى يدها الصوف ، وتتجه الى الباب فى هدوء متقن .. ويدخل أندريا)

جوليا (مادة اليه يدها) : كنت أنتظرك .. اذهبى أنت ياآنا لتحضرى الاولاد ..

اندريا : هل هم عند أمى ؟ دعيهم الآن ريثما أفرغ حقائبى ، وأعد لهم هداياهم .. آه كم انا متعب . رأسى يكاد ينفجر !

جوليا : لعلك تركت نافذة العربة فى القطار مفتوحة ليلا .

اندريا : بل كانت مقفلة .. ولكن اللغط منعنى من النوم لحظة واحدة

جوليا (متجهة اليه) : انك لم تكتب الى كلمة واحدة هذه المرة .

اندريا : ثلاثة أيام ليست مدة كبيرة .. ثم ان « انتونيو » عاد أمس مساء .. ولابد انه طمانك على ..

(ويسود الصمت لحظة وهو قابض على جبهته بيده)

أندريا (فجأة) : احسنت صنعا بارسال الاطفال الى أمى . أنها تحبهم جدا وتعرف كيف ترعاهم .. لحسن الحظ ! .. ألم تذهبى معهم اليها ؟

جوليا : أنت تعلم أنى لا أزورها الا معك . **(تغير الحديث)** .. والآن . حدثنى عن قضيتك ..

اندريا : ألم يحدثك انتونيو عنها ؟

جوليا : حديثا خاطفا .. لم يمكث الا قليلا .. وسيعود بعد برهة ليقابلك

أندريا : هل سيعود ؟ عظيم ! .. ان هذا الرجل خدم القضية خدمة جليلة . فسار بها شوطا كبيرا نحو النجاح .

لم يكن فى الوسع عمل ماهو أفضل من هذا .. من هذه الجهة هو .. رائع ! .. كسبنا القضية .. وأنقذنا ثروتى هنا .. والآن أريد شيئا آخر .. (**بلهجة غامضة**) أريد أن أرحل من هنا .. أريد ان اصفى كل شىء . سئمت العمل والكد .. الى المدينة الآن لأستمتع بالحياة ، ما رأيك ؟

جوليا (**بدهشة للمفاجأة**) : تريد أن نعيش الآن فى المدينة ؟

أندريا : أرأيت ؟ ها انت مستاءة من الفكرة .. أليس من حقى التمتع ؟ أليس من حقى اللهو والراحة ؟

جوليا : كيف خطرت لك هذه الفكرة ، هكذا ، فجأة .. مع تمسكك بالريف ؟

أندريا : أحسست انى أختنق هنا . أن حياتى تتقوض.. ثم ان والدتى تعيش هنا .. وانت لست معها على وفاق.. وعلى فكرة ! صادفت فى الطريق اخوتك مرتين .. وتجاهلوا معرفتى تماما ! أنا اجيرهم السابق الذى هربت معه اختهم .. ولكنه صار أغنى منهم ! لقد جرحت كبرياءهم مرتين .. لانى حرمتهم من لذة الاحساس بأن هجرك لهم وهربك معى عاد عليك بالجوع والتشرد كما توقعوا .. سأذهب وأعيش فى المدينة لأجاورهم ويرونى كل يوم ! وهكذا أتلذذ بغيظهم . (**بلهجة غامضة**) وأنتونيو أيضا يمكن أن يرحب بفكرة الانتقال الى المدينة . فهناك الاعمال ناجحة ، والقضايا أكثر.. ووسائل اللهو لرجل أعزب متوفرة . فرص لاحد لها .. من حقه أيضا – هذا العبقرى – أن يلهو ويستمتع بشبابه ولا يدفنه هنا فى الريف .. ماذا يصنع هذا الابله هنا بشبابه ، وبمواهبه ؟ .. انه موهوب حقا ! يجب أن نفكر فى مكافأته بسخاء ، على جهوده..

جوليا : انه صديق .. ولنا عليه مكارم كثيرة ..

أندريا : الصداقة شىء ، والعمل شىء آخر .. ثم لاتنتظرى من اى انسان وفاء للمكارم السابقة .. قد يكون صحيحا أنى انقذته من الملاريا التى كادت تقتله ، اذ مرضته بنفسى . وقد

يكون صحيحا انى أشركته فى أعمـالى ومشروعاتى حتى جنى ثروة بعد ان كان معدما. ولكن لاتنتظرى حفظ الوداد وعرفان الجميل من انسان ..

(وتهز جوليا كتفيها ولا تجيب .. لانها لاتدرى ماذا يعنى زوجها بهذا الكلام . هل هو تلميح ؟ . او هو كلام برىء ليس له الا معناه الظاهر ؟ ويسود الصمت لحظة. وفجأة يضحك)

أندريا (كمن يخاطب نفسه) : عرفان الجميل ! الاقليم كله مدين لى ، ومع هذا يكرهوننى ويحسدوننى . اسـتأجرت هذه البقعة وهى مجموعة مستنقعات . جففتها . قضيت على الملاريا . انشأت محطات الصرف . زرعت بها احسن ارز فى ايطاليا . وأحسن قمح .. وأنقذت الاطفـال من اكبر نسـبة فى الوفيات بالملاريا .. ومع هذا يحسـدوننى لانى أثريت . كأنى لم أعمل . كأنى لم أخلق . كأنى لم أعمر . كأنى لم أنقذ من الموت زوجاتهم وأطفالهم .. كأنى لم أنشىء لهم مصـادر للرزق .. ولم أجد وفيا لى الا ذلك الشيخ « مانتنيا » ، الذى قابلنى فى القطار وبكى شكرا لى .. فقد مات له ولدان فيمـا مضى بالملاريا .. ولكن بكاءه بالاكثر كان على زوجته التى ماتت بالملاريا أيضا ..

جوليا (بدهشة ويداها تعملان فى الصوف) : ولكن زوجته حين ماتت لم تكن تعيش معه ..

أندريا : وهل كنت تريدينه أن يقبل حياتها معـه بعـد أن ضبطها فى بيتـه مع خادم المزرعة الاجـير فى فراش واحد ؟ (**يضحك**) ولكن ما أعجب البشر ! كان يبكيها مع ذلك بمرارة. الحب شىء والكرامة شىء آخر . هكذا الانسان .. قد يقتل الرجل حبيبته.. لانه يحبها ! ولو كان يحبها اقل من ذلك القدر، لغفر لها ، كأن شيئا لم يحدث .. عجيب حقا ! ومع هذا كان معنا فى القطار شاب غر ، اخذ يسخر من بكائه عليها ، ويتندر به .. شاب غر .. اسمعى ماذا قال .. شىء طريف حقا .

جوليا (محاولة تغيير الموضوع) : كنت أريد ان أسالك ..

اندريا : اسمعى هذه أولا .. قال الفتى الغر للعجوزالمفجوع فى زوجته بالخيانة ، ثم بالموت : « انها غلطتك أيها العم . غلطتك أنت لانك فاجأت زوجتك مع عشيقها .. فاستحققت أن يمسكا بك . وتقيدك الزوجة ويضربك العشيق الشاب الفتى علقة مليحة .. لانك لعبت اللعبة المعتادة . لعبة السفر ، ثم القطار الذى فاتك لتغير المواعيد ، وعودتك الى البيت فجاة لتعكر صفو الزوجة الشابة مع العشيق الشاب ، أيها الزوج العجوز الاحمق .. فعلت هذا بحثا عن الدليل ، لانك كنت تشك . انها لحماقة ! لو كنت مكانك لتعاميت ، وتصاممت . كأنى لم أفطن الى شىء ، ولم أر شيئا . ولعاملت الزوجة الخائنة بلباقة ، وهدوء ، بحيث تضطرب بحكم سريرتها الفاسدة ، وترتجف ، وتعترف بحركاتها ، من غير حاجة الى مفاجأة سخيفة وفضيحة .. الى أن يصل الاحراج الى القمة السيكولوجية .. الى اللحظة الحاسمة ، فتتداعى . سأقول لك كيف .. أظل أرهق أعصابها بسلوكى الغامض ، فلا تدرى هل أعرف أو لا أعرف ، وتظل متوجسة ، الى ان اعلم ان ارهاقها العصبى بلغ الذروة.. عندئذ أدعوها للجلوس، وبهدوء أقص عليها قصة صغيرة عن زوجة خائنة تظن ان زوجها لايدرى بخيانتها ، وأذكر لها تفاصيل مشابهة لتفاصيل غرامها الخائن الآثم . وفجأة اضع تحت أنفها مرآة جيب صغيرة، وأسألها بعذوبة مفرطة : « لماذا أصفر لونك هكذا أيتها العزيزة ؟ » .. فيزداد اضطرابها ، وعندئذ أقهقه قائلا بحزم وتنمر : «لافائدة يا عزيزتى.. ها أنت ترين انى أعرف كل شىء».. فتعترف !

جوليا (مضطربة) : يا للسخافة ..

اندريا (متعجبا) : هل ضايقتك ياعزيزتى . قولى الحقيقة أليست قصة لطيفة ؟

جوليا : مالطفها ؟ وفيم اهتمامك أو اهتمامى بأمر زوجة

مانتينا ؟ **(تهز كتفيها وتهم بالقيام لتخرج)**

اندريا : لا تغضبى .. نعود الى موضوع انتونيو ..

(تضطرب جوليا ويصفر وجهها للمفاجأة لحظة ثم تتجلد)

اندريا : سأقول له كم تريد ياصديقى . حدد مبلغك ولن اناقشك . ولكنى خائف من شيء واحد .. أتعرفين ماهو ؟ انى اذا قلت له ذلك ربما ..

جوليا : يرفض ؟

اندريا (يقف فجأة ، وبلهجة خطيرة ذات مغزى) : ان ضمير الانسان يا عزيزتى شديد الالتواء ! ان من سرق الشرف قد يعف عن المال !

جوليا : ماذا تقول ؟

أندريا : **(ضاحكا مقهقها وهو يضع يديه على كتفيها)** أليست هذه هى الحقيقة ؟

جوليا : هل جننت ؟

أندريا : أنا مجنون ؟ اطلاقا .. أليست هذه هى الحقيقة ؟

جوليا : اتحسب أنك تخيفنى بهذه الاحوال ؟ من ادرانى ان كان هذا حقا أم لا ؟ .. من أعطاك الحق فى اهانتى ؟

أندريا : أنا أهينك ؟ أنا مجنون ، وطائش .. وانت ؟ هل انت مثال البراءة ؟ انت الضحية المظلومة ؟ ولكن ماذا لو أننى رأيت بعينى مالم يقله أحد .. رأيت بعينى هذين ..

جوليا : ليس صحيحا .. انت مجنون .. لم يحدث !

اندريا : مجنون ؟ ليس صحيحا ؟ وما هذا الذى ليس صحيحا . وما دام لم يحدث .. فكيف عرفت ما أعنيه لتبادرى لنفيه هكذا بحرارة ؟ الديك بعد هذا الجراة على الانكار ؟ انك ترتجفين ، كما ارتجف هو مدى ثلاثة ايام وأنا اعذبه ، كما يعذب القط الفأر .. الى أن تداعى أخيرا ، ولاذ بالفرار . عاد ليقول لك كل شيء .. وتركته يعود قبلى عسى أن تهربى معه قبل عودتي . لماذا لم تذهبي معه ؟ هيا انكرى ان استطعت .

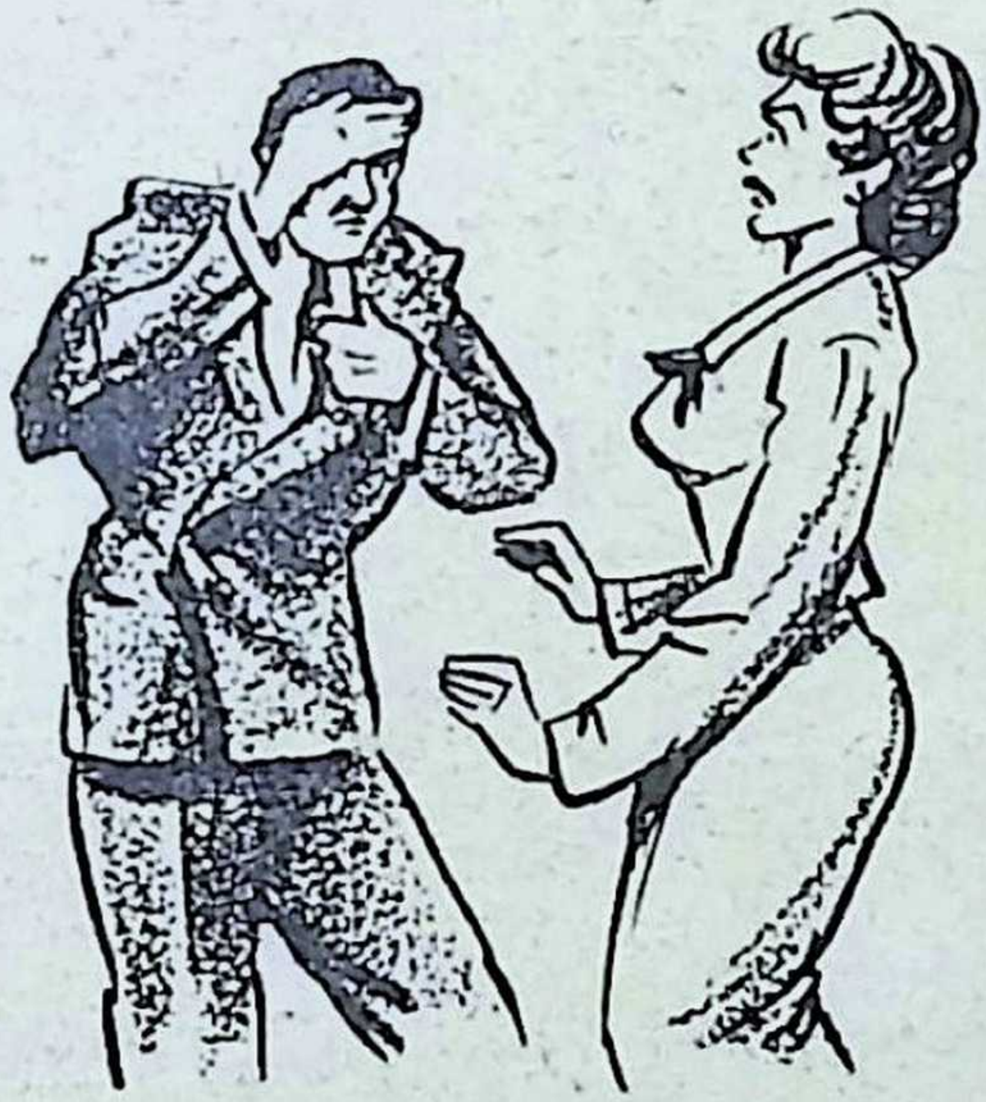

جوليا : أندريا . . أندريا . . رحماك !

أندريا : أعن الرحمة تتحدثين؟

جوليا : اقتلنى . افعل بى ما تشاء . .

أندريا (يهـــزها بعنف) : وانك لتستحقين القتل ياغادرة! . . ولكنى لا أريد أن أدنس بدمك يدى **(يطلقهـــا من يده)** حتى لا الوث ســمعة أولادى . الم تفكرى فيهم ؟ يا ســافلة ! **(يدفعها من ظهرها نحو الباب الكبير)** هيا. اخرجى من بيتى !

جوليا (بيأس) : وأين تريدنى أن أذهب ؟

أندريا : أتسألينني أنا أين تذهبين ؟ الى عشيقك يا فاجرة! لقد خنت من قبل اخوتك لتأتى معى . لتهربى معى . . معى أنا . . ! فان أغلقوا بابهم فى وجهك اليوم ، فقد حق عليك ذلك . . وخيرا يصنعون . . اذهبى الى عشيقك الجديد !

جوليا : أقتلنى يا اندريا ولكن لاتطردنى . أناشدك الصفح من أجل أولادنا . . أعاهدك الا ترى وجهى . . سأعيش بمعزل عنك ، كى اخدمهم . . سأكون جارية تحت قدميك . . أتركنى أعيش معهم !

أندريا : مستحيـــل . لن تريهم . . لهـــذا منعت آنا من احضارهم . ستخرجين من هنا من غير أن تلقى عليهم نظرة واحدة . .

جوليا : كنت مجنونة . . تذكر انى أمهم . .

اندريا : ولماذا لم تتذكرى أنت ذلك قبل الآن . . ؟ انت كنت

مجنونة .. وأنا الآن مجنون . اذهبى !

جوليا : انسيت أنى أحببتك فهربت معك ؟ وأعطيتك مالى لتبدأ به اعمالك .. اعطيتك كل شىء .. لماذا هربت معك ان كنت لا احبك أكثر من الاهل ، والسمعة .. وكل شىء ؟

أندريا : هربت معى وأحببتنى نعم . ولكن لتخونينى مع اول طارق .

جوليا : لا أريد أن أنتحل لنفسى الاعذار . انى مجرمة ..

أندريا : اذهبى اذن من بيتى ..

جوليا : انتظر .. لست أدرى مـاذا أقول لك ؟ .. لقد اجـرمت فى حقـك .. وحق أولادى .. فاتركنى على الاقل اكفر عن جريمتى نحوهم . اتركنى اعبدهم واخدمهم ..

أندريا : لن تقع عينك عليهم ! السماء أقرب اليك من هذا .

جوليا (تركع أمامه) : أتوسل اليك للمرة الاخيرة .. رحماك

أندريا : السماء أقرب اليك من هذا .. ان تريهم ماحييت .

جوليا : أقتلنى اذن .. واترك للسماء أن ترحمنى ما دمت ترفض أن تمنحنى الرحمة ..

أندريا : أقتلك ؟ .. **(يهز كتفيه بعدم اكتراث ، ويوليهـا ظهره وهى راكعة ، وينظر من النافذة ببرود ..)**

(وتنفجر جوليا باكية وهى راكعة .. ولكنه لا يتحرك ويظل ناظرا من النافذة الى بعيد .. فترفع رأسها وتكلمه بحرارة ، وتذلل)

جوليا : اذن دعنى أراهم مرة واحدة ، قبل أن أخـرج من حياتهم .

أندريا (دون أن يلتفت) : السماء أقرب اليك من هذا .

جوليا : حتى المحكوم عليهم بالاعدام تجاب رغبتهم الاخيرة

أندريا : الا هذا .. السماء أقرب اليك منه !

جوليا : اذن .. على الاقل .. يا أندريا .. عدنى .. انك .. مهما حدث .. لن تخبرهم .. بما يشين ذكراى .. !

أندريا (ملتفتا اليها ومشيرا بأصبعه فى غموض) : تعالى .. تعالى هنا . أنظرى

جوليا (ناهضة بلهفة) : هل جاءوا ..

اندريا (قابضا على عنقها ودافعا بها الى النافذة) : املئى عينيك منه جيدا .. انه هو .. هذا هو الذى تستحقين ان تنظرى اليه .. اما هم .. فكلا .. أترينه كيف يمشى مترنحا .. مرتعدا .. متوجسا ؟

جوليا (تنتزع نفسها منه) : أندريا .. أندريا .. !

اندريا : اذهبى الآن .. قبل أن يدخل .. اخرجى من هذا الباب **(يدفعها نحو الباب الايسر المفضى الى الحجرة المجاورة)**

جوليا : بربك يا اندريا ..

اندريا : ما كل هذا الذعر ؟ أخائفة انت عليه ؟

جوليا : كلا .. انه نذل .. بل عليك أخاف يا اندريا ..

أندريا : انه مثلك وانت مثله . انتما صنوان !

جوليا (خارجة من الباب الايمن كما أمرها) : بل لن أنتظر . وداعا يا أندريا . **(تقبل خده قبلة خاطفة وتسرع بالتوارى وراء الباب وتغلقه خلفها)**

(ويظل أندريا واقفا وظهره لذلك الباب الذى خرجت منه ، ثم يدلك جبهته ووجنتيه بيديه فى عصبية وأسى .. واذا انتونيو يدخل من الباب الكبير فى الصدر . وعندما يرى اندريا بذلك الانفعال ، يقف على عتبة الباب مترددا .. ويسود الصمت برهة . ثم يسمع من الحجرة الاخرى صوت طلق نارى ..)

انتونيو (صارخا) : رباه !

اندريا (مشيرا اليه بسبابته فى اتهام قاطع) : انك انت الذى قتلتها ..

ويتنزل الستار

ARABESQUE
By
H.R.H. PRINCESS
MUSBAH HAIDAR
ذكريات عربيّة
في "الحريم"
من مذكرات الشريفة
مصباح حيدر

عندما حطمت النساء جدران ((الحريم)) !

◆ قدم لك ((كتابى)) – فى العدد الماضى – بضعة فصول من مذكرات الشريفة ((مصباح)) ، عن حياة ((الحريم)) فى تركيا ، فى اواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحاضر ، وهى فترة من تاريخ المجتمع الشرقى ، امتازت بطابع خاص ، مشوق

والاميرة ((مصباح)) هى ابنة الشريف ((على حيدر)) ، الوريث الشرعى لامارة (مكة) .. فقد كانت هذه الامارة محصورة فى فرع ((آل زيد)) – من سلالة الرسول – الى أن أوعزت تركيا الى محمد على – والى مصر – بايفاد حملته على الحجاز ، فاغتنم الوالى الجشع هذه الفرصة ، ليستولى على ثروة ((آل زيد)) بأن أقصاهم عن الامارة ، وجعلها فى الاسرة الهاشمية .. ولكن الاقدار ساقت التطورات السياسية بحيث اضطرت تركيا – ممثلة فى الصدر الاعظم ، الذى كان حفيداً لمحمد على بالذات – الى تعيين الشريف ((على حيدر)) فى منصبه الشرعى ، عندما تحالف الهاشميون مع الانجليز ، فى الحرب العالمية الاولى ..

ومن هذه المناسبة ، تبدأ الفصول التى نقدمها لك اليوم ، والتى تصور الخطوات الاولى لنساء ((الحريم)) نحو التحرر والسفور

اللص الذى لا غنى عنه !

◆ قضى الامير بضع ساعات فى مشاورات مع السلطان والوزراء ، قبل أن يرحل نهائيا الى مكة .. وكان قد اعتزم أن يصطحب معه شقيقه – الشريف ((جعفر)) – وأبناءه الثلاثة : عبد المجيد ، ومحيى الدين ، ومحمد .. وأن يأخذ معه ((محمد أغا)) ليشرف على خدمه . وكان ((محمد أغا)) وغدا تركيا ، ولكن الامير لم يكن يرى عنه غنى ، اذ كان خبيرا باستقبال الضيوف وتحيتهم – كل حسب مكانته ومقامه – كما كان بارعا فى اعداد المائدة ، ولم يكن ثمة من يباريه فى براعته فى تنسيق الورود ، والمناشف ، والادوات الفضية على المائدة .. كان فنانا ساحرا فى تزيين المائدة !

ولكنه كان بارعا ـ كذلك ـ فى تمكين بعض الاشقياء من التسلل الى البيت ليلا وسرقة بعض الاشياء الثمينة ، من وقت لآخر . وكان يحرص على أن يثبت بعده عن المكان إبان السرقة ، بعد أن يكون قد « حرص » ـ كذلك ـ على أن ينسى اغلاق أحد الابواب أو احدى النوافذ ! .. فاذا ما كان الصباح التالى ، انتظر الى أن يوافيه أحد مرؤوسيه بنبأ السرقة ، فيصب جام غضبه على الخادم « الملعون » الذى بلغ من اهماله ان ترك أحد أبواب البيت غير محكم الغلق . ثم لا يلبث أن يحكم ازرار سترته ، ويسعى الى غرفة الامير ، فيطرق بابها ، حتى اذا دعى للدخول ، دخل واغلق الباب خلفه ، ثم وقف وقد عقد يديه على صدره ، ونكس رأسه ، وانتظر الى أن يسأله الامير عما وراءه ، فيقول : « لقد وقع حادث جد منحوس ، ليلة أمس ، يا أفندينا ! .. لقد نسى أحمد أغا أن يغلق الباب الخلفى للسلاملك ، فتسلل اللصوص وسرقوا سجادتين وشمعدانين فضيين ، وبعض اشياء صغيرة أخرى .. أفأبلغ الشرطة يا أفندينا ؟ »

وكان يوقن من أن أكره الامور على الشريف على حيدر ، أن يفد الشرطة والمحققون الى داره ، وأن ينمى النبأ الى الصحف ، وأن تكون شؤون منزله الخاصة مادة للنشر على الملأ .. بل ان الشريف لم يكن ينفر من أحد قدر نفوره من المحامين والشرطة !

لذلك كان يرمق « محمد أغا » بنظرة صارمة ، عند ذكر الشرطة ، فيغض الشرير بصره ، ويحمر وجهه . واذ ذاك ، كان الشريف يقول : « لا أريد أن يحدث هذا مرة أخرى ، والا فصلتك من الخدمة . انما أشفق عليك لانك متزوج وأب أولاد .. تفضل ! » . ويخرج « محمد أغا » من الحجرة ، ليكرر الحادث بعد فترة من الوقت يطمئن خلالها الى أن الحادث السابق قد نسى !

ولقد اتصل أحد رجال الشرطة مرة بالشريف عبد المجيد، وأنبأه بأن « محمد أغا » شوهد وهو يبيع صحفة (صينية) فضية فى السوق . فاستدعى الشريف الشاب ذلك الخادم، وقال له : « يجب أن تكون أكثر حذرا ، فلا تنسى أن ترشو الشرطى ! » . ولكن الرجل راح يقسم أغلظ الاقسام على انه ما كان ليمد يده الى شىء ليس له !

الاقليات .. دائما !

• وعهد الشريف على حيدر الى صديقه « طلعت باشا » – وزير الداخليــة العثمانية – بأن يرعى أسرته . وما كان أوســع الفــارق بين الرجلين ! .. كان الشريف من علية الارستقراطيين ، أميرا مثقفا ، وزعيما دينيا ذا قداســة . **أما طلعت باشا ، فكان من ((البوماك)) – أى البلغاريين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى أثناء الاحتلال العثمانى لبلادهم – وكان من أصل ريفى ، وقد امتلأ قوة ونشاطا .. وكان عصاميا ، وانسانا ، سواء فى رذائله أو فضائله !.. ولسوف يظل متألقا فى سيرته دائما ، انه لم يحاول أن يجمع ثروة لنفســـه طيلة حياته ، رغم المراكز الرفيعة التى شغلها !**

ولقد حــدث – أيام مذابح الارمن فى تركيا – أن استنكر الشريف على حيدر هذه المذابح ، ونبه طلعت باشــا الى أن العالم سيلقى تبعــة الفظائع عليه ، فأجابه الوزير فى حماس وطنى : « أن هؤلاء الارمن لعنة حاقت بوطننا يا صــاحب السمو .. لقد كانوا يعيشون فى أمان ورخاء مع بقية الشعب، دون أن يعترض سبيلهم أحد .. **أما الآن ، فقد انقلبوا خونة – لسبب ما – ولم يعد لهم هم سوى اثارة المتاعب ، وسوى الغــدر والتمــرد .. والاوربيــون يعطفون عليهم ويلوموننا ، فيشجعهم هذا على الامعان فى مسلكهم !** فماذا نفعل ؟ .. ان من المتعذر أن نكبح جماح الجنود ، حين يوفدون لتأديبهم ،

ولكن ، لا تخش ، فلن يقدر لنا أن نقضى على جنسهم ، لانهم يتوالدون كالذباب ! »

وقد قالت غاسلة ثيـــاب أرمنية ، لفاطمة هانم ــ زوجة الشريف الانجليزية ــ يوما : « اننا كالغنم ، نتكاثر كلما ذبحنا ! .. ثم ، ما الذى تفعله بعثة المعونة الامريكية إذا لم يكن هناك أيتام ولا قصص تروى عن فظائع ؟ .. أنهم اذ ذاك يضطرون الى العودة الى أمريكا ، فيفقدون عملهم ، ولا يعـــود بوسعهم أن يعيشوا كالباشوات ، فليس هناك خدم يحفون بهم ، كما هو الامر هنا ! ! »

بين ثعالب « لورنس » وغيرة « السفاح » !

• **وسافر** الامير الى مكة من محطة (حيدر باشا) ، فى ٩ يونيو سنة ١٩١٦ .. وكان اليوم قائظا ، وقد أعد للأمير قطار خاص ، ووداع رسمى فخم . وكان من المقـــرر أن يمكث فى (دمشق) أياما ، ثم يرحل ــ عن طريق سكة حديد الحجاز ــ الى مـــكة . ولم يكن الخط الحديدى قد اكتمل ، ومن ثم فقد كان جـــزء من الرحلة يتم بالســـيارات ، مما جعلها رحلة خطرة ، اذ كان الهاشميون قد رصـــدوا مكافأة ضخمة لمن يأتيهم بالامير حيا أو ميتا . وقد عانى الضـــباط المرافقون للأمير أشد العناء من جراء تصرفاته ، فقد أبى الحراسة التى ارادوا أن يفرضوها عليه . **ولقد استأذنوه ــ فى بقعة محفوفة بالاخطار ــ أن يغلقوا نوافذ « صالونه » ليلا ، فرفض وأصر على أن يجلس بجوار النافذة ، منصرفا الى القراءة ، وقد ارتدى ثوبا أبيض ناصعا ، كان يزداد جلاء تحت النـــور الساطع .. فكان بذلك هدفا ســـهلا لثعالب « لورنس » الانجليـــزى .**
ولكن الامير كان يجيب على مخاوف أتباعه قائلا : « الله كريم ! .. الله خير حافظا ، وهو أرحم الراحمين ! .. هو المنجى ! » .

وأخذت الرسائل ترد على (شملوجة) من الامير تبـــاعا ،

منبئة بأنه كان يجتاز فترة عصيبة . فان جمال باشا ـ القائد التركى ، الذى كان يسيطر على سورية ـ كان شديد الشكوك، مشبوب الغيرة ، وقد انتقده « الشريف الاكبر » ـ كما أصبح الامير على حيدر يدعى ـ انتقادا مريرا ، لما شهده من أحوال أسرى الحرب البريطانيين ، أثناء طريقه من تركيا الى سورية .. كذلك ساء جمال باشا أن يرى العرب يلتفون حول على حيدر ، وداخلته الريب فى أن هذا قد ينضم الى الثورة العربية ـ ضد تركيا ـ أو أنه قد يزعزع سلطان جمال باشا نفسه فى سورية . فقد كان القائد يرسم خطة ـ فى تلك الاثناء ـ ليعلن نفسه ملكا على ذلك الاقليم ! وكان جريئا ، متهورا ، قاسيا ، مما جلب عليه كراهية السوريين ، فكانوا يسمونه « السفاح » !

متاعب فى أرض الحجاز

• **وأخيرا** ، وصل الامير الى (المدينة) فى اول أغسطس سنة ١٩١٦ ، فاستقبل أيما استقبال . وأعقبت ذلك فترة حافلة بالاحداث والاعمال . فقد تدفقت القبائل والعشائر لتقسم يمين الولاء للشريف الاكبر ، حفيد الرسول . وانضوى آلاف تحت لوائه ، حتى لقد كان ثمة ١٥٠٠٠ محارب على أهبة الاستعداد لان يتبعوه . ولكن الامير لم يكن يملك أن يستبقيهم ، نظرا لعجزه عن أن يمدهم بالمؤن والمعدات .. بل أن الجيش النظامى ذاته ، لم يكن مجهزا تجهيزا يذكر ، كما أن (المدينة) كانت تعانى ضائقة لقلة المؤن . ولم تكن النداءات المتلاحقة ـ الى الحكومة العثمانية ـ ذات جدوى ، اذ انها كانت تركز كل امداداتها على البقاع التى اختارها الالمان ، فى حربهم ضد الانجليز

ازاء هذا ، لم يقدر لاسرة على حيدر أن تلحق به ـ كما كان مقررا ـ لا سيما وأن عصابات « لورنس » كانت تنبث على

الشريف على حيدر
فى ثيابه الرسمية

طول الطريق من دمشق الى المدينة . فبقيت « فاطمة » ـ مكرهة ـ فى (شملوجة) ، حيث ازداد تدفق العبيد والجوارى واولادهم .. بل ومن لا شأن لهم بالضيعة وأهلها ، اللهم الا ان يعيشوا عالة ! .. وقد أدى هذا الى تضخم نفقات الاسرة ، مما دعا الامير الى أن يكتب محتجا على هذا التبذير ، فكانت « فاطمة » تتحدث الى « أمين افندى » فى الامر .. ويا لامين افندى من كهل مسكين! .. لقد كان حائرا مغلوبا على أمره ، اذ كان الافراط فى النفقات راجعا الى مطالب « البيت الكبير » .

الفن الذى قتله عصر السرعة

• وكانت « مصباح » وأختها « صفينة » تذهبان الى « السلاملك » ـ فى كل صباح ـ لتحفظا القرآن ، وتتلقيا دروس اللغة التركية على « أمين أفندى » . وبعد أن تحيياه ، تجلسان الى جانب من منضدة الدرس ، بينما يجلس هو الى الجانب الآخر ، ثم تخرج « صفينة » المصحف من غلاف من الحرير ، نقشت عليه بعض الآيات .. فقد اعتاد السلطان ان يشهد فى كل عام ـ بوصفه خليفة المسلمين ـ بردة الرسول ، وكان ينفض عنها الغبار بقطع من الحرير يمنحها ـ بعدذلك ـ

هدايا للمقربين وذوى الحظوة .. ومن بعض هذه القطع صنع غلاف المصحف الذى كانت تحمله الشريفتان !

وكانت الصغيرتان تحرصان على أن تغطيا رأسيهما قبل قراءة القرآن ، كمظهر من مظاهر الاحترام ، كما كانت كل منهما تقبل المصحف وترفعه الى جبينها ، قبل أن تفتحه .. وكذلك حين تغلقه .

ويلى ذلك درس اللغة التركية . وقد كان « أمين افندى » من أبناء المدرسة القديمة ، فكان يولى الكتابة والخط أهمية بالغة ، لا سيما وانه كان ـ فيما مضى ـ مدرسا للخط ، وقد قضى سنوات فى دراسته كفن ، فكان مبدعا فى كتابته .. كان يعنى بتنسيق وتهذيب كل حرف وكل شرطة ، حتى يصل الى الكمال . وكانت مصباح ترقب يده ، وكأن بصرها قد شد اليها . فكان يتناول القلم « البسط » ـ المصنوع من الغاب ـ فيسوى طرفه بسكين خاصة (مبراة) ، ويضع صفحة من الورق على كف يده اليسرى ، دون أن يكون تحتها سطح صلب ، ثم يشرع فى الكتابة ، والقلم يرسل صريرا وازيزا عجيبين . **فاذا ما أتم جملة يريد تلميذتيه على أن تنقلاها ، ذر تراب الذهب على المداد الرطب . وما رأته « مصباح » يوما يستخدم ورق النشاف !** .. وكان تراب الذهب حين يجف على المداد ، يرسل وميضا براقا كلما تعرض للضوء . فيا له من فن ضاع واندثر ! .. منذا الذى ينفق الآن ساعات بأسرها كى يبرى الاقلام « البسط » ، وكى يكتب باستمتاع ، وهو منتش برؤية براعته فى ابداع الخط ، مستعملا تراب الذهب حتى لا يشوه ورق النشاف كتابته ؟ ! .. أن السرعة هى طابع اليوم !

ختان صاحب السمو السلطانى

• وفى ذات يوم ، تلقت « فاطمة » وابنتاها بطاقات الدعوة

الى الاحتفال بختان صاحب السمو السلطنى الامير « واصف افندى » .. وكان الامير فى حوالى الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره ، ضعيفا ، رقيق الكيان ، يرتدى دائما سترة « فراك » ، وسروالا (بنطلون) طويلا ، وطربوشا كبيرا . وكان الصديق الوحيد للشريفتين الصغيرتين .. وكانت تتبعه — اينما ذهب — « دادة » و « اغا » ، مهمتهما أن يمنعاه من الجرى ، والقفز ، وكل ماتهفو نفوس الصغار العاديين الى عمله .. وكانت « مصباح » تعيره أحيانا بضعفه ، وتتحداه مؤكدة أنه لم يكن يقوى على الجرى ، وأنه أشبه بكيس القطن ، فكان ينساق وراء اغرائها ، ويجرى .. ثم يفاجأ — فى غمرة مرحه — باحدى « القلفوات » ، أى كبيرات الجوارى ، وقد أقبلت فأمسكت به ، لتقوده الى أمه التى تبادر الى لف ظهره بالحرير وتحمله على شرب « ماء الورد » ، وهى تتمتم : « صان الله أسد الاسود ! »

لكم كان « واصف » تعسا ، مسكينا .. كان ولدا ، له كل الميزات الكفيلة بأن تجعل منه رجلا ، لولا افراط أمه فى الحنان!

ولم تكن « مصباح » تدرك ما هو « الختان » ، ولكنها كانت تعرف أنها مناسبة من المناسبات الخاصة بالصبية فحسب .. وكانت الدعوات الى حفلات الزفاف والختان — فى تلك الايام — تتضمن اليوم كله ، لذلك اصطحبت « فاطمة » ابنتيها الى قصر « المرادية » منذ الصباح ، فاذا العربات رائحة غادية ، واذا الخصيان يستقبلون القادمات اللائى كن فى ابهى الثياب ، واثمن الحلى .. وكان الجو مليئا بالضحك والموسيقى . واقتيدت فاطمة وابنتاها الى قاعة خاصة بأميرات البيت المالك — فى الطابق الاعلى — فاستقبلتهن « قادن افندى » . حتى اذا قدمت اليها فاطمة التهانىء ، أجابت : « أجل يا ابنتى !.. الحمد لله ، افلقد أثبت واصف — بعد كل ما فعلته أمه — انه رجل ! .. ان أمهات هذه الايام لسن كالامهات فى زمننا ! » .

ثم استدعت « قلفة » وأمرتها بأن تقود الشريفتين الصغيرتين الى حجرة صديقهما لتهنئاه !

فى مخدع الامير

• وفى سرير ضخم ، كان الامير الصغير غائضا بين الوسائد ، بين ستائر حريرية ذات لون أزرق باهت ، يعلوها تاج مذهب ضخم .. وعلى السرير ، بسط غطاء كبير من الحرير الاحمر ، الموشى بنقوش رائعة بخيوط ذهبية . وكان وجه الامير شاحبا ، واجما ، تبرز فيه العروق الزرقاء ، وتعلوه قلنسوة ثبتت فى احد جوانبها خرزات زرقاء ، و « ماشاء الله » ذهبية !

وهتفت القلفة : « أنظر يا سبعى من جاء يزورك ! » . وتطلع « السبع » بعينين مغرورقتين ، ثم حاول أن يبتسم ، ولكنه عاد فرأى ان البكاء أنسب ! .. وكان ثمة سريران صغيران – فى الحجرة – رقد فيهما صبيان فى مثل حاله . فقد كانت العادة عند ختان احد أبناء علية القوم ، أن تجرى العملية لعدد من أبناء الخدم أو العبيد معه ، وأن يحظوا بكل ما يحظى هو به فى هذه المناسبة !

واقبلت – فى تلك الاثناء – أميرتان شابتان ، تعودان واصف ، فهتفت احداهما : « **انظرى بالله الى واصف افندى يا أختى ! .. كأنه « عريس » ! .. أرجو أن لا يكونوا قد حولوك الى « حريم أغا » يا ولد !** » .. و « حريم اغا » لقب كان يطلق على الخصى !

وانفجر « واصف » باكيا ، فأسرعوا ينادون له احدى الجوارى لتضحكه !

واستغرقت مائدة الغداء – فى ذلك اليوم – ساعتين حتى احست « مصباح » بآلام مبرحة ، لطول اضطرارها الى الجلوس منتصبة الظهر ، مدلاة الساقين .. ولطول اضطرارها الى مراعاة آداب السلوك و « الاتيكيت » . حتى اذا انفضت

الاميرتان صفينة ومصباح .. قبل أن يفرض الحجاب على الاولى

الاميرات عن المائدة ، كانت « مصباح » تشعر بآلام حادة فى رأسها ، لم تقو على احتمالها !

الممثلة التى صفعت وزيرا

• **حظيت** (استانبول) ـ فى شتاء سنة ١٩١٦ ـ بزيارة الموسيقار الكبير « ليهار » مع فرقة رائعة من ممثلى وممثلات

(فيينــا) . واستطاعت الممثــلة الاولى ((ميلوفيتش)) ان تظفر بنجاح عظيم ، فتهافت الضباط الالمان و ((البكوات)) الاتراك على الاعجاب بها ، وتكريمها .

ولم يعد من حديث للسيدات فى ((الحريم)) سوى قصص الهدايا التى كانت تقدم الى الممثلة ، والتى كانت تفوق الخيال .

وقيل أن شخصا معروفا، قدم لها سجادة صنعت من الاوراق المالية افئة المائة جنيه ، فرشها على الاريكة التى رغب فى أن يتذوق عليها مفاتن الممثلة !

وسرت فى الحريم همسات خافتة : ((هل عــرف أحــد كيف صفعت تلك الكافرة طلعت باشا ؟)) .. وكانت القصة تروى بين ضحكات الحــريم . فلقد دعــا طلعت باشــا تلك الفاتنة الى مأدبة أقامها لتكريمها .. وتدفق النبيذ والشمبانيا بسخاء ، فأغدقت الممثلة فيضا من الابتسامات والتلطفات . ثم بدأ العشاء ، وأحضر الخدم الحساء .. وراح طلعت باشا يرقب ضيفته بيقظة .. وفجــأة ، غصت بريقها ، وراحت تسعل ، وهى تحاول جاهدة ان تكتم السعال ، وطلعت باشا يربت ظهرها ويرجوها الا تبتلع ماكان فى فمهــا .. ولــكن الممثلة افرغت ماكان فى فمهــا فى منشفتها ، ثم اســتدارت وصفعت طلعت باشا !

كان الوزير قد أسقط خلسة فى وعاء حسائها ماسة كبيرة، كمفاجأة لها ــ كما فعلت كليوباترا حين أذابت لؤلؤة فى قدح الخمر ــ فلم تفطن الممثلة لذلك ، وأقبلت تتناول الحساء فى جرعات كبيرة ، فكادت الماسة أن تسد حلقها !

وكادت الاميرات أن يصبن بالجنون ، لفرط رغبتهن فى أن يرين هذه الاجنبية التى جن بهــا الرجال .. ولــما كان من المحرم على المسلمات ان يرتدن أماكن عامة بها رجال ، فقد رؤى أن تقام حفلتان فى مسرح ((البيتى شامب)) لصــالح الهلال الاحمر ، ويقصر حضورهما على السيدات

خطوة أولى نحو السفور

• **واحتجزت** الاميرات مقصورات المسرح فى هاتين الحفلتين .. وكان للمناسبة فعل الخمر لديهن ، فاذا هن يزددن جرأة ، ويتفقن على أن يلتقين فى فندق « توكاتاليان » ـ وكان أفخم فنادق (بيرا) ، على الضفة المقابلة من البسفور ـ ليذهبن معا الى المسرح . ولم يكن لواحدة من الأميرات قبل بالذهاب الى فندق ، فكانت المناسبة مثيرة ، أذكت فى نفوسهن الفضول المشوب بالخوف وبالجرأة فى آن واحد !.. **وكان لابد لهن من كتمان ذلك عن الاميرات المسنات ، والا اثرن سخطهن ، وقد يتسرب النبأ الى السلطان ، فتكون الطامة الكبرى !**

وفى الطريق ، لاحظت فاطمة أن صاحبة السمو السلطانى الاميرة رقية ، زوجة الشريف عبد المجيد بن على حيدر ـ التى رافقتها فى العربة ـ كانت منفعلة ، فأوصتها بأن تبدو طبيعية ، اذا ماوصلت العربة الى الفندق ، لان القاعة التى احتجزت للأميرات كانت فى الطرف الاقصى من بهو الفندق . ومن الطبيعى أن يستلفت اى اضطراب أو اى تصرف غير عادى انظار الجالسين فى البهو ، فلا يلبثون ان يعرفوا أن الاميرات وفدن على مكان عام ، وسرعان ما ينتشر النبأ حتى يصل الى الشريف على حيدر نفسه !

ولكن العربة لم تكد تصل الى باب الفندق ، حتى شهدت فاطمة منظرا جعل قلبها يغوص الى قدميها.. كانت الاميرتان عديلة وعطية ـ شقيقتا رقية ـ تقفان عند الباب وقد احاط بهما الخصيان والاغوات . واقبلتا مهرعتين ، فقبلتا اختهما وفاطمة والصغيرتين ، وهما تقولان : « اننا لخائفتان والله يا اختى ! » .. وحاولت فاطمة أن تعالج الموقف ، فتأبطت ذراع عطية ، وأمرت الباقيات أن يتبعنها فى خطوات طبيعية،

ولكن الجميع كن مرتبكات .. **وكانت رقية أكثرهن ارتباكا ، حتى انها تعثرت فى بهو الفندق ، لاضطراب خطواتها ، ولان الحجاب الذى كان مسدلا على عينيها كان ثقيلا .. وكان من شأن كل هذا أن يلفت أنظار أولئك الذين كانوا يتناولون الشاى فى البهو !**

لكم كانت الخطوة الاولى نحو تحرر المرأة قاسية، اذ ذاك !

وما أن استقرت الاميرات فى القاعة التى حجزت لهن ، حتى تهالكن فى مقاعدهن ، وهن يقلن : « أبدا .. لن يتكرر هذا المأزق ثانية ! » .. ولكن فاطمة راحت توصيهن بأن يستجمعن هدوءهن ، لان ثمة مأزقا آخر .. مأزق مغادرة الفندق الى المسرح !

وأقبل – فى تلك الاثناء – ساقى الفندق بالشاى ، فما ان رأته الاميرات ، حتى وجمن لحظة ، ثم هتفن هامسات : « رجل ! .. رجل ! .. ياللعيب ! » . وقفزت الاميرات عن مقاعدهن وأسرعن يستخفين وراء المقاعد والارائك .. وساد الهرج القاعة . وأسرع الاغوات يحيطون بالساقى ، فاشتد ارتباك الرجل – وهو لا يكاد يدرك سر ماكان يجرى حوله – حتى كاد يقلب الشاى ومعداته ! .. وما لبث أن غادر القاعة فلم يدخلها بعد ذلك !

يتطارحان الهوى على المسرح ؟ .. يا للعار !

• **واستطاعت** فاطمة أن تغرى الاميرات – اخيرا – بمغادرة الفندق ، وكان ارتباكهن قد بلغ مبلغا جعلهن فى خوف من أن يبرحن مقاعدهن ! .. وكان مسرح « البيتى شامب » يتألق بالاضواء والزينات ، حين بلغنه أخيرا .

ولم تكن « مصباح » قد رأت مسرحا من قبل ، فاستولى عليها اغتباط غريب وهى تتأمل ماحولها .. كانت الاميرات قد احتللن المقصورات ، بينما زخرت القاعة بسيدات الطبقة

الراقية .. كانت زهرات « حريم » استانبول قد تجمعن فى « البيتى شامب » . وامتلأ المسرح بألوان الثياب البهيجة ، وبريق المجوهرات والحلى ، والهمسات الناعمة التى كانت تتخللها ضحكات انعم ! .. **وكانت زوجة طلعت باشا ، بين السيدات اللائى تولين بيع برنامج الحفلة لحساب الهلال الاحمر .. كانت رشيقة ، وجميلة ، وقد جاءت — هى الاخرى — لترى كغيرها تلك الانثى التى صفعت الباشا !**

وهتفت الاميرتان عديلة وعطية فجأة : « أنظرن هؤلاء الرجال ! » .. وكان أعضاء « الاوركسترا » قد ظهروا ، واتخذوا أماكنهم ، فأثار ظهورهم جلبة فى المسرح . وفجأة ، خطا الى منصة رئيس الفريق ، رجل .. كان هو « ليهار » نفسه .. كان أول رجل أوربى تصطف أمامه نساء البلاط العثمانى جميعا !

وخفتت الاضواء ، ورفعت الستار .. وظهرت « ميلوفينتش » ، فسرت فى جو المسرح همسات منفعلة : « أمان ، أمان ! .. انها لا تمتاز عن أية أنثى أخرى ! » .. وبدأت « رقية » تدق على كتف « مصباح » بأصابعها ، مع النغم .. ولكن الاصابع لم تلبث أن توقفت ، عندما قبل البطل البطلة ، وهتفت « الفلفوات » ، اللائى كن يصحبن الاميرات : « ياللعار ! » .. وتطايرت الهمسات : « أهذا ماجاء الاوربيون يعرضونه ؟ .. أجاءوا يعرضون رجلا وامرأة يتطارحان الهوى ؟ .. أما كان يليق بهما أن يتبادلا الغرام فى الخفاء ؟ .. والله انهم لقوم مجردون من الحياء ! » .

وعندما انصرفت السيدات من المسرح أخيرا ، كان ثمة حشد هائل أمام أبواب المسرح ، لرؤية حسان وشباب « الحريم » !

على حيدر يستقر فى لبنان

• **وكان** الموقف فى (المدينة) يزداد سوءا ، ونداءات الامير

على حيدر الى الحكومة العثمانية ـ لطلب الامدادات ـ لاتلقى استجابة .. وكان « فيصل بن الحسين » ـ ملك العراق فيمابعد ـ و « لورنس » ينفقان عن سعة ، لاكتساب القبائل الى صف الثورة .. وبالتالى ، الى صف الانجليز . وفى تلك الاثناء،كانت الحكومة العثمانية ـ تحت نفوذالالمان ـ تركز كل اهتمامها على فلسطين .

وفى فبراير سنة١٩١٧ ، تغيرت الوزارة العثمانية ،فأصبح طلعت باشا رئيسا لها . ولكنه لم يستطع أن يفعل لصديقه شيئا ، اذ كان القادة العثمانيون يرون ـ متأثرين بحجج الالمان ـ وجوب التخلى عن (المدينة) ، وحشد القوات جميعا فى فلسطين . فلما اشتدت ازمة المؤن والامدادات ، رؤى أن يتخذ الامير على حيدر مقرا له فى سورية . فبقى فترة فى (دمشق) ، أحاطه فيها جمال باشا برقابة شديدة .. ولو ان الامير أراد ـ اذ ذاك ـ أن يقوم بثورة لصالحه الخاص لافلح ، اذ كان بوسعه أن يجمع حوله ذوى النفوذ من زعماء العرب ، فى حين أن قبضة العثمانيين على الشام كانت واهنة .. ولعله اذ ذاك كان يجد نفسه فى مركز يمكنه من املاء شروطه على الانجليز وحلفائهم . ولكنه بدلا من ذلك ، انتقل ـ حين اشتد الحر ـ الى (لبنان) ، حيث استقر فى (عالية)، وأرسل يستدعى أسرته من (استانبول) .

وشد ما اغتبطت « مصباح » حين علمت أنها موشكة أن ترى بقاعا جديدة من الارض ، وأن ترى ـ فوق ذلك ـ أباها ! .. واتخذت الاستعدادات فورا ، فأعد قطار كبير خاص ، ودبرت الاموال اللازمة .. ولم تكن ثمة حاجة بأسرة الامير الى جوازات للسفر ! وأشرف العم الشريف جعفر باشا، والشريف عبد المجيد ـ ابن أخيه ـ على عملية الرحيل . ولم يكن ثمة ما يعكر سرور الجميع ، سوى أن « خديجة هانم » ـ زوجة الشريف جعفر ـ كانت معتلةالصحة ، تشكو اوجاعا

فى رئتيهـا ، مذ وضعت ابنهما « كريم » . فكانت موجسـة من الرحلة !

وعندما تحـرك القطار ، تمتمت خديجـة هانم : « اواه ، اوشك ان اصاب بدوار ! »

من فضائح الحريم

• **ودفع** الفضول « مصباح » الى ان تتنقل بين عـربات القطار ، لتستكشف ماكان يدور فيها .. كان الكل يضحكون ، ويمرحون ، وقد اثارتهم التجربة الجديدة .. وكانت بعض الجوارى يعزفن على الآلات الموسيقية فى العربات المخصصة للحريم ، أما بقية العربات فكانت مخصصة للرجال .. وللعدد الكبير من الجنود ، الذين صحبوا الاسرة !

وفى « صالون » الامراء ، وجدت « مصـبـاح » نهاد بك ، شقيق صبيحة هانم ، الزوجة الاولى لعلى حيدر .. **وكانت دمامته تفوق التصور ، وليس له من غاية فى الحياة ، سوى أن يتنقل من بيت الى بيت ، يضحـك الناس بأقاصيصه البذيئة ، ويلعب النرد .. وكم كان يتردد على « الحـريم » و « السلاملك » من أمثاله ، رجالا ونساء .. كلهم متملقون ، مداهنون .. طفيليات تعيش على فتات الموائد !**

ولعل أعظم مافى حياة « نهاد بك » ، انه اختطف فى شبابه فتاة من أجمل الجوارى الشركسيات ، كان أحد ثراة مصر قد اشتراها ــ لحسنها الباهر ــ بألف جنيه ذهبى ، وراح يغدق عليها كل ألوان الايثار ، ويغرقها بأثمن الهدايا . ولكنه كان يحيطها بحراسة شديدة ، فلم تلبث « ولدان هانم » ــ كما كانت تدعى ــ أن ضاقت بحياتها ، اذ أحست انهاتعيش فى قفص من ذهب !

وكانت ثمة « دلالات » يتنقلن بين البيوت ــ فى ذلك الحين ــ يبعن سيداتها بعض السلع ، وينقلن الشائعات والفضائح من

بيت الى بيت ، ويقمن بالوساطة بين الشبان وزهرات « الحريم » ، ليفزن من وراء الزيجات التى يسعين لتحقيقها بمكافآت ضخمة .. أو ليجمعن بين العشاق والمحبوبات ! **واستطاعت احدى هؤلاء « الدلالات » ، ان تصل بين « نهاد بك » و « ولدان هانم » ، اذ كان قد لمحها مرة فى عربتها ، وقد انحسر النقاب عن بعض فتنتها . وبالرغم من أن الشركسية كانت قد أصبحت أما لعدد من الاطفال ، الا أن ضيقها دفعها الى الخلاص من سجنها الذهبى ، فاستجابت للاغراء ، وهربت معه .** فطلقها زوجها ، وبذلك تمكنت من الزواج من عاشقها الدميم !

وسرعان ماتبينت اللعوب أن زوجها الجديد كان أسوأ من زوجها الاول ، حتى انه جردها من كافة مجوهراتها وحليها، وباعها .. وما لبثت أن فرت منه ، بعد أن أنجبها ثلاثة أولاد . فدفعت الشهامة زوجها السابق الى مساعدتها !

خاتمة المطاف

• **وبعد** أيام من السفر المتعب المضنى ، استقر القطار فى محطة (عالية) بلبنان . وكانت المحطة غاصة بالمستقبلين . وسرعان ما انطلقت سيارة الامير بزوجته وابنتيه الى قمة الجبل ، ثم انسابت بين مصراعى بوابة حديدية ، تجلت خلفها درجات رخامية وشرفة واسعة .. **وهناك وقف رجل فى ثياب بيضاء ناصعة ، وقد تهلل وجهه بالابتسام .. ولم تنتظر « مصباح » أوامر أمها ، بل أسرعت تعدو ، لتتعلق بأبيها !**

—✻—

THE INVISIBLE
CURTAIN
By
JOSEPH ANTHONY
من خفايا النفوس
الباحث عن الفشل!
تجربة من صميم الواقع، نقلها الكاتب الأمريكي
"جوزيف انتونى" عن سجلات الأخصائى
النفسانى "الدكتور لويس مونجمرى"

السنائر الخفية المسدلة على النفس !

◆ كان « جرانت فرازيير » شابا ، أوتى كل مقومات النجاح .. وكان يدرك انه يستطيع ان يبز اقرانه ـ اذا شاء ـ بل أنه تفوق على كبار المهندسين المعروفين فى أمريكا ، فى مسابقة قومية .. ولكنه كان يؤثر لنفسه الفشل مختارا ، وكان يشكو عدة علل وامراض حار الاطباء فى امرها ، دون ان يعثروا لها على مصدر . وأخيرا ، استطاع المحلل النفسانى ان يساعده على رفع السنائر الخفية المسدلة على نفسه ، فتمكن من أن يرى حقيقة ما كان يعانى !

انه درس يقدمه للآباء والامهات ـ ولكل يائس خائر الهمة فى الحياة ـ الكاتب الامريكى « جوزيف انتونى » ، عن الحالات النفسية التى عرضت للمحلل النفسانى الكبير « لويس مونجمرى »

أمراض لا مصدر لها

◆ **بدأت** قصـــة « جرانت فرازيير » حين اتصل طبيب باحـــدى مدن الغرب الاوسط الامريكى ، بالمحلل النفسانى « دكتور لويس مونجمرى » ، قائلا : « اننى احيـل عليـك مريضا ، هو فى الواقع مجموعة من الاوجاع والآلام التى ليس لها اى مبرر عضوى اطلاقا ! » .. وقبل أن يصل المريض الى الدكتور مونجمرى ، كان هذا قد حصل على موجز واف عن تاريخ حياة المريض :

ففى سن السادسة والعشرين ، كان « فرازيير » مهندسا معماريا متعطلا ، اذ طرد طردا من العمل الذى تولاه مذ تخرج فى الجامعة . ولكنه ما لبث أن شحذ مهارته ، فى مسابقةعامة لرسم تصميم مبنى لشركة كبيرة ، كانت جائزتها اربعين الفا من الدولارات ، وكان الفوز فيها كفيلا بأن يرفع من شـأن المشترك ، اذ كان المتسابقون من المع نجوم الهندسة المعمارية فى أمريكا بأسرها .

وقدر لفرازيير أن يكون الفائز ، فسرعان ما اتخذ لنفسه مكتبا كبيرا فى مدينته ، واستخدم عددا من الرسامين الهندسيين . وانهالت عليه العمليات . **وكان من المحتمل أن يغدو من أشهر المهندسين ، لولا أنه أصبح يميل الى الفشل!.. فكان يعكف شهورا على أعداد التصميمات ، حتى اذا استكملت رسومها ، عدل عنها ، وقال انها غير جديرة بأن تقدم للعملاء ، مما كان يذهل مستخدميه ، اذ كانوا يوقنون من أنها من أروع الاعمال الهندسية !** .. وكانوا يلحفون عليه بالرجاء ، فيثور غاضبا عليهم ، ويعتذر الى العملاء بأن التصميمات لم ترق الى المستوى الذى يرتضيه لنفسه . فاذا رغب بعضهم فى أن يلقى عليها نظرة ، ثار فى وجهه .. فما لبث أن صفى أعماله ، وسرح موظفيه ، وأصبح يعيش على عمليات ثانوية يأخذها من بعض الشركات الهندسية !

وكان طيلة هذه الاثناء يشعر بأنه يعانى شيئا ما ، أوحت اليه الظواهر بأنه كان مرضا بدنيا . فقد كان يشعر بنوبات من الصداع ، وبالتهابات فى الجيوب الانفية ، وبآلام فى الصدر توحى اليه باختلال فى القلب . ومن ثم اخذ يتنقل من طبيب الى آخر ، ولكن أحدا منهم لم يجد ما يجزم بأى مرض بدنى.

السكين تثير اضطرابه وخوفه

• **وكانت** عشر سنوات قد انقضت على نجاحه الرائع ، يوم دخل عيادة الدكتور مونجمرى ، فاذا به شاب فى السادسة والثلاثين ، بديع القامة ، أنيق الملبس ، ذو طلعة توحى بالنفوذ والسلطان . ولكن عينيه كانتا ترسلان نظرات شاردة الى أفق مجهول .. وقدم نفسه الى المحلل النفسانى وكأنه رجل سئم كل شىء . ثم ألقى بنفسه فى احد المقاعد ، وقال بلهجة خالية من أية عاطفة أو انفعال :

ــ اننى فى موقف يكاد يسلمنى الى الجنون .. فمنذ امد

طويل ، وأنا أعانى الجحيم من التهاب الجيوب ، ومن اوجاع عنيفة فى الصدر ، ومن صداع فظيع .. ويزعم الاطبـــاء ان ليس بى أى داء عضوى.!

وجال ببصره فى الحجرة ، وكأنه يبحث عن عــدو مختف ، ثم قال : « ولعل هذا هو السبب فى أننى لم انبئهم بأســوأ متاعبى جميعا ! » . ولكنه لم يقو على حمل نفسه على الافضاء به ، فراح يتحدث عن رحلته الى نيــويورك ، حتى لمح المحلل النفسانى يلقى نظرة على ساعته ، فاستجمع جراته وسأله : « **هل سمعت ما هو أسخف من أن يخاف رجل مكتمل النمو من سكين ؟ .. سكين عادية ، مما يستعمل على المائدة .. أو أى شىء ذى نصل يقطع أو يخز .. ان مجرد رؤية السكين يوقع الخوف والاضطراب بنفسى أحيــانا ، فانتحل اية حجة لمغادرة المكان !** »

— قلت « أحيانا » ، فهل تقصد أن هذا الخوف غير دائم ؟

— أجل ، وهذا اعجب ما فى الامر .. وهــو لا يواتينى الا حين أكون مع أبوى وأخوى ، ولكننى لم أصارحهم قط به ، والا ظنونى معتوها ! .. فاذا ما رأيت سكينا ـــ وأنا معهم ـــ تسارعت دقات قلبى فى عنف ، وداخلنى شعور لا سبيل الى وصفه .. **شعور مبهم بأن ثمة شيئا رهيبا يوشك أن يطبق على ، حتى أننى لم أشاطرهم المائدة منــذ ثلاث سنوات .** لا بد لى من علاج لهذا الامر ، والا جننت .. بل أن هناك من يعتقد أننى جننت فعلا . لقد ذهبت الى أخى « جيم » وذكرت له بأننى حزمت أمرى على أن أستعين بطبيب نفســانى ، فلم يبد أتفه دهشة ، بل سألنى عما يلزمنى من نقود !

واذ سأل الدكتور مونجمرى عن الوقت الذى يســـتغرقه العلاج ، غاظه ان يجيبه هذا بأن الوقت يتــوقف على المريض نفسه ، وعلى مدى تعاونه . ولكنه ما لبث أن كبح غضبــه وتساءل عن أسباب خــوفه من الســكين ، فأجابه المحلل

النفساني : « هذا ما سوف نكتشفه بكثير من الاسئلة ! » .
ومرة اخرى ، انفجر ساخطا .. كان ككل مريض عصبي ، يحاول أن يتخلص مما يثيره ، دون تغلغل وراء مصدره !

عقدة الاخ الاوسط

• وفي الجلسة الاولى ، سأله المحلل أن يصوغ اية أفكار او آراء أو مشاعر تخالجه ، في كلمات ، دون أن يحاول كتمان شيء منها ، أو انتقادها ، أو تقدير اهميتها أو تفاهتها .. ومرت الدقائق تباعا وهو صامت ، فقد كان ارسال الكلام على عواهنه مهمة أشق مما تصور ، لان عقله الباطن كان يفرض رقابة جائرة عليه .. ولكنه ما لبث — بعد دقائق عديدة ، أن قال وكأنه يملي رسالة تجارية على سكرتيرة : « أول ما اذكره في الحياة ، حفلة اقيمت لاخي الاصغر « جورج » في عيد ميلاده الثاني . وكنت اذ ذاك في الخامسة من عمري .. وكانت الامهات اللائي اقبلن على دارنا لا يعرنني انتباها ، وأن رحن يطرين « جورج » وجماله ولطفه .. **وشعرت بحيرة ، وألم ، وكأنهن كن ينتزعن مني شيئا من حقي ، فوقفت منزويا في أحد الاركان ، متمنيا أن أكون جميلا محبوبا ، حتى يكترث بي الناس ! .. وأحسست بأن ثمة عيبا يشينني ، والا لما ظن الناس — لا سيما أبي وأمي — انني لا أستحق أن يحفلوا بي ..** ولكني لا أدري ، بأي حق ألومهم .. لقد كانت الحفلة تكريما لعيد ميلاد جورج ، كما انه لم يكن في وسع أبي وأمي أن يقسرا الناس على أن يعجبوا بي ! »

وكان من الخداع أن يعتبر هذا الحديث حرا ، اذ كان عقله — وهو في السادسة والثلاثين — يطغى على ذكريات طفولته وآرائه عنها ، ولكنه كشف — رغم ذلك — عن مأساة من أكثر المآسي شيوعا .. مأساة اخفاق الطفل في أن يحظى بنصيبه

الطبيعي من اهتمام اهله ! .. فلقد كان جرانت « مضيعا » بين شقيقين ، أحدهما « جيم » ـ وكان يكبره بأربع سنوات ـ وثانيهما «جورج» . وكان الاول موضع اعجاب ابويه ـ لجماله الملائكي ـ في حين ان الثاني كان مثالا للذكاء في نظر والديه ، لا سيما الاب .. وكان الاثنان يستأثران باهتمام الابوين ، مما اوحى الى « جرانت » بأنه غير محبوب ولا مرغوب !

يتعمد أن يحصل على درجات هزيلة !

• **وأخـذ** يروى ذكرياته عن ذلك ، ولكنه كان ـ فى كل مرة ـ يعود فيلتمس الاعذار لوالديه ، كان يقول : « ..على ان ابى كان جم المشاغل ، فهو رب أسرة لا يدخر وسعا فى كسب المال لاسرته ! » .. وهكذا كان يبدو فى مظهر الطفل المتألم ، المحتاج الى العطف والتقدير ، ثم لا يلبث أن يرتد الى مظهر الرجل المكتمل النمو ، الواسع الافق ، المنصف !

وكان مما رواه : « لم أكن أجد عناء فى الحصول على أعلى الدرجات فى المدرسة ، حين اريد . **وكنت ـ فى بادىء الامر ـ أهرع الى والدى بتقارير المدرسة ، وارتقب ان يطرى نبوغى، ولكن .. لا بد أنه كان يضيق بى ، وكان لا يفتأ يقـول أن « جيم » ظفر بدرجات أفضل . بل أنه كان يقـول ذلك دون أن يكون قد اطلع على درجاتى ! .. لذلك لم ألبث أن تعمدت الكف عن الحصول على درجات عالية ، وكنت أشعر بارتياح الى ذلك !** .. بل أننى تعمدت فى امتحانى النهائى ـ فى المرحلة الاولى من التعليم ـ أن أجيب خطأ ، حتى أننى نجحت بنسبة هزيلة . وفى هذه المرة ، كان ابى على حق فى أن يقارن بين درجاتى ودرجات « جيم » . وكان مستاء ، ولكنه كان هادئا، حتى أننى دهشت وسألته : « أو لن تضربنى ؟ » .. ولكنـه هز كتفيه قائلا أن لا سبيل هنـاك الى دفع المعرفة فى مخ ابيم ! »

وظل « جرانت » ستة أشهر يبدى أدلة على عدائه لابويه واخويه ، دون أن يبدى أتفه اشارة عن أنه كان على بينة من شعوره هذا . ولعل القارىء يتساءل : كيف أغفل المحلل النفسانى أن يبين له ذلك ؟ .. والجواب هو أن المشاعر المكبوتة يجب أن تنطلق أولا — مرات ، وليس مرة واحدة — قبل أن يتقبلها المحلل كحقيقة واقعة . ولقد كان « جرانت » يضيق أحيانا ببطء تقدمه فى العلاج النفسى ، ولكنه كان يطيل ويراوغ ، لانه كان يخشى الحقيقة ، دون أن يفطن .. وكان يثور على المحلل ، لبطء التقدم ، ولكن الفترات بين هذه الثورات كانت تتباعد باطراد ، اذ بدأ « جرانت » يدرك أن المحلل كان يفهمه ، ويترفق به اذ يحتمل ثوراته .. وكان هذا — فى حد ذاته — تقدما بالغ الاهمية ، فما أن يطمئن المريض العصبى الى معالجه ، حتى تبدأ المشاعر الدفينة فى التكشف خلال مسلكه اليومى نحو الطبيب .. وهذه احدى الطرق التى تستدرج المريض — دون أن يشعر — الى أن يبرز خلال الستائر الخفية المسدلة على نفسيته وعقله !

أب ضيق الافق

• **وانقطعت** الجلسات عشرة أيام ، بعد انقضاء الاشهر الستة ، اذ رحل « جرانت » لزيارة أهله . فلما عاد ، ذكر أنه استطاع أن يتناول وجبتين مع الاسرة دون أن يشعر باضطراب او انفعال . لكنه كان قد بدأ يتعرض لاولى آلامه النفسية .. كانت أوجاعه قد بدأت تتخلى عن مظاهرها البدنية ، التى كانت العلل النفسية تتوارى خلفها . **وكان من أعراض ذلك ، أن ازداد غلظة وخشونة مع المحلل ، حتى كشف له هذا عن حقيقة شعوره** ، قائلا : « لقد عدت من رحلتك بشعور عدائى نحوى ، فتعال نبحث عن السبب ! »

وأشاح جرانت عنه فى استنكار ، ولكنه ما لبث أن قال

مفكرا : « أظنني عانيت من هذا الشعور الذى أظهره نحوك ؛ ولكنه — فى الواقع — كان نحو أخى « جيم » ، فقد زرته قبل عودتى فوجدته .. غير حافل بى ، بعض الشيء ! » . فقال المحلل : « ولكنك اعتدت أن تقول انه كان لطيفا معك ، فهل تغير فى هذه المرة ؟ »

— لا .. بل اظنني كنت سيء المزاج

— وهل كنت تقرنني ، فى ذهنك ، بأخيك « جيم » ؟

— أجل ، ولكن هذا جزء من الصورة .. انني أصورك لنفسى وكأنك أبى وأخى وقد مزجا فى قالب واحد !

— ولكنك قلت مرارا أن أباك كان كريما معك .. فهل تأبى الكرم ؟

وحطمت مشاعره الحقيقية الحواجز — لاول مرة — فاعتدل فى جلسته ، وصاح : « **لست أريد أن يكون أبى كريما معى!.. انه مجرد آلة تدر نقودا ، فلم يؤت قبسا من الخيال أو الشعور .. انه لا يبدى اعتبارا لاى امرىء لا يتمشى مع أفقه الضيق ، فلا بد من أن تكون رجل أعمال أو صاحب مصرف لكى يقدرك !** ولن انسى ما فعله حين انبأته — لاول مرة — أننى سأدرس الهندسة المعمارية .. ما كان ليبدى استهجانا وازدراء أكثر ، لو أننى قلت له اننى سأعزف الموسيقى فى ماخور ! »

الابنة التى كانت منشودة !

• **وتحطمت** الحواجز مرة أخرى ، حين رأى منظرا طبيعيا يوحى بالهدوء والسكينة ، اذ قال : « ان هذا المنظر أكثر دعة وسلاما من العالم بأسره ! » . وسأله المحلل أن كان يعنى بـ « العالم » أسرته ، فقال : « يا الهى ! .. يا للشجارات التى كانت تدور بين أمى وأبى ! .. لست أتذكر أننى رأيت أبى يبدى عطفا نحو أمى يوما ، بل اخال انه دائما يضيح ويصخب .

وقد اعتدت ان أرثى لامى ، لانها كانت دافئة العواطف دائما .. وان لم تولنى شيئا من هذا الدفء ! .. كانت ترهق نفسها فى سبيل ارضاء أبى ، سواء كانا على وئام أو على شقاق . وكنت اغتاظ لذلك ، لانه أشبه بمداهنة الديكتاتور .. وكنت أجن أحيانا فأتمنى أن أركل أبى ، لا سيما حين كان يعاقب أخى جورج ! »

ـ ولكنك كنت ترغب دائما فى ايذاء جورج ؟

وبدا التردد على وجهه ، وفكر قليلا ، ثم قال : « كنت اخلو بجورج أحيانا ، وهو صغير ، فكنت أقسو عليه . لقد اخبرتك يا دكتور بأننى شرير ! » . ولاذ بالصمت .. كان يضرب فى مجاهل المشاعر المكبوتة التى طال نسيانها ، ثم قال فجأة ، أنه سمع أمه يوما تقول لصديقة لها ، أنها وزوجها كانا يتمنيان ـ قبل مولده هو ـ ان يرزقا بابنة ، وانها استاءت جدا حين جاء « جرانت » ولدا . وأردف قائلا : « وشعرت بأننى أهوى من حالق . وتمنيت لو أصبحت ـ بمعجزة ما ـ بنتا ! » ..

وأخذت تراودنى بعض احلام اليقظة الغريبة ، فكنت اتصورنى طفلة ، وقد ضمتنى أمى الى صدرها ، وألقمتنى ثديها . ثم أقبل ابى عليها صارخا : « كيف تجسرين على ذلك .. انها ابنتى أنا ! »

ـ لقد كنت تشبع ، فى الخيال ، أمنية فى نفسك .. أن يحبك أبوك . انك تتوق الى ان توثق صلتك به !

وسخر « جرانت » من هذا التفسير بفجة ، مؤكدا أنه كان

يكره أباه ، فقال المحلل : « أوليس من المحتمل أن تكون كراهيتك اياه ، تمويها لستر ظمئك الى توثق صلتك به ؟ »

ـ انك تهذى ، وأحسبك ستقول لى ـ فى اللحظة التالية ـ اننى ذو شخصية أنثوية ، لاننى تمثلت نفسى فى الخيال أنثى!

وبين له المحلل النفسانى ان ليست هناك رجولة مطلقة ، ولا انوثة مطلقة ، فأخلد الشاب الى الوجوم فترة ، ثم قال : « اذكر اننى كنت أحب ـ فى صغرى ـ أن أكون قريبا من أبى ، وكنت أعنى بمطالبه البسيطة ، كما تفعل أية فتاة صغيرة .. ولم يكن فى أسرتنا فتيات ! » . وعاد الى الصمت ثانية ، ثم قال وكأنه يستأنف أفكاره : « وكنت ألعب مع كثير من الفتيات ، كما كنت ألعب مع الصبية .. وأذكر فتاة بالذات ، كانت فى الرابعة من عمرها حين كنت فى الخامسة من عمرى .. وعندما سمعت أن أمى كانت تتمنى لو أننى كنت بنتا ، تمنيت أن أكون « انيتا » .. تلك الفتاة الصغيرة . وظللت زمنا أراقبها ، وأقلدها فى البيت .. وفى مرة ، ذكرت لى ـ ونحن نلعب ـ انها تريد أن تتبول ، فصحبتها الى مكان خلف البيت .. »

« الصافرة » المفقودة !

• **ولدهشته** تبين أن الفتاة لم تؤت جهازا للتبول كذلك الذى اوتيه هو ، فذهب الى امه وذكر لها الامر مبهوتا فاذا بها تضربه ، وتؤنبه على استراقه النظر الى الفتيات . وخيل اليه أن أمه لم تفهم مقصده ، فعاد يذكر لها أن «انيتا» لم تؤت « صافرة » ـ كما عودته أمه أن يسمى عضو التذكير ـ وانه كان يريد أن يعرف كيف فقدت صافرتها . فما كان من أمه الا أن أمرته بأن يكف عن الاسئلة السخيفة ، قائلة أنه سيفقد هو الآخر « صافرته » اذا لم يكف عن أن يكون ولدا فاسدا ! .. **وجزع الطفل . واشتد جزعه حين أنذره أبوه بأنه خليق بأن يفقد « الصافرة » اذا لم يكف عن**

الاهتمام بها ! .. ولم يكف ((جرانت)) عن الاهتمام ، وهـو يفكر فى أنه لن يلبث أن يجد نفسه مثل ((انيتا)) !

وكثيرا ماتحدث الادوية نوعا من الحساسية،أو الاضطراب، قبل ان تشرع فى تأثيرها الشفائى .. وكذلك الحقيقة ! فبعد اسابيع قلائل ، سأل جرانت الطبيب النفسانى : ((لقد فكرت فى أن بوسعى أن أمارس عملا ، أثناء فترة العلاج . لمـاذا لم تنصحنى بذلك ؟))

ـ كما كان أبوك وأمك خليقين بأن يفعلا ؟

وانطوى على نفسه لحظات ، ثم قال : ((ان حديثك يذكرنى بعمل سخيف ارتكبته وأنا فى الخامسة عشرة !)) . كانت أمه قد رأت أن تشجعه على الخروج مع ابنة احدى صديقاتها الى احدى الحفلات . **وكان راغبا فى ذلك ، ولكنه قبل أن يصل الى بيت الفتاة ، تذكر أن أمه ((امرته)) بالخـروج معها ، فنكص على عقبيه ، وذهب الى السينما . وعندما وصل الى بيته ، كانت أم الفتاة تسأل ـ تليفونيا ـ عن سر عدم ذهابه اليها ، وسمع أمه تعتذر بأنه أصيب بمرض فجائى . ومـع شعوره بأن تصرفه كان نابيا ، فانه تألم حين سمع أمه تكذب!**

وتبدى الانفعال عليه بعد تلك القصة .. كانت ثمة حقيقة تبحث عن منفذ !

أكاذيب الآباء والامهات

◆ وفى اليوم التالى ، ذكر للمحلل انه حصل على عمـل فى احدى البنايات ـ كعامل عادى ـ دون أن يكشف شيئا عن مؤهلاته .. وسأله المحلل عما دعاه الى ذلك ، فقال : ((أظننى كنت أحاول أن أثبت شيئا ما ، ولكنى الآن لا أدرى ما هـو هذا الشىء !))

ـ لعلك لا تزال تحاول ان تثبت انك ولد صالح ، مجتهد، يستحق التشجيع !

واجفل جرانت .. ولكنه بعد أيام حصل على عمل كرسام هندسي ، فى شركة صغيرة .. وقال يعلل ذلك : « يبدو أن الامنية الوحيدة التى خالجتنى فى حياتى ، هى أن أرسم البنايات ! » .. فلقد شاهد — وهو فى السابعة من عمره — رئيسا للعمال ، يقف ممسكا ببعض الرسوم ، مدليا بالتعليمات الى العمال ، فى بقعة كانت تقام بها بناية كبيرة ، بالقرب من بيت أسرته .. وكان الرجل طيبا ، تلطف اليه ، وأطلعه على الرسوم . ولكن الاسرة فطنت الى تأخر « جرانت » عن موعد العودة من المدرسة ، فلما علم ابوه السبب ، ثار عليه ، وذكر له أن البناية الجديدة ستقضى على هدوء المنطقة .. **ولكنه أدرك أن هـذا لم يكن السبب الحقيقى الذى أمر من أجله بالابتعاد عن البناية . ولم يصدع بالامر ، ولكنه راح يكذب ليبرر غيابه .**

وأردف « جرانت » قائلا : « ومع ذلك ، فقد اعتادت أمى أن تكذب دائما ! » .. واذ سأله المحلل عما دعاه الى هذا الظن ، جمد فى مكانه وقد شرد فكره ، فترة طويلة . ثم أخذ يبكى فجأة .. كان الرجل الناضج يعيش فى دنيا الصبى الخائف ، الحائر الذى كانه اذ ذاك ! .. حتى اذا انفثأ انفعاله ، قال : « كنت أظن أن ذاكرتى خلو من أى شىء عن الفترة التى سبقت بلوغى الخامسة .. ولكن ، **لا بد اننى كنت فى الثالثة ، حين رأيت أمى مع رجل غريب .. كأن يجردها من ثيابها ! .. ولقد ارتبط هذا فى ذهنى دائما ، بالاعتقاد بأن أمى لم تكن صادقة .** ولكن كيف تسنى لى — فى تلك السن — أن أعرف أن أمى كانت ترتكب ذنبا ؟ ! »

وهبطت الستر الخفية على ذاكرته .. ولكنها انحسرت بعد أيام ، فتذكر ان خادمة فى البيت ، ذكرت لابيه شيئا — فى اليوم الذي كانت فيه امه مع الغريب — فثار الرجل واهتاج وتشاجر مع زوجته .. « لقد خلت انه سيهدم البيت ،

فرحت ابكي وارتجف فرقا » . وهنا قال له المحلل : « اتتذكر كيف كنت تتصور انك بنت ، وان اباك كان ينتزعك من امك وهو مهتاج ؟ .. ان خيالك كان صورة ناقصة للحقيقة ! »

« ثالوث » في الغرام

• **وكان** « جرانت » يضطرب عقب كل مرة ينفذ فيها الى اعماق نفسه ، ولكن مقدرته على مواجهة الحقائق أخذت تزداد ، اذ كان المحلل النفساني يحاول أن يكون مجرد مساعد على الشفاء ، فلم يكن ينتقد أى شيء .. بل انه كان يحاول أن يشاطر المريض آلامه ، بدلا من ان يرثى له ويعطف عليه . وككل رجل ، تحدث « جرانت » عن مغامراته الجنسية ، من حين الى آخر .. وفي أحد الايام ، قال أنه كان يميل الى الفتيات اللائى يحملنه على شيء من الاحترام نحوهن ، **وأنه كان يحرص دائما على أن تكون له صديقتان ، في آن واحد .. « واحدة من النوع المهذب ، والاخرى من النساء المتبذلات، اللائى تضاجع الواحدة منهن الشاب منذ أول لقاء، وتقابله اربع أو خمس مرات ، ثم تبحث عن سواه .. وهذه اعتبرها بمثابة ضمان وقائى . فان المرء يكون عرضة لان يتدله في الغرام ، اذا اقتصر على امرأة واحدة » !**

وكان هذا « الثالوث » أمرا غير عادي .. فبالنسبة للرجل، من المألوف أن يكون الثالوث مؤلفا من الرجل والحبيبة وغريم ينافسه .. أما استبدال الاخير بأنثى ، فهذه حال جنسية غير شائعة . وراح المحلل يلاحق « جرانت » بالاسئلة ، حتى ايقن انه كان يتهرب ــ دون أن يفطن ــ من حقيقة ما . ومن ثم تحول به عن هذه الناحية ، وسأله أن يحدثه عن أول مغامرة جنسية له .

كان اذ ذاك في التاسعة عشرة ، وكانت امه قد استضافت بعض الصديقات وازواجهن . وكانت بينهن صديقة لم يأت

زوجها ، فسألته فى نهاية الحفلة أن يقلها — فى سيارةالاسرة — الى دارها . واتصل بينهما الحديث أثناء الطريق ، فابدت اهتماما بدراسته ، ثم دعته الى دارها . وكانت تعانى وقتا عصيبا ، اذ كانت متزوجة من رجل سكير ، لم يكن يحفل بها .. ومن ثم أخذ « جرانت » يدعوها الى النزهات ،ويتردد على مسكنها .. وفى احدى الليالى ، انتقلا بصداقتهما الى السرير . وظلا كذلك ثلاثة أشهر أو أربعة ، الى أن قدر له أن يعرف أنها كانت عشيقة لرجل آخر . واعترفت لهبأنها كانت ذات غريزة جنسية نهمة ، حتى أنها اعتادت أن تكون خليلة لثلاثة رجال أو أربعة ، فى آن واحد .. وأدرك أنها من « المتبذلات » ، فلم يعد راغباً فى أن يراها ، وشعر بأن كرامته قد أصيبت بجرح عميق !

وسكت « جرانت » برهة ثم ضحك . فلما سأله المحلل عن سر ضحكه ، قال : « أضحك لبلاهتى ، اذ استأت من ذلك .. وفى اليوم التالى ، التقيت بفتاة — كنت قد عرفتها من قبل — تدعى « كارلا » ، فبدأت معها علاقة غرامية ، ولكننى لم اكف عن مقابلة « اميلى » .. المراة الاخرى . كانت هذه هى المتبذلة ، وكانت « كارلا » المراة المهذبة ! »

— وماذا تعنى بالمراة المهذبة ؟

— تلك التى لا تكون عشيقة لاكثر من رجل واحد.. وكانت ضمانا وقائيا لى ، اذ احسبنى كنت موشكاً أن اتدله فى هوى اميلى ، لولا أن اكتشفت أنها كانت متبذلة !

وأوضح « جرانت » أنه فى علاقاته مع « المتبذلات » ومع « المهذبات » ، لم يكن يصدر عن حب حقيقى ، بل انه لم يكن يشعر باحترام نحو النوعين معا ! .. واذا كان ثمة انفعال قد تبدى منه أثناء حديثه عن مغامراته ، فان هذا الانفعال كان عندما ذكر كيف أن شقيقه « جورج » سلبه بعض صديقاته ، فقد كان جميلا .. على أن هذا لم يمنع « جرانت » من أن

يستمر فى تقديم صديقاته اليه . وكان يبدى استنكارا وغضبا ازاء خيانة اخيه لثقته . ولكنه كان — فى كل مرة — يسرع الى البحث عن عشيقة جديدة ، لانه كان يشعر بأنه يفقد توازنه ، اذا اقتصر على عشيقة واحدة .. كان يشعر كأن ثمة شيئا ينقصه . فلما سأله المحلل عن ذلك الشىء ، حاول المراوغة ، ثم قال بلهجة متعجلة : ((كنت اذا جامعت فتاة مهذبة ، أتصور أن ضجيعتى هى المتبذلة .. ومع المتبذلة كنت أتصورنى مع المهذبة !))

واعترف بعد ذلك بأنه كان يعجز عن مضاجعة اية امرأة ، اذا لم تكن له عشيقة أخرى — من النوع الآخر — فى نفس الوقت !

علاقته بأخويه تنعكس على عشيقاته !

• وبدأت الانفعالات العميقة — المتصلة بالحقائق — تتبدى فى أحاديث ((جرانت)) ، وهو يزداد إقترابا من التحرر من الحذر والتحفظ . وفى ذات يوم ، روى للمحلل أنه كان يرى أحيانا — فى احلام اليقظة — ان أثنتين من عشيقاته — احداهما متبذلة والاخرى مهذبة — قد التقتا ، فتشاجرتا .. وفجأة ، ابتسمت كل منهما للاخرى ، وتأبطت ذراعها ، ثم سارتا معا ، لتتضاجعا ، وتركتاه .. فشعر بأن كلا منهما انصرفت باهتمامها عنه الى الاخرى ، وأنه ((مضيع)) بين الاثنتين .. عين التعبير الذى استخدمه ليعبر عن شعوره بموقفه بين شقيقيه !

ومن هذه النقطة ، استدرجه المحلل حتى ذكر بانه اعتاد ان يحب كلا من أخويه وان يكرهه — فى الوقت ذاته — اذا ماوجد معه على حدة . وكذلك كانت حاله اذا ما خلا الى احدى عشيقاته : يحبها ويكرهها معا !

— أفكان ذلك لانك كنت تتمثل نفسك — كلما خلوت الى احدى عشيقتيك — فى صورة العشيقة الاخرى ، وكنت تخال انها تشعر بذلك ؟

— اننى لم ابغ أن أكون امرأة ، على اية حال !

— بل تمنيت مرة ، وانت طفل .. حين سمعت أمك تقول انها كانت ترجو لو أنك كنت بنتا ! .. **أن تصـــورك نفسك بنتا ، كان نوعا من الدفاع ازاء نبذ أبويك اياك ، وقد عدت الى هذا الدفاع ، وانت كبير !**

— تقصد .. عندما اكتشفت أن اميلى كانت متبذلة ؟

— بل عندما اكتشفت أنها لم تكن تحبك

وفى كل ما رواه « جرانت » عن غرامياته ، كان ثمة نضال لا يهن ، لاثبات رجولته .. وكان هذا دفاعا ـ دون أن يفطن ـ ضد ميله الى أن يكون انثى ! .. كانت العشيقة « المهــذبة » تمثل رغبته كرجل ، وكانت العشيقة « المتبذلة » هى الاداة التى يدفع بها عن نفسه شعوره بالميل الانثـــوى ، ويثبت رجولته . وكان فى الحالين يمثل علاقاته بأخويه ، فقـد كان « جيم » مهذبا ، ملائكيا .. وكان « جورج » متبذلا ، يسلبه عشـــيقاته !

الحاجة الى العقاب تدفعه للفشل

● **ولكن** المسألة اعمق من هذا كله .. فنحن حين نشـعر من أنفسنا بميل لا يقره المجتمع ، نجد أنفسنا بحاجة الى أن نتناساه ، اى اننا نلقى به الى الوعى اللاشعورى . ولكنه يظل نشيطا هناك ، ليخلق لنا اغرب ألوان الجوع الخفى ، الا وهو : **الحاجة الى العقاب !**

ذلك لان تعاليم الابوين ، فى طفـــولتنا المبكرة ، تخلق فينا « الضمير اللاشعورى » ، الذى يعاقبنا ـ طيلة حياتنا ـ عن أى خروج عن هذه التعاليم . وقد كان هـــذا الضمير يلوم « جرانت » دائما على كراهيته لابويه ، وعجزه عن أن يحب احدا عدا نفسه ، وانحرافات شعوره الجنسى . وكانت حاجته الى التفــكير تتمثل فى الوان الصــداع والاوجاع التى كان

يستشعرها . كما أنها سـيطرت على منطقه ، وأملت عليه أمورا بعيدة عن المنطق ، من شأنها أن تحقر من شأنه ، وأن تلحق به الفشل ! وكان هـذا هو السبب فى أنه ظل يعرف « جورج » بعشيقاته بعد أن تبين انه كان يسلبه اياهن . كما كان من أسباب تعمده أن يخطىء فى المدرسة وأن يحصل على درجات مزرية .. ثم كان السبب الاوحـد فى فقدانه عمله الاول . فقد كان مدير الشركة راضيا عنه ، ولكنه طرده حين أثار ضـجة يوما حول اجراء تافه من الاجراءات المتبعـة فى الشركة .

وكان لا بد من دافع عاطفى قوى ، يغالب الحاجة الى العقاب لدى « جرانت » .. لقد كان يرى فى مدير الشركة صورة أخرى من والده ، فاشترك فى المسابقة الهندسية ــ بعد أن ظل فترة متعطلا ــ ليثبت لوالده مدى خطئه فى عدم تقدير كفاءته . وعندما فاز فى المسابقة ، أسرع يحمل النبأ الى أبيه ، فما كان من الشيخ الا أن قال : « آه ، لقد بلغت السن التى يجب أن تحظى فيها ببعض المجد .. ان لنا مركزا طيبا فى المدينـة ــ على أية حال ــ فهلا تظن أن لهذا أثرا فى فوزك ؟ » .. والواقع أن المسابقة كانت عامة للولايات جميعا ، وكانت التصميمات تستعرض تحت أرقام سرية ، فلم يكن المحـكمون يعرفون أسماء المتقدمين . **ولكن « جرانت » لم ير داعيا لان يشرح هذا لابيه ، اذ عزز ما حدث خيبته المستمرة فى الظفر بتقدير من أبيه ، ومن هنا كانت النكسة التى أدت ــ فيما بعد ــ الى انهيار المكتب الهندسى الذى كان قد أنشأه !**

وظل المحـلل يتحـين الفـرص .. وفى ذات يوم ، روى له « جرانت » كيف أنه اضطر مرة الى أن يطرد أحد مستخدمى مكتبه .. كان رساما هندسيا ، جاء يطلب اجازة ، والمكتب بأسره منهمك فى اعداد رسوم مشروع هام . فلما ذكره « جرانت » بهذا ، صارحه بأن لا قيمـة لذلك ، لانه كان موقنـا من ان

« جرانت » لن يقدم الرسوم .. كعادته !

وهنا سأله المحلل : « وهل كنت تعتـــزم تقديمها ؟ » . فأجاب : « ولمـاذا اذن كنت أرهق نفسى ، وادفـع مرتبـات للمستخدمين ؟ » .. ومع ذلك ، فقد اعترف بأنه لم يقدم الرسوم . وكان « جرانت » مهتاجا وهو يذكر ذلك ، فقال له المحلل : **« ألا تظن اننى أهون من شأنك ، بما أدعوك الى الكشف عنه ، كما كان يفعل والدك .. وكما فعل ذلك المستخدم حين صارحك مقدما بما كنت تخفيه عن نفسك ؟ »**

وكانت « مرحلة تحول » يوم روى « جـرانت » للمحلل حلما رآه فى الليلة السابقة .. رأى انه كان فى قارب ، وقد امتلأ نشـاطا وقوة ، وأمسـك بالمجـدافين ، وراح يتربص بالاسماك ، كلما ظهرت واحدة ضربها على رأسها ، حتى ماتت جميعا . واذ ذاك قال لنفسه : « هذه هى قوتى ! » ، ولكنه شعر فجأة بخوف طاغ لم يدر مأتاه ! .. وراح المحلل يسوقه الى تحليل الحلم بنفسه ، فسأله عن المعنى الذى يراه وراء التجديف .. وأجاب جرانت : **« الانسياب فى الحياة »** .

— وما الفكرة التى تخطر ببالك عنه ؟

— انه مهمة شاقة .. لاسيما فيما يتعلق بصلاتى بالنساء .

— أتخشى أن يكتشفن فيك شيئا لا تحب أن يعرفنه ؟ .. وهل يرجع هذا الخوف المبهم الى طفولتك ؟ .. وهل يزعجك التفكير فيه ، ولذلك تخشى أن تذكره بوضـوح ، وتؤثر أن تنساه ؟

ــ الحق .. الحق اننى أشعر بالذعر ، اذ أخال ان الدنيا باسرها ستنكشف اثمى المكتوم !

وشيئا فشيئـا ، ذكر ان دفع المجداف فى الماء ، يوحى بحركة السكين حين تقطع . واذ ذاك هتف : « تذكرت .. كنت فى الثانية عشرة من عمرى ، وقد وقفت أساعد أمى فى المطبخ ، واجفف الاطباق وأدوات المائدة ، حين دخل أبى .. **وخيل الى انه جاء ليراقبنى خلسة ، فشعرت بكراهية طاغية نحـوه . وكانت فى يدى بعض سـكاكين ، فوددت أن أضربه بواحدة منها.وفجاة ، وقعت السكاكين وتناثرت على الارض !** .. لقد نسيت هـذا الحـادث ، بل أردت أن لا أتذكره .. أردت أن أعتقد اننى كنت ابنا بارا ، رغم ما كنت القاه ! »

وعلى هذا النسق ، فسر الاسماك التى قتلها ــ فى الحلم ــ بأنها أفراد أسرته ، وبأنه كان يود أن يقتلهم . واذ ذاك ،تجلى الالم على وجهه ، اذ كشف حقيقة شعوره .. فتولاه نوع من المغص والغثيان،اعترف بأنه اعتاد أن يعانيه كلما تعرض لمأزق !

الاحلام تكشف الانفعالات الدفينة

وتذكر ــ اذ ذاك ــ انه شعر ، بعد موقف أبيه من فوزه فى المسابقة ، بالآلام التى كان يعزوها الى الجيـوب الانفية . وان هذه الآلام كانت تمتزج ــ كلما واتته فى مأزق ــ بشعور من الخوف المبهم ، وكأن ثمة خطرا يجب أن يقى نفسه منه.

وهنا سأله المحلل : **« أكان هـذا يرتبط ــ فى طفولتك ــ بالخوف من أن تفقد صافرتك ؟ »** . واضطرب اذ ذاك ، ثم تجلت عليه الدهشة وهتف : « أظن ان ثمة علاقة »

وذكر انه ظن مرة انه فقد « صافرته ». فكاد يجن ذعرا .. ورأى فى المنام ــ فى ليلة بعد ذلك ــ انه تسـلل من فراشه ليلا ، ودلف الى مخدع أبويه ممسكا بسـكين ، .فنهض أبوه وأخذ السكين منه ، واذ ذاك هرع من الحجرة ، فجرى أبوه

وراءه .. وظل يجري ويجـرى ، ثم التفت خلفه ، فـلم ير سوى سـكين ضخمة تجـرى وراءه ! .. وظلت الذكريات تنبعث وتحيا ، وظل « جرانت » يزداد جرأة على مواجهـة الحقيقة . **وبعد أن كان يخال أن أسرته كانت تجرى وراءه بسكين ، تبين انه كان يخشى السكين ، لانه كان يخـاف أن يجربها فى أهله .. وكان يخالط هذا الخوف خوف آخر .. الخوف من العقاب !**

ولكن العلاج لم يكن قد اكتمل عند هذا الحد .. وفى ذات يوم ، ذكر «جرانت» للمحلل ، انه رأى فى الحلم انه اصطحب فتاة « مهذبة » الى مرقص . وعندما بدأ يستطيب صحبتها، تذكر انه كان على موعد مع امرأة أخرى ، وان هذا المـوعد انقضى منذ نصف ساعة . فاستأذن من صـاحبته ، واسرع الى التليفون يعتذر للاخرى ، ولكنها صبت عليه جام غضبها .. وعندما عاد الى زميلته فى المرقص، شعر بنوبة من الغباء، حملته على أن يصارحها بأمر المرأة الاخرى ، فاذا بها تثـور عليه بدورها ، وتنصرف .

وقال المحلل : « **لقد كنت صريحا أكثر مما كنت تدرك .. كنت تبغى ــ دون أن تفطن ــ أن تسىء الى المرأتين ، لان امرأة أخرى جرحت كرامتك . وكنت ــ فى الوقت ذاته ــ تسعى الى أن تعاقب نفسك بخيبة جديدة .. تماماكما كنت تفعل اذ تقدم صديقاتك الى أخيك جورج ! »**

ولم يعد جرانت يجفل من الحقيقة أو يتهرب منها . ولم يكن من السهل عليه أن يتخلى عن الشخصية المثـالية التى كان يتصور نفسه فيها ، ليخطو الى الشخصـيـة الواقعية . لذلك انقضت فترة قبل أن يفد الى المحلل ليقول له : « لقد كان حرصى على الارتباط بعشيقتين فى آن واحد ، نوعا من السخف . ومن ثم تخليت عن احدى صديقاتى ، وقررت أن اقتصر علي واحدة » .. فلما الفي المحلل صامتا ، صـاح :

« أليس لديك ماتقول ؟ .. ظننتك ستهبط من برجك العاجى فتهنئنى ! »

ـ اذن ، فقد أقدمت على هذا لترضينى

ـ يا للعنة ! .. انك لتلوح كأبى .. انني أكرهه ! دعنى أسألك : كيف يستطيع المرء أن يرضيك ؟

ـ بأن يتصرف كأى رجل ذكى ، ناضج ، فيفعل مايرضيه هو اولا !

الحاجة الى أب كامل !

• **وكانت** تلك فترة عصيبة بالنسبة لجرانت . فلقد الف مسلكه الخاطىء ، الذى يعتمد على عقاب النفس ، والعدوان الصبيانى . ولم يكن قد استكمل نضوجه العاطفى بعد . فألفى نفسه ازاء اسئلة لاحصر لها : **هل كانت التقاليد الخلقية والاجتماعية ـ التى اعتاد أن يتجاهلها ـ سليمة ؟ .. هل كان غريبا ، أو « غشيما » فى علاقاته بالنساء ؟ .. هل كان بعيدا عن الانصاف فى علاقاته بأهله وبمن كانوا على صلات به ؟** .. ومن ثم حاول « جرانت » أن يجعل من المحلل النفسانى مستشارا يوجهه فى كل خطوة ، ولكن المحلل كان يحرص على أن يدعه يمحص مبادئه ومقاييسه بنفسه ، وان يقرر لنفسه مدى صلاحيتها أو خطلها . ومن ثم فقد اقتصر ارشاده على أن ينمى لديه المقدرة على أن يتبين حقيقة مشاعره ودوافعه ، حتى يستطيع أن يبنى قراراته على أسس واقعية .. ولم يلبث « جرانت » أن أبدى دهشته من أن علله وأوجاعه قد تلاشت تماما

وبقيت العقدة النفسية الخاصة بالسكين ، فقد ظلت مبهمة الى أن سافر الى أهله ، واستطاع أن يجلس معهم الى المائدة مرارا ، وهو مغتبط . وكان قد ذهب اليهم بأمل أن يغفر لهم ماكان ينقمه عليهم ، فاذا به يتبين انه كان مصدر ايلام

للكثيرين ، دون أن يشعر .. **وبدلا من الصفح ، بدأ يتجه الى التفاهم والفهم !** وعلى هدى هذا التحول ، بدأ يكتشف آراء ، راح يرويها للمحلل تباعا عند عودته .. وجد أن العلاقة بين الرجل والمرأة خليقة بأن تكون مصدر سرور ، دون اضطرار الى « الثالوث » ! .. وأن الحب ليس مجرد سلع معينة تحاول المرأة أن تبيعها للرجال ، وانما هو تجربة أكثر بهجة ومتعة !

وكانت آخر مشكلة هى : « الانتقال الى الحال الطبيعية » .. كان « جرانت » يميل الى أن يعتبر مقدرته على تبين حقيقة مشاعره ، موهبة منحه اياها المحلل النفسانى ، فى حين انها كانت ثمرة جهاده الطويل فى البحث عن الحقيقة .. **وكان من الضرورى أن يدرك ذلك . وفى طريقه الى هذا الادراك ، تبين أن ماكان يبدو منه من مغالاة فى الحب والكراهية والعناد والاعتراف بالجميل ، ليست سوى تصوير خيالى للرغبة التى كانت تراوده منذ الطفولة : الرغبة فى أب كامل العقل والحكمة ، كامل السلطان ، كامل الانصاف !**

واليوم يعيش « جرانت » سعيدا ، كزوج ناجح ، وصاحب عمل موفق ، وأب يحاول جاهدا أن يجنب ابنه العلل النفسية !

بنك مصر

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النزعات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبعثت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فأنشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الأجنبى فى شتى ألوانه والروح الدخيل فى مختلف صوره

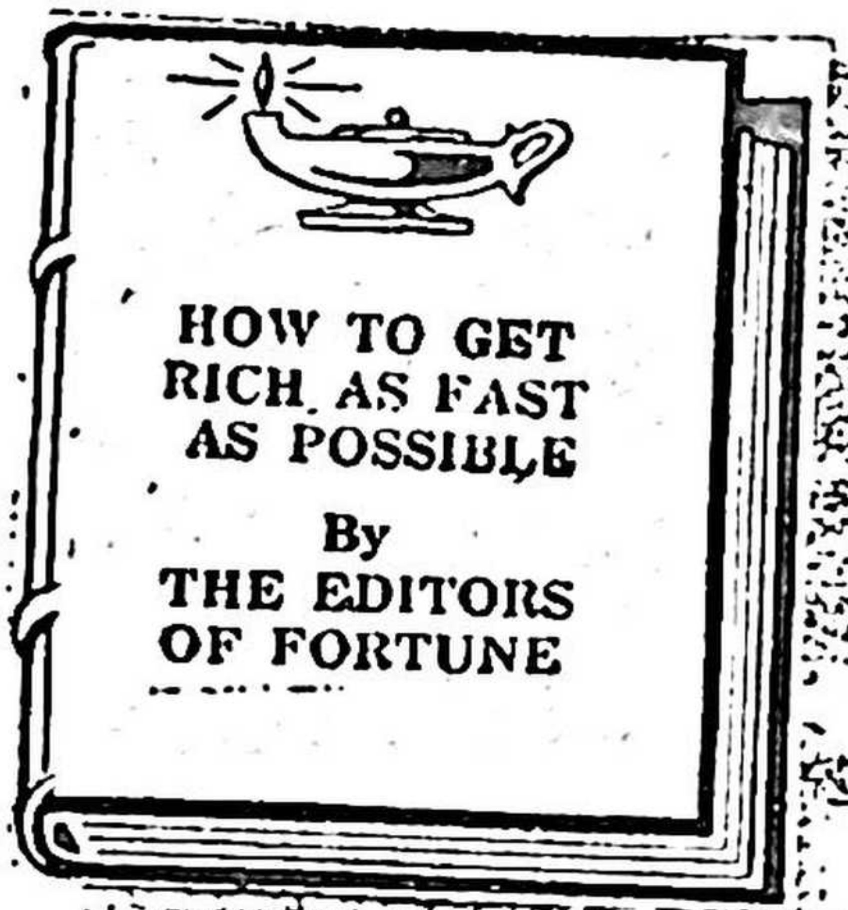

كيف تحصل على
الثروة
فى أقصر وقت !!

الكتاب الذى جمع لك مادته
محررو مجلة "فورشن"

من حياة مائة من كبار رجال
المال والصناعة فى أمريكا..
ليرشدوك الى طرق النجاح والثراء !

الطريق الى النجاح والثروة مفتوح للجميع !

◆ ان الطريق الى الثروة ليس محفوفا باليأس والمثبطات ، كما يتصور الكثيرون .. انه طريق مفتوح امام الجميع ، لا يقوم على أبوابه حراس ، ولا يحتاج الانتقال اليه الى ((جواز)) .. كل ماينطلبه هو قوة الملاحظة ، وسرعة البديهة ، لكى تقتنص الفرصة الملائمة.. ثم حسن التصرف ، والاستعداد للبحث والدراسة والجد والعمل ، لكى تمضى قدما .. أما سرعة انطلاقك فى هذا الطريق ، فتتوقف على قوة عزيمتك ، ومدى ارادتك !

وفى هذا الكتاب ، اشترك محررو مجلة ((فورشن)) الامريكية فى جمع سير مائة من كبار رجال المال والاعمال الذين بداوا حياتهم بلا شىء أكثر من فكرة مدروسة ، وعزيمة قوية ، واستعداد للتعب والعرق والمكاره .. وقد اخترنا لك فى العدد الماضى من ((كتابى)) قصص ثلاثة من هؤلاء العصاميين ، ونقدم لك ـ فيما يلى ـ عددا آخرا ، على ان نبقى هذا الباب مفتوحا ليكون حافزا مستمرا لكل راغب فى النجاح والثروة !

ثروة من الأثاث القديم

قد تكون الحرفة شائعة ، يمارسها الكثيرون . ولكن بوسعك أن تتفوق على سواك ، اذا شحذت تفكيرك ..

◆ ما أكثر متاجز الهدايا والاثاث المستعمل فى أية مدينة ! .. ولكن هذه الكثرة لم تثن ((ل . د . لوورى)) ـ الذى يبلغ الآن التاسعة والاربعين ـ عن أن يجرب حظه فى هذا الميدان !

كان عامل طلاء فى احدى شركات السكك الحديدية ، وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، ثم استغنت الشركة عن خدماته . وبدلا من أن يملأ الهم نفسه ، أثار هذا الحظ طموحه ، فسعى

حتى اقترض ٢٥٠ دولارا – أى حوالى ٥٥ جنيها بسعر النقد اذ ذاك – ثم أقنع صديقا له بأن يشترك معه بمبلغ معادل ، ليتجرا فى الاثاث المستعمل . واستأجر مكانا صغيرا ، ثم سافر الى المدن الصغيرة المحيطة بمدينة (ماونت فيرنون) بولاية (تكساس) ، فابتاع من الاثاث القديم ماقيمته ٣٢٠ دولارا ، وعكف مع شريكه على اصلاحه وتجديده ، فأنفقا فى ذلك ماكان قد تبقى من راس مالهما .. وباعا الاثاث فكسبا ؛ ولكن الشريك كان قد اكتفى من المغامرة بهذا القدر ، فانسحب ومكث « لوورى » يعمل وحده !

ورسم « لوورى » لنفسه سياسة خاصة ، تلك هى أن ينقل الى أهل الريف مايحظى به أهل المدن من خدمات فى مجال تجارته . فبدأ – فى سنة ١٩٣١ – فى نقل مشتريات العملاء الى مساكنهم بالمجان ، مهما تكن قراهم بعيدة ، كما شرع يبيعهم سلعه بالتقسيط . وما لبث أن ابتاع سيارة نقل كبيرة ، جعلها كمعرض للاثاث المستعمل ، واستأجر رجلا يصحب السيارة فى طوافها بالقرى ، ليبيع الاثاث لاهلها ، دون أن يجشمهم عناء السعى الى المدينة .. ونجحت الفكرة ، حتى أن « سوليفان » ابتاع سيارة أخرى – قبل انقضاء ستة أشهر – وخصصها للتوسع فى هذه العملية

واتخذ « سوليفان » خطوة اخرى ، فاتفق مع احدى شركات الاذاعة ، على أن تعلن عن سلعه فى فترات – مجموعها ساعتان – من يوم الاحد من كل اسبوع .. وتضاعف نجاحه فأنشأ صحيفة زراعية شهرية ، خصص ثلاث صفحات منها للاعلان عن تجارته التى لم تعد تقتصر على الاثاث المستعمل ، بل ضمت كذلك الاجهزة المستعملة والجديدة ، والهدايا ، والمصوغات .. واصبحت الصحيفة توزع ١٨ الف نسخة من كل عدد . واتسع نطاق تجارة « سوليفان » ، فأصبح يمتد فى دائرة نصف قطرها ثمانون ميلا ، حول (ماونت فيرنون) !

تجارة الحشرات والميكروبات والهياكل !

اينما وجهت بصرك ، فسوف تجد ناحية لم يسد فراغها احد .. وهذا ما فطن اليه يوما استاذ جامعى ، فكانت هذه بداية شركة كبيرة ناجحة

• كم من الناس خطر لهم ان الضفادع سلعة مربحة ، وان الهياكل العظيمة – انسانية كانت أم حيوانية – « تسعيرة » وتجارة ؟ .. ان « دار توريد المواد البيولوجية العامة » فى (شيكاغو) تورد للمعامل والكليات والمعاهد الدراسية ماقيمته مليون من الدولارات من هذه الاشياء ، فى العام !

بدأت هذه الشركة فى سنة ١٩١٤ ، برأس مال لم يتجاوز ٢٠٠ دولار ، أى ما لا يصل الى ٥٠ جنيها بسعر النقد إذ ذاك . وكان منشئها استاذا لعلم الحيوان بجامعة شيكاغو ، هو المرحوم الدكتور « موريس ويلز » . فلما راجت تجارته استعان – فى سنة ١٩١٨ – بتلميذ له ، هو اليوم رئيس مجلس ادارتها ، ويدعى « تشارلس كورزن » . وراحا يعملان ببطء على توسيع نطاق تجارتهما ، وتعدد سلعهما ، حتى أصبحت تتداول عينات « الاميبا » ، والضفادع ، وبيض الحيوانات ، و « مزارع » ميكروبات الامراض ، وكل ما قد يحتاج اليه أى عالم بيولوجى ، سواء للتدريس أو للأبحاث والدراسات .. فضلا عن انها أصبحت تلبى بعض طلبات خاصة ، كالقواقع التى تعرضت لاشعاع ذرى !

ولقد تولى « كورزن » رئاسة الشركة فى سنة ١٩٣٠ ، فأشرف على إعداد دليل سنوى (كتالوج) لها ، يضم الآن حوالى ألف صفحة ، بها حوالى ١٥٠٠٠ نوع . وهو يرسل الى أكثر من ١٠٠٠٠ مدرس ، وعالم ، وأمين لمتحف .. منهم ١٥٠٠ خارج الولايات المتحدة . كما أن الشركة تصدر –

منذ سنة ١٩٢٣ ـ نشرة شهرية، تضم بعض البحوث الخاصة بحفظ العينات .

ويستخدم ((كورزن)) حوالى ١٥٠٠ صياد وبحاثة ، بينهم مدرسون يعملون بعض الوقت ، فى ٤١ دولة . وهو يرسل اليهم قوائم سنوية بالسلع التى يكثر عليها الطلب ، وعمولاتهم عنها ، والاسعار التى ستدفعها الشركة لكل سلعة منها .

وقد تجاوز رأس مال الشركة الآن ٨٠٠٠٠ دولار ، وكانت تجارتها هى التجارة الوحيدة الرائجة، فى أشد أوقات الازمات . وقد بلغ صافى أرباحها ـ بعد خصم الضرائب ـ فى سنة ١٩٥٣ ، حوالى ٦٨٠٠٠ دولار . أما مبيعاتها ، فكانت قيمتها حوالى .. مليونى دولار !

أزمة المساكن مورد طيب للثراء !

ان الزمن الحالى يتسم بالمساكن الضيقة ، وبأزمة الخدم .. وهاتان الظاهرتان قد تكونان مصدرا لثروة طائلة

• **كان** ((سيدنى وود)) من ألمع لاعبى التنس الامريكيين ، منذ ربع قرن . أما اليوم ، فهو من ألمع أصحاب الاعمال . وقد بدأ حياته العملية ، بانشاء مؤسسة لغسل الثياب والغسل بالبخار ، والكى . ثم لاحظ أن أزمة المساكن ، دعت أصحاب البنايات الى أن يضغطوا احجام الحجرات وعددها فى كل مسكن ، فأصبح من العسير ايواء خادم مع الاسرة .. فى حين أن انصراف المرأة الى العمل ، جعل الخادم عنصرا ضروريا . ومن ثم خطرت له فكرة سارع الى تنفيذها ..

وكانت فكرة بسيطة ، ولكنها مبتكرة .. اختار بناية ، وأقنع سكانها بأن يدعوه يزودهم بالخدم والخادمات ـ على اختلاف مهامهم ـ وبالطهاة ، الى جانب أن يعهدوا له بغسل

ثيابهم ورونق فنوفها وكيها . فكأنما البناية فندق لايحمل نزلاؤه هم هذه الخدمات .

ويؤجر «وود» خدمات مستخدميه ، من طهاة ـ فرنسيين وايطاليين وسويديين واسبانيين .. الخ . ـ وخدم لاداء مهام الوصيفة والوصيف ، وخدم للعناية بالمائدة ، وخدم للتنظيف بأنواعه .. الخ . وقد بلغ مجموع ماتقاضته الشركة عن هذه الخدمات ـ فى سنة ١٩٥٣ ـ حوالى ربع مليون من الدولارات ، كان ثلثها أرباحا صافية للشركة .. وقدتضاعفت هذه الارقام مرارا ، منذ ذلك الحين .

ويستخدم « وود » أكثر من مائتى خادمة ـ بين الجهاز الضخم من مستخدميه ـ يؤجر خدمات الواحدة منهن بدولار ونصف عن الساعة، فى حين انه لايدفع لها سوى دولارواحد. وقد كانت كبيرة « مدبرات المنازل » عنده جاويشة سابقة فى الجيش البريطانى ، تولت تدريب المجندات على اطفاء الحرائق ، أثناء الحرب العالمية الثانية . كما ان المشرف على حراس البيوت والحمالين ، كان « صول » للمرور فى البوليس الامريكى !

الشركة العربية لانوار النيون والفلورسنت
١٣٣ شارع محمد بك فريد
تليفون ٤٤٧٩٢ - ٤٣٨١٦

ENSEIGNES
DECORATION
ECLAIRAGE
ELECTRICITE

لافتات
زخرفة
انارة
كهرباء

ألبرتو مُورافيا
الأديب الإيطالي - العالمي - المعاصر .. الذي كان "كتابي"
أول مجلة عربية قدمت لك نماذج من أدبه القصصي، (في الأعداد: ١٦، ٥٦، ٧٣) .. كما انفردت "مطبوعات كتابي" - في عددها السابع - بتقديم أول ترجمة كاملة أمينة لكتابيه "المراهقان" و "فتاة من الأقاليم"
يدعوك لمطالعة التحفة الحديثة التي تقدمها له "مطبوعات كتابي" بعد أيام:
قصص مِن رُوما
إقرأ فيها أروع تحليل لنفسية الشاب الخجول حين يحب فتاة "البنسيون"!
مع باقة من روائع الأدب الواقعي، مترجمة إلى العربية لأول مرة - ترجمة "كاملة"..
يصدرها حلمي مراد
مطبوعات كتابي
الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية